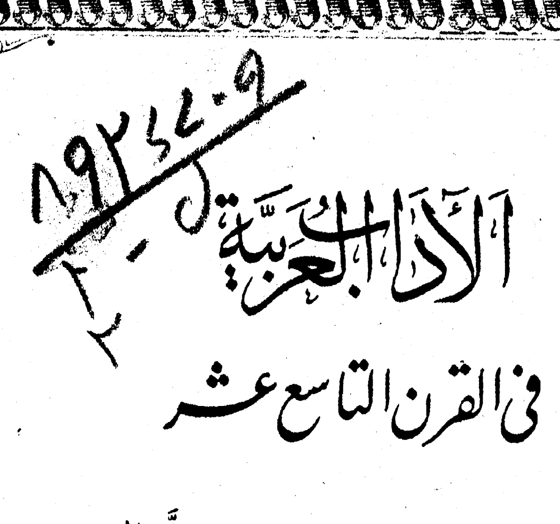
۱۱۲



للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلّة المشرق
ومدرّس الاداب العربية في المكتب الشرقي اللاحق بكلية القديس يوسف

الجزء الثاني

من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

نقلًا عن مجلّة المشرق

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩١٠

يظهر في هذا القرب

١٦٧٢

كتاب الحماسة

تأليف ابي عبادة الوليد بن عبيد البحتري عفا الله عنه

اختارهُ من اشعـار العرب للفتح بن خاقان
معارضةً لكتاب الحماسة الذي ألّفهُ ابو تمّام حبيب بن اوس الطائي
رحمهما الله وعفا عنهما

رواية ابي العبّاس احمد بن محمّد المعروف بابن ابي خالد الأحول عن ابيه عن البُحتري
رحمهُ الله

برسم الخزانة السعيديّة العلوية الأجليّة الفخريّة عمّرها الله ببقاء الأمد

نقله عن النسخة الوحيدة المحفوظة في مكتبة كليّة ليدن
واعتنى بضبطه بالشكل الكامل وتدوين فهارسه

الاب لويس شيخو اليسوعي

يُطلب من مدير مجلة المكتب الشرقي «*Mélanges de la Faculté Orientale*»
في بيروت ومن اشهر مكاتب الشرق

ثمن النسخة الخالية من الشروح والروايات (٣٠٠ ص) ١٤ فرنكاً

Edition spéciale pour les Orientalistes avec Variantes et Notes critiques,
25 *Fr.* (*la souscription une fois close*)



الآداب العربية في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلّة المشرق
ومدرّس الاداب العربية في المكتب الشرقي اللاحق بكلية القديس يوسف

الجزء الثاني

من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

نقلاً عن مجلّة المشرق

طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩١٠

تنبيه

قد جمعنا في هذا القسم الثاني خلاصة تاريخ الآداب العربيَّة في الثلث الاخير من القرن السابق تتمَّة لما باشرنا فيه قبلًا. وكان فكرنا ان نردفهُ بنظر اجمالي في احوال الآداب في العشر الاوَّل من القرن الحاضر لكنَّنا أَجَّلنا العمل لفرصة اخرى وانَّما ذكرنا استطرادًا بعض ادباء القرن العشرين لِما كان بينهم وبين زملائهم السابقين من العلاقة وكذلك أَلحقنا الكتاب بنبذتين تتضمَّنان كثيرًا من اقوال الشعراء العصريين في الدستور واحداث الانقلاب العثماني الاخير وناهيك بهما مثالًا عن النظم المستحدث والانشاء الجديد. وقد ختمنا الكتاب كمألوف عادتنا بفهارس واسعة

هذا ونحن نعلم حقَّ العلم انَّ في تأليفنا الحاضر شوائب كثيرة لما كان يستلزمهُ العمل من الابحاث الطويلة مع قصر وقتنا وكثرة اشغالنا وتفرُّق الموادّ وقلَّة ما كُتب الى يومنا عن ادباء القرن الماضي. فلا جرم انهُ فاتتنا امور شتَّى كان حقّها ان تُذكر في جملة مرويَّاتنا. فان شاء الله نسدُّ هذا الخلل في طبعة ثانية. ولنا الامل الوطيد بانَّ اصحاب النَّقد يوقفوننا على ما يؤدي بنا الى اصلاح العمل وزيادة تحسينهِ ولهم الشكر سلفًا

ل. ش

الآداب العربيَّة

في

القرن التاسع عشر

الجزء الثاني

الفصل الأوَّل

الآداب العربيَّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

جرينا شوطاً اوَّل في عدَّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدَّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدَّةً ريثما نجمع قوانا نتواصل الجري في هذا الميدان وهو لعمري مجال جديد يتسع امامنا فتتوفَّر ركبانهُ وتتمر فتفوت الاحصاء فرسانهُ. ولولا ثقتنا بلطف القرَّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكففنا القلم واوقفنا اليراع لئلَّا يشرد بنا عن سواء السبيل. فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكرهِ ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام. ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيَّة فانَّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيَّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنتها فانَّ دويَّ الحرب السبعينيَّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادت عليها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدًّا لخللهم ومنجاةً من خمولهم. وكان السلام سائدًا والامن متوطدًا في الممالك المحروسة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لا سيما سوريَّة ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد مدَّت عليها رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمُّها الاعظم الترقي في معارج التمدن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيهِ رأى ارباب الدين الشرقيّون ترقّي اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبّوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف. وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذه البلاد فأخذوا يجدّون ويسعون بما عُرفوا بهِ من علو الهمم ليبعثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف. وكذلك المرسلون الاميركان فانّهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبان بذور المعارف والعلوم المستجدَّة. ويا حبَّذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتَّخذوا العلم وسيلةً لتقويض المبادئ الصحيحة ومناواة الدين القويم

ومما خُصّ بهِ هذا الطور الذي نحن في صدده انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصُّها الكليَّة الاميركيَّة التي خرجت في ذلك الوقت من قماطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور ڤان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميَّة قدوةً بالشيخ الطهطاوي بمصر ففتحت ترجمتها بابًا جديدًا طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريَّة. وكانت المطبعة الاميركيَّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهدًا طويلًا كاساس التعليم في الكليَّة الاميركيَّة وبعض المدارس الوطنيَّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرّت عمدة المدرسة الاميركيَّة الى استئناف التدريس باللغة الانكليزيَّة

وكان النجاح الذي فاز بهِ اصحاب الكليَّة الاميركيَّة باعثًا للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء مللهم من الاضاليل البروتستانيَّة. وكان اليسوعيون اوَّل من تحفَّز لمناهضتهم فعزَّزوا مدارسهم الثانويَّة في غزير وبيروت وصيداء ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليّة في بيروت تباري كليَّة الاميركان وتقدّم لابناء الشرق مناهل العلوم صافيةً من كل رنق يكدّرها. فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيَّدت ابنية كليتنا الكاثوليكيَّة ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٤ فنالت من كرم الكرسيّ الرسوليّ كل انعامات الكليَّات بمنح شهادات العلوم الدينيَّة لمستحقيها كما انَّ الدولة الفرنسويَّة اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيُّون جريدتهم البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيَّة فصار لها رواج كبير ولم تزل تكبر وتتحسن حينًا تلو حين. وها قد مرَّ عليها اليوم نحو

٤٠ سنة وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكيَّة باسرهم

وفي هذه المدَّة ايضاً ترقَّت المطبعة الكاثوليكيَّة بهمَّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلَّف عن المطبعة الاميركيَّة في شيء. فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهَّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانهِ الطيب الذكر الاخ الياس ماري الى عواصم اوربَّة ليدرس فنّ الطباعة على احذق الطبَّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيَّة في مطبعتنا ومطابع البلدة. وكذلك تعلَّم غيره من رهباننا فنّ الحفر وسبك الحروف واصطناع امهاتها فاغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربيّة والسريانيَّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيَّة والعلميَّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفًا واتقنها طبعًا الكتاب المقدس في ثلاثة مجلَّدات مزيَّنًا بالتصاوير والنقوش وكان الآباء المرسلون لم يدَّخروا وسعًا في تعريبهِ عن اللغتين الاصليَّتين العبرانيَّة واليونانية ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيَّة يهتمّون بالكتب المدرسيَّة وكانت قبلهم عزيزة جداً لا يصل اليها الاحداث الَّا بعد شقّ النفس فتوفَّرت الكتب التعليميَّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقيًا ونجاحًا

وكانت بقيَّة الرسالات اللاتينية تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللعازريون كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة. وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانويَّة في حلب علَّموا فيها اللغات واصول الآداب.

ولم تتأخر الطوائف الشرقيَّة في هذه الحلبة. فانهُ تعيَّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيّب الذكر طوبيًّا عون احد رجال العلم والعمل السيّد المبرور يوسف الدبس فافرغ الوسع في ترقية ابناء رعيتهِ في معارج التمدُّن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٤ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمتْ فروعها وبسقت افنانها وينعت ثمارها الى يومنا هذا وكثير من المتخرجين فيها يتقلَّدون الآن المناصب الجليلة ويخدمون وطنهم بنشاط عظيم. ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطاق الآداب مطبعتهُ العموميَّة الكاثوليكيَّة التي

اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق الله خضرا فنشر فيها مجموعاً واسعاً من المطبوعات الدينيَّة والادبيَّة والمدرسيَّة منها قسمٌ كبير من قلمه

وفي هذه المدة ثبت قدم جمعيَّة المرسلين اللبنانيين التي أسسها المطران يوحنَّا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عدداً وفضلاً بهمَّة منشئها الفاضل

اما الروم الكاثوليك فانَّ مدرستهم البطريركيَّة بلغت في هذه الآونة اوج عزّها بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها . وكان جلّ اهتمامها اتقان اللغة العربيَّة بفروعها . وعُني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أخرى لابناء طائفته في دمشق فسلَّم ادارتها لكهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديدة كالمطبعة السليميَّة لسليم افندي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثدكس ومطبعة جمعيَّة الفنون . وقد ظهرت في كل هذه المطابع تآليف متعدّدة نشرنا في المشرق اسماءها . وكذلك الجرائد والمجلَّات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق المراقبة . والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَض عليها الَّا اذا خرجت عن طورها وتعدَّت حدودها . وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلم بطرس البُستاني وعهد بتحريرها الى ابنهِ سليم سنة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيَّة وهي الجنَّة والثانية يوميَّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطل مدَّتها . امَّا الأوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة البستانيَّة شهرة بفصولها . وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبها صاحب السعادة عبد القادر افندي القبَّاني فخدمت مصالح الأُمة الاسلاميَّة بلا ملل الى عامنا الحاضر . وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين مكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة ينشرون مجلَّة علميَّة صناعية زراعية دعوها المقتطف واودعوها كثيراً من المقالات العلميَّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطَّتهم الحرَّة الى هذه السنة وهي الرابعة والثلاثون من اوَّل ظهورها . وفي هذه المجلة من المنافع ما لا يُنكر لولا انَّ كتبتها صوَّبوا غير مرَّة سهامهم للتعاليم الدينيَّة والفلسفيَّة ونسبوا الى العلم ما هو بريءٌ منهُ كما بيَّنَّا لهم الامر احياناً عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

امَّا في بلاد الشرق خارجاً عن الشام فانَّ الآداب العربيَّة فيها لم تَخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقّ الذكر. وانَّما كانت المطابع المصريَّة وخصوصاً مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها. وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرَّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسماً حسناً من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنَّفات الثعالبي. ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل فانهُ نشر هناك فضلًا عن الكتب الدينية عدَّة تآليف حسنة عزَّزت في القلوب محبة الآثار العربيَّة

وفي هذا الطور أُصيبت الآداب العربية ببعض التأخُّر في الاصقاع الاوربيَّة لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تَدُم مدَّةً طويلة لانَّ الامور بعد زمنٍ اخذت في السكون والهدوء وعاد العلماء الى دروسهم بل اتَّسع نطاقها فامتدَّت في المانية وانكلترَّة وأُنشئت كلّيات جديدة كان للغة العربية فيها الحصَّة المشكورة. وقد شُكّلت جمعيَّات شرقية في ايطالية والنمسة بثّت همم اهلها على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الاوربية تغني كل يوم لغتنا بمطبوعات يخرجها المستشرقون من دفائنها ويحيونها بعد موتها نخصّ منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيرًا من اجود تآليف قدماء العرب

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأناً عند النصارى منها عند المسلمين وانَّما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبية من شعر ونثر وخلَّفوا منها آثارًا طيّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهاً بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاويّ) كان رفاعة بك من اشراف طهطا من مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء ولما وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان الدهر اخنى على اسرته فذاق في حداثتهِ مرائر العيش ثم انتقل بعد وفاة والدهِ الى القاهرة سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر وطلب العلوم برغبة حتى روي منها واحبَّهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدَّموهُ. ونما خبرُهُ الى محمد علي باشا امام الدولة الخديويَّة

فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقَّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغة الفرنسويَّة حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسياً وسمهُ «بقلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر» فكان ذلك داعياً لترقيتهِ في المناصب فقلَّده محمد علي وظيفة الترجمة في المكتب الطبّي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عدَّة تآليف افرنجيَّة مستحدثة ثم عرَّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيَّة وغيرها. وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الأجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلَّغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاهُ الخديوي بمنحهِ رتبة قائمقام ثم رتبة اميرآلاي وأرسل مدَّةً الى الخرْطوم لنظارة مدرستها وتولَّى نظارة المدرسة الحربية في مصر. ولم يزل يتقلَّب في المناصب وادارة المدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة. وهو الذي باشر انشاء اوَّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢). وتولَّى في آخر حياته ادارة جريدة روضة المدارس. ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضهـا من تآليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومباهج الالباب المصرية وكتاب تاريخ مصر الحديث واكثرها من ترجمتهِ كجغرافيـة ملطبرون واخبار تليماك وهندسة ساسير ورسائل طبيَّة ولهُ غير ذلك من التآليف والمقـالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمـة كتبهِ الّا انهُ سبق اهل وطنهِ بتعريب التآليف الغربية فنال فضلًا بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها:

ألا ما لحرف المجد دامٍ ودامعُ على وجنة العلياء هامٍ وهامعُ

الى ان قال مشيرًا الى فهمي افندي نجل المتوفَّى :

وكادت عميدُ الارض لو لم يكن بها لهُ خلفٌ يحيي المـآثرَ بارعُ

(عبد الغفَّار الاخرس) هو السيد عبد الغفار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق كان مولده في الموصل بعد السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمَّ نشأ في بغـداد واتخذها موطنًا وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الالوسي كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازة ثمَّ درس العلوم العقليَّة والفنون العربيَّة فاتقنها وتعـاطى فنّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنهُ انَّ اليهِ كانت النهاية في

دقة الشعر ولطافتهِ وحلاوتهِ وعذوبتهِ . وكان مع ذلك في لسانهِ تلعثم وثقل فدُعي بالاخرس لسببهِ . قيل انهُ في شبابهِ كتب الى داود باشا والي العراق ابياتاً يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانهِ قائلًا :

انَّ اياديك منك سابقةٌ عليَّ قدمًا في سالف الحُقُبِ
هذا لساني يعوقهُ ثقلٌ وذاك عندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسببتَ في معالجتي لَنلتَ اجرًا بذلك السببِ
وليس لي حرفةٌ سوى ادبٍ جمٍّ ونظم القريض والخطبِ
فقلت قد مضت دولةُ الادبِ من بعد داودَ لا حُرمتُ منى

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ : انا اعالج لسانك بدواء امَّا ان ينطلق وامَّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود . فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال : لا ابيع كلّي ببعضي . وكرّ راجعًا الى بغداد . وكان يتردَّد الى البصرة لما عرف في اهلها من السخاء ومحبة الغرباء ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانهِ وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي . وكان لهُ شعر كثير متفرّق جمعهُ احمد عزَّت باشا العمري بعد وفاة صاحبهِ وقد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٤ (١٨٨٦م) . فمن شعره قولهُ يصف سفره من البصرة الى بغداد على سفينة بخاريَّة :

قد ركبنا بمركب الدخانِ وبلغنا بهِ اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت فهي مثل الافلاك بالدورانِ
ثمَّ سرنا والطير يحسدنا بالامس لاسراعنا على الطيرانِ
يخفق البحر رهبةً حين يجري والذي فيهِ كائنٌ في امانِ
كلَّما ابعد البخارُ هسرى قرَّب السيرهُ بُعْدَ كلّ مكانِ
أتقنت صُنعَهُ فطانةُ قومٍ وصفوهم بدقّة الاذهانِ
ما اراها بالفكر الّا اناسًا بَقيتْ منْ بقيّة اليونانِ
ابرزوا بالعقول كل عجيبٍ ما وجدناهُ في قديم الزمانِ
وبنوا للعلى مباني علاءٍ عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الزمانِ علمٌ وفخرٌ ومقامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح عبد الباقي افندي الفاروقي . ورثاه بعد موتهِ بقصيدة اوَّلها :

١) وفي الاصل : فهموا وهو تصحيف . وكذلك قد تصحَّف البيت الخامس فاصلحناه

مالي اودّع كل يومٍ صاحباً ... اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ
وأُصارم الاحبابَ لا عن جفوةٍ ... مني ولا متعرّضًا لشقاقِ
فارقتُهم ومدامعي منهلّةٌ ... وجوانحي للبين في احراقِ

الى ان قال:

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً ... واجلَّها فضلًا على الاطلاقِ
وفقدتُ مستَنَد الرجال اذا روت ... عنهُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجعي وشرعةُ منهلي ... ومناطُ فخري وارتياد نِياقي
كانت لهُ الايدي يطوّقني بها ... مننًا هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقولهِ:

رزءٌ أُصيب بهِ العراق فأرّخوا ... رزء العراقِ بموت عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعًا بعض الكرام اسمهُ يوسف:

مولاي قد حان الوداع ... وقد عزمتُ على المسيرِ
كم زرتُ حضرتك التي ... ما زلتُ منها في حبورِ
ورجعت عنك بنائلٍ ... غمرٍ وبالخير الكثيرِ
والله يعلمُ انني ... عن شكر فضلك في قصورِ
يا مفردًا في عصرهِ ... بالفضل معدومَ النظيرِ
يا يوسفُ البدر الذي ... يسمو على البدر المنيرِ
ما لي بغيرك حاجةٌ ... كغنى الخطير عن الحقيرِ
وسواك يا مولاي لا ... واللهِ يخطرُ في ضميري
ما كل ورّادٍ يفوزُ ... بمورد العذب النميرِ
لا زلتَ اهلًا للجميل ... مدى الليالي والشهورِ

ومما لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائرٍ:

أَلا قطع الرحمن كلَّ مقاطعٍ ... مضرٍّ بما يقضي بهِ غير نافعِ
وراضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعِ ... وقاضٍ يجور ما لهُ من مُضارعِ
على انهُ بالعسفِ اقطعُ من ماضِ

فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ ... وقد راح في غيٍّ لهُ وغوايةِ
فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ ... قضى ومضى لكن الى كلّ غايةِ
من الخزي لا يحظى بها ابدًا قاضِ

بُلينا بقاضٍ جائرٍ غير عادلٍ ... يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلِ
ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلٍ ... يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلِ
وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(الحاج عمر الانسيّ) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويّها والعراق باخرسها كانت بيروت تأنس بانسيّها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبها بالصقعان. وُلد الانسيّ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) في بيروت واخذ العلوم عن الشيخين محمَّد الحوت وعبد الله خالد وقد قلّدتهُ الحكومة السنيَّة عدَّة مناصب كنظارة النفوس في لبنان وعضويَّة مجلس ادارة بيروت ومديريَّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلَّب فيها كلها واظهر فيها درايةً وعفَّة نفس وعلوّ همَّة. وكانت وفاته في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م). وقد وصفهُ مَن عرفهُ بحسن المعشر وانس المحضر والصدق والاستقامة. وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنَّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) بهمَّة نجلهِ السيّد عبد الرحمن افندي. وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات. ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ :

واذا اردتَ قصيدةً نبّه لها عُمَرًا ونَمْ
الشاعرُ العربيّ ذو الـغُرَرِ التي سَبَتِ العَجَمْ
في المكرمات لهُ يدٌ والى الصواب لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأنها صيدُ الحَرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر. قال في التقى:

عليكَ بتقوى الله والصدقِ انَّما نجاةُ الفتى يا صاحِ بالصدقِ والتُّقى
وقسْ حال ابناء الزمان بضدّهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد:

رغبتُ عن الدنيا وزُخرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انَّما العيشُ في الأخرى
فدعني وزهدي في الحُطامِ فانّني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحة الكبرى

ومن ظريف هجوهِ ما قالهُ في غلام قهوجيّ يُدعى هلالًا :

تعسَ الهلالُ القهوجيّ لأنهُ قد قطَّعَ الانفاسَ من انفاسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في راسهِ

وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ :

شكا ثِقل الذنوب لنا ثقيلٌ فقلتُ لهُ استمع لبديع قيلي
ثلاث بالتناسب فيك خُصّت فلم توجد بغيرك من مثيلِ
ذنوبك مثل روحك ضمن جسم ثقيلٍ في ثقيلٍ في ثقيلِ

ومن رثائهِ قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١ من ابياتٍ :

فقدنا اديباً كان طرس يراعهِ اذا خطَّ سطرًا نال من خطّهِ شطرا
اخا شيمٍ قد اعجزت عن مديحها لساني فامسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعمًا بانَّ الثرى عن اعيني يحجبُ البدرا ...
فكم لك في الاداب لطفُ شمائلٍ اذا ما نشرنا ذكرها نفحت نشرا
وكم لك من ابيات شعر حريَّةٍ بها أن تُحلّي جيدَها الغادةُ العذرا
ألا يا بني النقَّاش لا يحزننَّكم بكًا وسَّع الاجفان او ضيَّق الصدرا
أرى الدهر لما قسَّم الحزنَ خصَّنا بتسعة اعشارٍ وحمَّلكم عشرا ...
فآسف لو كان التأسُّف نافعًا عليهِ ولكنَّ الثناء لهُ احرى

(الالوسيَّان عبد الله وعبد الباقي) وفي هذه المدة قضى اثنان من الالوسيين نحبهما في العراق. وهما ابنا السيد العلّامة شهاب محمود افندي الالوسي الذي سبق لنا تعريف فضلهِ (المشرق ١١ : ٢٧٣) اعني عبد الله وعبد الباقي . فالسيد عبد الله بهاء الدين افندي ولد سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) فقال السيد عبد الغفَّار الاخرس مؤرخًا لمولدهِ :

ليهنيك يا نحريرَ اهل زمانهِ ويا كاملًا عنهُ غدا الطرفُ قاصرا
بطفلٍ ذكيٍّ قد اتاك وانما يضاهيك بالاخلاق سرًّا وظاهرا
وبشَّرتني فيهِ فقلتُ مؤرخًا بمولد عبد الله نلتَ البشائرا

فلمَّا ترعرع اخذ العلوم عن والدهِ الى ان أُصيب بوفاتهِ وهو اذ ذاك ابن اثنتين وعشرين سنة فجزع لموتهِ وكاد لحزنهِ يلحق بابيهِ . ثم انكبَّ على الدرس واجتمع ببعض افاضل وطنهِ فما لبث ان فاقهم واقبل على التدريس فحصل بهِ على شهرة واسعة وانتظم في سلك اهل الطريقة النقشبنديَّة ثم بُلي بانواع الاسقام فخرج من وطنهِ قاصدًا الاستانة العليَّة لكنَّ اشقياء العربان نهبوا اثقالهُ فعاد الى بغداد صفر اليدين. وفي آخر امرهِ تولَّى القضاء في البصرة فاكرمهُ اهلها وعرفوا قدرهُ لولا انهُ تأذَّى بحمَّياتها القتَّالة فخرج منها بعد سنتين ولسان حالهِ ينشد مع معاصرهِ الشيخ صالح التميمي :

ومتى تسيرُ ركائبي عن بلدةٍ ابدًا اقام فناؤها بفنائها
لا فرق بين شمالها وجنوبها وقبولها ودَبورها وصباها
ما ان تحرَّكت الغصونُ بارضها الَّا تحرَّك في الجسوم اذاها
اشجارها خضرٌ واوجهُ اهلها صفرٌ محا كسفُ السقامِ بهاها
لولا قضاء اللهِ حتمٌ واجبٌ أبتِ المروءة ان ادوسَ ثراها

فما وصل الى بغداد حتى مات بعد ايَّام ١٢٩١ (١٨٧٤) ولهُ من العمر ٤٣ سنة وكان السيّد عبد الله كثير التديُّن ليّن الجانب محبًّا للفقراء لا يأنف من مخالطتهم وقد امتاز بحسن نثرهِ وجزالة تعبيرهِ · ومن تآليفهِ رسائل ومقالات مفيدة وشروح في علمي المنطق والبيان وألَّف كتاب الواضح في النحو وكتابًا في آداب الصوفيَّة

امَّا اخوهُ فهو السيّد سعد الدين عبد الباقي وقع مولدهُ سنة ١٢٥٠ فأرخهُ الشاعر عبد الحميد الاطرقجيّ :

طربًا بمن سرَّ الورى ميلادُهُ وسرى نسيم اللطفِ في الآفاقِ
يا سادتي بشراكمُ فيمن بدا متخلّقًا بمكارم الاخلاقِ
فردًا أتى وبهِ استغنتُ مؤرخًا تمَّ السرورُ لكم بعبد الباقي

اخذ عن والدهِ كأخيهِ ثمَّ عن الشيخ عيسى البندنيجيّ وزار الحجاز وتولَّى القضاء في كركوك مركز ولاية شهرزور ثم في مركز ولاية بتليس وسافر الى دار السعادة ولهُ عدَّة مصنَّفات اخصُّها القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي واوضح منهج في مناسك الحجّ الذي طُبع في مصر واسعد كتاب في فصل الخطاب وغير ذاك ممَّا يشهد لهُ برسوخ القدم في المعارف · توفي في مصر سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

(ابو النصر عليّ) واشتهر في مصر في هذه الحقبة الاديب المصري ابو النصر علي ولد في منفلوط وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠—١٨٨١) نظم الشعر في مقتبل الشباب واصبح من فرسان ميدانهِ فنما خبرهُ الى خديوي مصر اسماعيل باشا فقدَّمهُ واجازهُ ولابي النصر عدَّة قصائد غرَّاء فيهِ وفي امراء الدولة الخديويَّة وقد رافق اسماعيل باشا لمَّا رحل الى الاستانة ثم مدح بعدهُ الحضرة التوفيقيَّة · ولابي النصر ديوان كبير طُبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ ضمَّنهُ اقوالًا منتخبة في كل ابواب البلاغة ومعاني الشعر فممَّا استحسناهُ قولهُ في الخمر وقد نحا في وصفهِ طريقة الصوفيين :

بيتُ كرمٍ دونها بنتُ الكرامْ وهي بكرٌ زفَّها ساقي المدامْ
شمسُ راحٍ في اصطباحٍ اشرقتْ في سماء الكاس كالبدر التمامْ
كم تجلَّى كأسُها عن لؤلؤٍ من حُبابٍ كالدراري في انتظامْ
انَّ لي عنها حديثًا سرُّهُ لا يُضاهَى وهي لي اقصى المرامْ
لو درى اهلُ التقى اسرارها لسقوا ابناءهم قبل الفطامْ
لا تسَلْني عن معانيها وسَلْ عن حُلاها وسناها باحتشامْ

قال صِفها قلتُ دَعْني انَّها صورةٌ كالجسم عندي والسلامْ
قال زدْني قلتُ ما المسئول عنـها بادرى منها يا هذا الغلامْ
قال قلْ في كرمها مخلوقـةٌ نزهةٌ للناسِ من سامٍ وحامْ
ما رآها عابدٌ الّا انثنى عن سجودٍ وركوعٍ وقيـامْ
راحةُ الارواحِ في اقداحها انبأتنا انَّها تُبري السقامْ

وهي طويلة. ومن حسن شعرهِ قولهُ يصف سفر الحضرة التوفيقيَّـة الى الصعيد سنة ١٢٨٧:

زار في موكبٍ كعقد اللآلي فازدهى بالقـدوم صفو الليالي

الى ان قال:

فازدهى رونقُ الصعيـد جمالًا وتجلَّت ارجاؤهُ بالجلالِ
وروى النيلُ عن رُواهُ حديثًا يشرحُ الصدر شرحهُ في المقالِ
حيث دُقَّت بالشاطئَين طبولٌ والاهالي تفوقُ عدَّ الرمـالِ
وتلاقوا بضمَّرٍ سابقاتٍ فترى الليث فوق ظهر الغزالِ
وتوالوا في سيرهم فاضلاتٍ حليةُ البيض بين سُمر العوالي
وجميعُ البلادِ ابدت سرورًا ناشراتٍ أعلامهـا بابتهالِ
حلَّ في منيةِ الخصيب فسُرَّت وتقوَّى سلطانُهـا بالكمالِ
زار في منفلوط بيت اميرٍ زادهُ رفعـةً بحسن احتفالِ
وباسيوط لا تسَلْ حين وافى عن بلوغ المنى وفيضِ النوالِ
وبُعدن الصعيـد ما زال يرقى بدرُ تشريفهِ بلطف انتقـالِ
نسـألُ الله عصمةً ونجاحًا وبقـاءً لهُ وحسنَ مآلِ
وثنائي عليـهِ اوَّل فرضٍ والوفا بالثناء فرضُ محالِ

ومن اقوالهِ يعاتب دهره:

إلامَ تصوّبُ الأوهـامُ غيًّا وتنشرُ ما طواهُ الرشـدُ طيًّا
وفيمَ تقودُنا الأطماعُ طوعًا الى مـا يُغضب الحرَّ الابيَّا
وحتّامَ التشوّقُ للمعالي وما هزَّ الشجاعُ السمهريَّا
أبعد الحقّ تُنتظَر الاماني ويُفرَضُ ميتَ الآمـالِ حيًّا
اذا كنَّا مع الاحياء موتى فهيًّا نلحقُ الاموات هيًّا
شربتُ من الأسى عَلَلًا ونَهلًا فزدتُ صدًى وما ألفيتُ ريًّا
وكم جبتُ المهامـهَ كي أُلاقي بمُنتَجعي جوادًا او تقيًّا
فذاك اراهُ مختـالًا فخورًا وهذا قصـدهُ يُدعى وليًّا

كأنَّ ذوي التُقى ماتوا جميعًا | وان الله لم يخلق سخيّا
وكم طفتُ البسيطة لاختبارٍ | فلم ارَ في الورى خلًّا وفيّا
فمهد عاذلي عذري والّا | فقُلْ ما شئتَ واهجرني مليّا
ألم ترَ ان للدهر اجتراءً | على من ظنّهُ فطنًا ذكيّا
يجرّعهُ على مُضَضٍ كؤوسًا | ويكتبهُ بلا سببٍ شقيّا
وربّ جهالةٍ افضت لعزٍّ | وعلمٍ اورث الذلّ الرديّا
وكم من ماجدٍ عانى خطوبًا | ومن شكوى الزمان غدا بريّا
فلا تعجب وُقيت السوءَ وانظرْ | تجدْ ربّ البلاغةِ سيمَ عيّا
ومَنْ في الناس ليس لهُ خلاقٌ | يقابَلُ بالمهابةِ اذ يحيّا
فكنْ رجلًا لهُ في الارضِ رجلٌ | وهامتُهُ عزّهِ فوقَ الثريّا
فاني لستُ مبتغيًا حياةً | تُبدّل صُبْح افكاري عشيّا
ولا ارضى مسالمةً بضيمٍ | أيرضى الضيم من يُدعى سريّا
سأركبُ ضامرًا واهزُّ رمحًا | واغمد في الرؤوس المشرفيّا
واخترقُ الصفوف ولا أبالي | اذ مدَّ الحمامُ يدًا اليّا

ولابي النصر رحلتان الى القسطنطينيّة كانت الاولى في ايام السلطان عبد المجيد موفدًا من محمّد عليّ الكبير وانشد حينئذٍ شيخ الاسلام قولهُ يمدح القسطنطينيّة:

وكنّا نرى مصر السعيدة جنّةً | ونحسبُها دون البلاد هي العليا
فلمّا رأت دارَ الخلافة عيننا | علمنا يقينًا انها لهيَ الدنيا

وكانت رحلته الثانية مع الخديوي اسماعيل باشا وصادف دخولهما الاستانة يوم عيد جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) فقال ابو النصر يمدح الحضرة السلطانيّة بقصيدة مطلعها:

تبسّمتِ الازهار عن لؤلؤ القطرِ | ففاح شذاها في الحدائقِ كالعطرِ

ومنها في مدح السلطان:

افادَ العلى جاهًا وعزًّا مؤبّدًا | وألبسها من مجدهِ حلل الفخرِ
وابدى لأعلام التقدُّمِ مظهرًا | بهِ مملكةٌ يعلو تعلى دولِ العصرِ
واحيا لاحياءِ العُلى كلّ دارسٍ | فاضحت قلاع الثغر باسمة الثغرِ
وجدّد في عهد قريبٍ بواخرًا | بها قوّةُ الاسلام محكمةُ الامرِ
برونقها تكسو الفخار مهابةً | وتعلو بما حازت على الانجم الزُهرِ
لهُ من رجال الحرب جيشٌ عرمرمٌ | لهم هِمَمٌ في الفتك بالبيض والسمرِ
مدافعهم شمُّ الانوفِ على العدى | تخرُّ لها شمُّ الجبالِ من الصخرِ

واسيافُهم في السِلْمِ يحلو صيامُها متى جُرِّدت مالت الى الفطر بالنحرِ

وختمها بهذا التاريخ:

وها انا في البُشرى اقولُ مؤرِّخًا جلوسُكَ عيدُ الدهر ام ليلة القدرِ

(محمود صفوت) ومن معاصري ابي النصر علي وطنيُّهُ محمودُ افندي صفوت بن مصطفى اغا الزيلع الشهير بالساعاتي ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وبها توفي سنة وفاة ابي النصر ١٢٩٨ (١٨٨١) لزم الآداب واشتهر بنظمه ونثرهِ حتى عُدَّ فيهما من المقدَّمين. وتوجَّه الى الحجاز ودخل على امير مكة فاكرم مثواهُ وابقاهُ عندهُ مدَّةً ثم عاد الى وطنهِ وفيهِ قضى بقيَّة حياتهِ. ولمحمود افندي صفوت ديوان شعر مخطوط في الكتبخانة الخديويَّة لم يُنشر بالطبع. فمن ذلك قولهُ يفتخرُ:

ولع الزمان واهلهُ بعداوتي انَّ الكرام لها اللئامُ عداء

أتحطُّ قدري الحادثاتُ وهمَّتي من دونها المرِّيخُ والجوزاء

هيهات تخضمُ جانبي وعزائمي مثل البواتر دأْبها الإمضاء

صبرًا على كيد الزمان فانَّما يبدو الصباحُ وتنجلي الظلماء

ولهُ في رثاء عالم:

بكت عيون العلا وانحطَّت الرُّتَبُ ومزَّقت شملها من حزنها الكتُبُ

ونكَّست رأسها الاقلامُ باكيةً على القراطيس لمَّا ناحت الخطبُ

وكيف لا وسماء العلم كنت بها بدرًا تمامًا فحالت دونك الحجبُ

يا شمسَ فضلٍ فدتك الشهبُ قاطبةً اذ عنك لا انجمٌ تُغني ولا شهبُ

لمَّا اصابك لا قوسٌ ولا وترٌ سهم المنيَّة كاد الكون ينقلبُ

ما حياةُ العبد والاقدارُ سارية العمرُ يوهَبُ والاقدار تنتهبُ

(صالح مجدي بك) وفي السنة ذاتها ١٢٩٨ (١٨٨١) توفي آديب آخر من نوابغ كتبة مصر السيّد صالح مجدي بك. ولد في ابي رجوان من مديريَّة الجيزة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وبعد انهُ تلقَّى مبادئ العلوم العربيَّة ودرس اللغة الفرنسويَّة الحقهُ استاذهُ رفاعة بك الطهطاوي بقلم الترجمة ثم عهد اليهِ تدريس اللغتين العربيَّة والفرنسويَّة في المدرسة الهندسيَّة الخديويَّة وعهدوا اليهِ تعريب كتب علميَّة الفرنج فعرَّب منها عددًا وافرًا في رسم الامكنة والطبقات الجيولوجيَّة والميكانيكيَّات والحساب والجبر والهندسة والفلكيَّات والفنون الحربيَّة كبناء الحصون ورمي القنابل الى ان تولى رئاسة الترجمة وجعلهُ

اسماعيل باشا في المعيَّة السنيَّة وولّاهُ مناصب أُخرى وكان آخر ما عُهد اليهِ قضاء القاهرة فلزمهُ الى وفاتهِ. وكان صالح بك يحسن الانشاء وفنون الكتابة وقد نشر مقالات عديدة اجتماعيَّة وسياسيَّة وادبيَّة في جرائد مصر كروضة المدارس والوقائع المصريَّة. واشتغل بتأليف مطول لتأريخ مصر مع علي باشا المبارك ولهُ ديوان شعر واسع طُبع في بولاق سنة ١٣١٢

ومن شعر السيد صالح بك مجدي قولهُ سنة ١٢٨٩ يهنّئ جناب الخديوي اسمعيل باشا عند رجوعهِ من الاستانة:

مع النصر وافى مَن عليهِ المعوَّلُ ... ومن هو في ايَّامهِ الغرّ اوَّلُ
ومن هو للاوطان والملك والملا ... ملاذٌ وحصنٌ لا يُرامُ وموئل
ومن تملأ الدنيا مهابتُهُ التي ... بها الاسدُ في آجامها تتجدَّلُ
ومن فاض من يمناهُ ماء سماحةٍ ... فأحيا بلادًا اهلها قد تموَّلوا
ومن شاد اركان المعالي بهمَّةٍ ... يقصّرُ عن ادراكها مطوّلُ
وقد جاءت البشرى بذاك فزُيّنت ... لمقدمهِ مصرٌ وفازَ المؤمّلُ
وأُثنت على دار الخلافة عندما ... رأتهُ بها يعلو وشانيهِ يسفلُ
فعش ما تشا في دولةٍ انت ربّها ... ومجدك فيها من قديم مؤثّلُ
وقد قلتُ في يوم القدومِ مؤرّخًا ... الى مصر اسمعيلُ بالبشر مقبلُ

وقال من قصيدة يهنئهُ بها في اوَّل العام:

بالبشر في مصرَ لاحت غرَّةُ العامِ ... تزهو بنورِ مليكٍ للحمى حامي
تزهو بنور مليكٍ غيثُ راحتهِ ... في الكون طول المدى بين الورى هامي
هو الخديوُ الذي اوطانهُ نشرت ... للفضل في عصرهِ مطويَّ أعلامِ
وللتمدُّن مدَّت باعها والى ... اوج العلى سارعت من غير احجامِ
فيا لهُ من حكيم بالعلاج محا ... ما كان في جسمها من فرط اسقامِ

ولهُ في حسين باشا ناظر المعارف والاوقاف والاشغال العموميَّة:

لجنابك العالي ثلاثُ مصالحٍ ... نُظمت بسمطَي عسجد ولُجَينِ
واضاء منك جبينُها برئاسةٍ ... اعمالُها منشورةُ العلَمَينِ
ونمت بها بركاتُ اوقافٍ روت ... مصرًا وقد فاضت على الحرمَينِ
وبحزمك الاشغالُ زاد نجاحها ... ونجازُها في السهل والجبلَينِ
ولك المعارف غرَّدت ابناؤها ... بمدائح الاجداد والابوَينِ

وبديعُ نظمٍ كامل في كاملٍ من مخلصٍ بالقلب والشفتينِ
من مخلص لك في الثناء بدولةٍ اضحيت فيها حائزَ الشرفَينِ

وختمها بهذا التاريخ:

والمجد في علياك قال مؤرخاً زمنُ المعارف مُشرقٌ بحُسَينِ (١٢٨٩)

(ابو السعود افندي) ومن مشاهير ادباء مصر في ذلك الوقت ابو السعود افندي عبد الله المصري ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة ودرس في المدرسة الكليَّة التي انشأها محمَّد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانهِ . ثم ندبتهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصل دروسهُ ويعكف على التأليف شعرًا ونثرًا. وحرَّر مدَّة في جريدة وادي النيل وكاتب أُدباء زمانهِ . ونقل بعض كتب الفرنج الى العربيَّة . ومن تآليفهِ كتاب منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتيّ ووضع تاريخًا لفرنسة الحقهُ بتاريخ ولاة مصر من اوَّل الاسلام دعاهُ بنظم اللآلي. وباشر بترجمة تاريخ عامّ مطوَّل وسمهُ بالدرس التامّ في التاريخ العامّ طُبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان طُبع في القاهرة اودعهُ كثيرًا من فنون الشعر كالمديح والمراثي والفراقيَّات . ونبغ في المنظومات المولَّدة كالمواليا والموشَّحات. ولهُ ارجوزة نظم فيها سيرة محمَّد علي باشا كثيرة الفوائد بيّنة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت. ولهُ غير ذلك ممَّا تفنَّن فيهِ وسبق آل عصرهِ توفي ابو السعود افندي في ربيع الاوَّل سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨). وقد رثاهُ احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها:

خُلِق الهبوطُ مع الصعودْ ومع القيامِ بدا القعودْ

الى ان قال:

ليس البكاء لغادةٍ ابدت لمغرمها الصدودْ
لكنَّهُ لمَّا قضى ربُّ القريضِ ابو السعودْ
من لم يُجِبْهُ بدمعهِ فكأنَّما نقضَ العهودْ
فهو الحريُّ بان تذوب عليهِ بالاسفِ الكبودْ
بحرٌ تدفَّق ماؤهُ لكنَّهُ عذبُ الورودْ
بقريحةٍ سالت على ارجائها سَيْلَ العهودْ
كم انتجت نُخَبًا لهُ فكأنَّها الامُّ الوَلودْ

ابدًا توقَّدُ بالذكا ء فليس يعروها خمودْ
نشبت مخالبها المنيّـةُ فيهِ وهو من الاسودْ
لا غروَ ان صعدَ السما بين الملائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملـنَ سريرهُ لمَن الشهودْ

(الحاج حسين بَيهم) وفي آخر هذه الحقبة في صفر من سنة ١٢٩٨ (٢٤ ك الثاني ١٨٨١) فقدت الآداب احد اركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بَيهم كان والدهُ عمر من اعيان المدينة وادبائها رثاهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ سنة وفاتهِ ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها:

زُرْ تربةً في الحمى يا ايها المطرُ وقُلْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ومنها:

في شخصهِ الدين والدنيا قد اجتمعا وذاك يندرُ ان تحظى بهِ البشرُ

ولد حُسين ابنهُ سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصًا على تحصيل مسائل العلم وفنون الادب فاخذ عن علماء ملّتهِ كالشيخ محمَّد الحوت والشيخ عبد الله خالد. وبعد ان تعاطى التجارة زمنًا يسيرًا انقطع الى العلم ونال بهِ شهرةً ثم نظم الشعر فصارت لهُ بهِ ملكة راسخة بحيث كان يقولهُ ارتجالًا في المحافل ويخرجهُ على صور مبتكرة تطرب لهُ الاسماع. وقد ولّتهُ الحكومة عدَّة مناصب كنظارة الخارجيّة ورئاسة الاحكام العدليَّة ثم أُعيدت اليهِ الخارجيَّة فقال في ذلك:

انَّ الفؤاد لهُ في الملك معرفةٌ فالخارجيّـةُ لم تترك نظارتَهُ
لذاك سلطاننا المنصور ردَّ لهُ مع حسن انظارهِ ارّخ بضاعَتَـهُ

ولمَّا وُضع القانون الاساسيّ وفُتح للمرَّة الاولى مجلس النوّاب انتخبهُ مواطنوهُ ليمثّلهم فيهِ فحضر في الاستانة جلساتهِ ثم عاد الى وطنهِ واعتزل الأموريّات وانقطع الى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الاخلاق عالي الهمَّة محبوبًا عند الجميع. وكان احد اعضاء جمعيَّة العلوم السوريَّة المُنشأة في بيروت ولمَّا توفي رئيسها الاوَّل الامير محمَّد ارسلان عهدوا اليهِ رئاستها. وكان للحاج حسين نظمٌ رشيق مطبوع قد بقي منهُ القليل ومن آثارهِ رواية ادبيَّة وطنيَّة مُثّلت مرارًا وقرَّظها الادباء. ومن شعرهِ قولهُ في تاريخ جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٧:

خلافة الاسلام قد اصبحت تزهو افتخارًا بالمليك العزيزْ
وملّة الايمان ارّختها طابت بشاهنشاه عبد العزيزْ

وقال مؤرخًا انشاء التلغراف في بيروت:

لله درُّ السلكِ قد ادهشت عقولنا لمَّا على الجوّ ساقْ
فأُعجب الكون بتاريخهِ شبيهُ برقٍ او شبيه البُراقْ (١٢٧٧)

وقال مشطرًا:

اذا العنايةُ لاحظتك عيونُها وحباكها من فضلهِ الرحمانُ
ناداك طائرُ يمنها وسعودها نَمْ فالمخاوف كلهنّ امانُ
واصطدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ واملك بها الغبراء فهي سنانُ
واصعد بها العلياء فهي معارجٌ واقتَدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

وقال يهنّئ حضرة كامل باشا بمستشاريّة الداخليّة سنة ١٢٩٦

حينما أعوزَ المالكَ اصلا حٌ وسُدَّت عن وارديهِ المناهلْ
وفَّق الله للوظائف قومًا ملكوا من ذرى الكمال المنازلْ
فتفاءلْ بالخيرِ صاحِ وأرِّخ مستشارًا امسى محمَّدُ كاملْ

ومن جيّد شعرهِ قولهُ يعزّي صديقًا بفقد ماله:

لقد غمَّنا والله والصحبَ كلَّهم مصابٌ دهاكم بالقضا حكم قادرِ
كأنَّ شرارًا منهُ طار لارضنا فاحرق احشاء الورى بالتطايرِ
ولكنَّنا قلنا مقالةَ عاقلٍ يسلّم للباري بكل المظاهرِ
اذا سلمتْ هامُ الرجالِ من الردى فما المالُ الّا مثل قصّ الاظافرِ
فكن مثل ظنّ الناس فيك مقابلًا لذا الخطب بالصبر الجميل المصادرِ
ولا تأسفنْ اذ ضاع مالٌ ومقتنى فربُّك يا ذا الحزم اعظم جابرِ
وانَّ حياة المرء رأسُ لمالهِ سلامتهُ تعلو جميع الخسائرِ

وممَّا رُثي بهِ الحاج حسين افندي بيهم قول ابي الحسن الكستيّ:

فراقُكَ صعبٌ يا حسين احتمالهُ وبعدك رَكْبُ الانس شالت رحالهُ
رحلتَ الى دار البقاء مكرَّمًا ومثلُكَ مولى للنعيم مآلهُ
ولكن تركت القوم تبكي عيونهم عليك بدمعٍ كالسيولِ انهمالهُ
وليس لنا من بعد فقدك حليةٌ سوى الحزنِ او صبرٍ يعزُّ منالهُ
حويتَ خصالًا جلّ في الناس قدرُها وما كلّ انسانٍ تجلُّ خصالهُ
عفافٌ ومعروفٌ وعلمٌ ورقَّةٌ وفضلٌ ومجدٌ قلَّ فينا مثالهُ

(محمَّد اكنسوس) وممَّن رُزنت بهِ الآداب في هـذا الوقت في بلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن احمد اكنسوس المراكشي توفي في بلدهِ مرَّاكش سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وقد عُرف المذكور بسعـة معارفه لاسيما التاريخيَّة والادبيَّة ولهُ التاريخ المسمَّى كتاب الجيش وقصائد عديدة في مشاهير بلادهِ من ذلك قولهُ يرثي سلطان مرَّاكش المولى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) :

هذي الحياةُ شبيهةُ الاحلامِ   ما الناسُ ان حقَّقتَ غيرُ نيامِ

ومنهـا :

لو كان ينجو من رداها مالكٌ   في كثرةِ الانصار والخدَّامِ
لنجـا امير المؤمنين ومن غدا   اعلى ملوك الارض نجل هشامِ
خير السلاطين الذين تقدَّموا   في الغرب او في الشرق او في الشامِ
يا مالكًا كانت لنا ايَّامهُ   ظلًّا ظليلًا دائمَ الانعامِ
لا ضَير انك قد رحلتَ ميمّمًا   دار الهناء وجنَّة الاكرامِ
فلك الرضى فانعم بما أُعطيتَهُ   ولك الهناء بنيل كل مرامِ

وقال يصف خروج السلطان المولى حسن على اعداء دولتهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) :

عصفتَ عليهم بالبأسِ تُزجي   كتائبَ كالسحابِ اذا تلوحُ
فالقيتَ الجرانَ على ذراهم   بجيشٍ كلُّهم بطلٌ مشيحُ
فجاء العفو منك وهم ثلاثٌ   اسيرٌ او كسيرٌ او ذبيحُ
وقد قُسمتْ بلادهمُ بعدلٍ   ودورهمُ كما قُسمَ الوطيحُ
فلا تحلمْ فانَّ الجرح يُكوى   طريًّا بالمحاور او يقيحُ
ابا زيـدٍ اذا تُبقي عليهم   بصفحٍ ربَّما ندم الصفوحُ

ولهُ يصف بستانًا للوزير ابي عبد الله محمَّد ابن ادريس :

يا منزلًا قد خصَّصتْهُ سعادةٌ   واستبدلتهُ انعمًا من أبؤسِ
اصبحتَ مأوى للوزير محمَّدٍ   نجل الادارسةِ الكرام المغرسِ
انسانُ عين الكون من لبست بهِ   رُتب العلى اجى واجج ملبسِ
يا ايُّها البحر الذي من فيضهِ   كلَّ الاماني والغنى للمفلسِ
هنيك ذا القصرُ الذي انشأتهُ   بالسعد في عام انشراح الانفسِ
لا زلتَ تشرف من مطالع سعده   كالبدر يظهر من خلال الحندسِ
والدهر يخدم جانبيك ويحتمي   بجلالك العالي الاعزّ الاقدس

هذا ما امكنَّا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هـذا العشر وهو برضٌ من عدّ ولا نشكّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء الّا انَّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينهـا الّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

وممَّن اطَّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرّر مدَّة في الاسكندريَّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس ففوَّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميَّة المدعوَّة بالرائد التونسيّ مع منشئها منصور افندي كرلّتي. فاشتغل بذلك مدَّةً منـذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان ذا باع في الانشاء ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشـا بقصيدة مطلعها :

آلاؤكَ الغرُّ او آناؤك الغررُ زها بها في الزمان الجيدُ والطُّررُ

ومنهـا :

الله ملجأنا اذ ليس يفجأنا شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ
حبرٌ لهُ همَّةٌ اعلى وارفع من هام الثريَّا ومجدٌ ليس ينحصرُ
وسيرةٌ سرَت الدنيا بشائرُها وضمَّخ الكونَ عرفاً مسكها الذفرُ
لا زال كهفاً لمن يأوي بساحتهِ في ظلهِ تسمـد الآمال والوطرُ
وكعبةٌ وزراء الفضل انجمُهـا تزهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيراً لباي تونس فاشتهر بحسن سياستـهِ وتدبيره للامور. وكان كاتباً بارعاً ألَّف كتاباً دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو اجود كتاب وضعـهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العباس احمد بن ابي ضياف والشيوخ ابو عبد الله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمَّد الصادق ثابت وابو راشد يونس العروسي ومصطفى رضوان ومحمَّد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلهم فصولًا في الادب الّا انَّ اخبارهم منقطعة عنَّا

وممَّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصددهِ السيّد عبد الرحمان النحاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب مسجَّعة قرَّظها الشعراء وممَّا قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب:

انشا لنا الخطب التي الفاظُها قد اعربت في السمع لحن مثاني
فِقَرٌ غدت حُلي المسامع مثلما اغنت فقير الفضل بالاحسانِ
اذنت لآلي لفظها بولوجها في مسمع الآذان قبل أذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير:

لقد ضاء مصباحُ مشكاة عصرهِ وفاق بحسن الذكر نشر الشمائل
فتًى من بني البربير حاز براعةً وكان بنظم الشعر اوّل قائلِ
بهِ طاب اهل المجد فرعًا وقد سما مقامًا على هام البدور الكوامل
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنَّ قدرهُ كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمَّد الموقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريَّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

لله هاتيك الصفات فانها جمعت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنَّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنّك بالمحال فانّهُ ما كلّ من سلّ الحسامَ بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهارُهُ عطّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرُهُ ملحٌ أُجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ
هذا هو الفخر الذي شرفت بهِ ابناء دوحتهِ لبعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيّ كاتبَ ايضًا الشيخ ناصيف فمدح الشيخ آدابه وشعرهُ فقال:

يا ايُّها الحسنُ الميمونُ طالعهُ احسنتَ حتَّى ملأتَ السَّمعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلّ قافيةٍ قد شبَّبت بمعاني حسنها الشعرا
يجزُّك الشعرُ انشادًا فنحن بهِ نغوصُ في البحر حتى نجتني الدررا

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل العزازيّ ونظم القصائد فمدحهُ محرّر الجوائب بقولهِ:

ألم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلًا وتشفي كل من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزَّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد البـاقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقًا. ولهُ آثار شعريَّة لم تُجمع حتى الآن. مدحهُ منشئ الجوائب غير مرَّة لوفرة آدابهِ. واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنّفون التآليف المختلفـة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيَّة ويعقدون الجمعيَّات الادبيَّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضة استوقفت الابصـار وبعثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها في العام الماضي بوفاة المرحوم الشيخ ابراهيم نجلهِ. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعًا لائتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار. اصـل هذا البيت من روم حمص. ثم نمت اسرتهم وتفرَّعت الى عدَّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عُمَّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ. وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أُسر أُخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت. وكان عبـد الله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيبًا درس الطبَّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ. وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائلُ التعليم في ذلك الوقت قليلة. وتعلَّم الشعر فنظم بعض القصائد التي اخذتها ايدي الضياع. ومَّما روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقس حنانيا منيّر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها.

عش بالهنا والخير والرضوان يا من عُنيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتـهُ فوجدتهُ نظماً فريدًا ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنــهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابيّ ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغـة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منهـا نصيباً حسناً . ثم درس الطبّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزةً سمَّاها « الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم » لم تُنشر بالطبع . ودرس ايضاً فنَّ الموسيقى ووعى كثيرًا من اصولهـا ودقائقها . وكان مغرى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرَّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيـل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخـلّ فيها بحرف . وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيَّة بخط جميل اشبه بالقلم الفارسيّ

وممَّا امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانهُ نبغ فيــهِ على ما روي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا على البديهـة ويأتي بكل معنى بليغ . وكان في اوَّل امرهِ ينظم المعنَّى والقرَّاديات تفكُّهاً . وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميَّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده ونقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتَّصل بهؤلاء الادباء فقرَّبوهُ من الامير الذي اتَّخذهُ كاتباً لاسرارهِ ورفع شأنهُ . وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منهـا رائيتهُ التي قالها مهنئاً لهُ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واولها :

حيَّيك هذا النصرُ والظفرُ فانعَمْ اذن انت بل فلتنعمِ البشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة . فلمَّا كُفَّت يد الامير عن تدبير لبنان سنـة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين سنةً الأخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيتهِ والى التدريس

ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة . وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضها فطبعوها في مجلَّاتهم . وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل . ومن فضل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الاداب ورفع منار العلوم . وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في بلاد الشام كقطب العلوم العربية وشرعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضًا مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغانيّ الدينية واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم . وكان احد اعضاء جمعيَّتهم التي انشأُوها سنة ١٨٤٨ (المشرق ١٢ : ٤٠ ثم ZDMG. V. 96)

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورةٌ سردنا اسماءها في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ الستُّون المعروفة بمجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة . طُبعت مرارًا في المطبعة الاميركية ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة . ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو . وجوف الفرا والخزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما . وكتاب عقد الجمان في البيان مع ملحق في العروض . ولهُ شرح على المتنبّي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب . وشعرهُ متفرّق في ثلاثة دواوين : كتاب نفحة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القمرين . وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية في الحدث وفي المطبعة الادبيّة مصحّحاً بقلم نجلهِ المذكور . والمأمول ان ينجز قريباً هذا العمل ويضيف الى المجموع ما لم يزل مخطوطاً او شاردًا من القصائد

وشعر الشيخ ناصيف يجمع بين الرقَّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدَّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر . وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قوماً من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايَّامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علَّقها على الآثار البنائيَّة والكنائس وغيرها . فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غرَّاء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمَّن كل شطر منها تاريخاً لسنة ١٢٨٣ :

ظلُّ الالهِ علينا اوجُ طالعهِ قد فاق فوق جهات الأُفق كالعَلَمِ
في خلقهِ عجبٌ في عزّهِ طربٌ راحاتهُ سُحبٌ يهمرن بالكرمِ
امين ربّ الورى في الكون مؤتمنٌ على العباد لحقّ العهد والذممِ
لله درُّ بني عثمانَ من صدقوا بطيب حملٍ ووضع حافلِ القيَمِ
بنوا لنا برج سعدٍ رُسْلُ طلعتهِ تدعو الأَنام الى اعباهِ شكرهمِ
بابُ السعادةِ باب النصر ساكنهُ كهفُ المطالب من حاماهُ لم يُضَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات:

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ هـذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابليون بعد زوالهِ فكأَنَّ ذلك يومهُ الموعودُ
يا من يقول لرمَّةٍ في لحدهِ انَّ السعيد كما علمتَ سعيدُ
هذا خليفتهُ الذي احيا الورى احياكَ حتَّى اخضرَّ منك العودُ
لا تُفتقَد الدنيا لفقد عزيزها ما دام يخلفُ مَيْتها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما يُفرَى القضيبُ فينبت الاملودُ

ولهُ في مديح الملكة ڤيكتوريا من قصيدة:

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً وقام من قبلها اسلافُها الاولُ
فرعُ الاصول التي مرَّت وبهجتها انَّ الثمار من الاغصان تُبتذَلُ
يُستَحسن الملك فيها والخضوع لها وليس يحسنُ فيها الجبن والبَخَلُ
باهى الرجالُ نساءَ الدهر وافتخروا حتَّى اتت فأَصاب المدَّعي الخَجَلُ
اذا صفا لك نور الشمس في فلكٍ فما الذي تفرق الجوزاءُ والحَمَلُ
في قلبها خاتم التقوى وفي يدها من خاتم الملك ما يجري بهِ المَثَلُ
قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها كما التقى الكُحل في الاجفانِ والكَحَلُ

ولهُ قصائد أُخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشا وسعيد باشا واسمعيل باشا. وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قوم من شعراء القرون المتأخرة. ومن هـذا القبيل بديعيَّتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اوَّلها:

عاج المتيَّم بالاطلال في العلَمِ فأَبرع الدمع في استهلالهِ العرمِ

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منهـا امثلة. ولهُ من قصيدة يرثي بها الطيِّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم:

رُكنٌ هوى في دار مصر اوشكت   منهُ رُبى لبنان ان تتفطَّرا
ضجَّت بهِ الاسكندريَّةُ هيبةً   فكأنَّ فوق سريرهِ الاسكندرا
يا ايها الطود الذي عبثت بهِ   ايدي المنون فال محلول العُرى
غدرت بك الايَّام مظلوماً كما   تُدعى فألقت في التراب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى   كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا
كنَّا نؤمل ان نجني لهُ ثمرًا   فخيَّب الدهرُ منَّا ذلك الاملا
خانَ الزمان لهُ عهد الصبا وبغى   عليهِ داعي المنايا اذ اتى عجلا
قد ألبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت   بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ تمشي وقد نكست   رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حُلّي فوق تربتهِ   كما حللتِ على نعشٍ بهِ حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر ما نظم قبل شهر من وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنهِ:

ذهبَ الحبيب فيا حشاشتي ذوبي   اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
ربَّيتهُ للبَين حتَّى جاءهُ   في جنح ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا ايها الامُّ الحزينةُ أجملي   صبرًا فانَّ الصبرَ خير طبيبِ
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي   ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصن الرطيبُ اصابَهُ   سهم القضاء فمات غيرَ رطيبِ
من للكتابة والحسابة بعدهُ   ولصحَّة التدبير والتدريبِ
لا استحي ان قلتُ قلَّ نظيرهُ   بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ
والمرءُ يطلقُ في الكلام لسانهُ   ان كان لا يخشى من التكذيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ   اسقي ثراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ   يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبَّةٌ   عندي لانَّك قد حويتَ حبيبي

وقولهُ يرثي الامير بشير الشهابي لمَّا توفي في الاستانة سنة ١٨٥٠:

اذا طلع النهارُ ارى الرجالا   كما أبصرتُ في الليل الخيالا
واعجبُ كيف تطوي الارضُ ناسًا   لو اجتمعوا بها كانوا جبالا
يخونُ الدهرُ شخصًا بعد شخصٍ   كما ترمي عن القوس النبالا
اذا اغلقتَ دون الموت بابًا   تناول الفَ بابٍ كيف جالا
ومن حذر المنيَّةَ من يمينٍ   تدور بهِ فتاخذهُ شمالا

من الله السلام على امير دفنّا المجد معهُ والجلالا
كأنَّ الموت لم يجسر عليهِ مجاهرةً ففاجأهُ اغتيالا
فتىً كالسيف ارهاقًا وقطعًا ومثل الرمح قدًّا واعتدالا
ومثل البدر اشراقًا وحسنًا ومثل الغيث جودًا وابتذالا
أَجلُّ بني الكرام ابًا وجدًّا واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
واحسنهم واجملهم فعالا واوثقهم واصدقهم مقالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ بنوا في المجد اعمدةً طوالا
سليل امير لبنانٍ ينادي انا لبنانُ لمّا ملتُ مالا
اذا قلتَ الامير ولم تسمّي فلا يحتاج سامعك السؤالا
سألنا تحت معنٍ عن نظيرٍ لهُ هل قام قال لا لا
ستبكيهِ البلادُ ومَن عليها الى ان تستعيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ ولكن بعد ان تحصي الرمالا

الى ان قال:

لبستَ اليوم ثوبًا من بياضٍ فزاد جمالك الباهي جمالا
الى دار السعادة سرتَ فوزًا كانك عاشقٌ يبغي الوصالا
رايت العيش في الدنيا طريقًا لما فاخترت اقربهُ مجالا
على رمسٍ نزلتَ بجانبيهِ سحابٌ يقطرُ الماء الزلالا
وتعبق فيهِ رائحة الخزامى ويسطع فوقهُ نورٌ تلالا

وقال مؤرخًا سنة وفاتهِ:

هذا الامير السعد الحظ تخدمهُ ملائكُ الله حول العرش تجتمعُ
تقول ارقام تاريخٍ تحيط بهِ انّ الشهاب على الافلاك ترتفعُ

ومن تعازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ:

يا بائع الصبر لا تُشفِق على الشاري فدرهم الصبر يسوى (كذا) الف دينارِ
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ ولا حوى مثلهُ حانوت عطّارِ
هذا الذي تُحمد الاحزانَ جرعتهُ كبارد الماء يطفي حدَّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقٍ (كذا) في سلامتهِ حتَّى يُبدّلهُ اعسارٌ بايسارِ
يا من حزنت لفقد المال انك قد خُلقتَ عارٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امسِ ذاك المالُ مكتسبًا يأتي غدًا من بديع اللطف جبّارِ

ومن زهرياتهِ قولهُ:

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما سحرًا فردَّ هزارها مترنّما

احنى اليهِ الزهرُ مفرق رأسهِ ادبًا ولو ملك الكلام تكلّما
يا حبّذا ماء الغدير وشمسهُ تعطيهِ دينارًا فيُقلب درهما
محت الرياحُ بهِ كتابةَ بعضها فتخاصمت من فوقهِ فتهشّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ لثقيل:

كفَّ عنّي لا ابا لكْ قد تبيّنّا مُحالكْ
وعرفناك والّا فتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ حاملًا فيهِ ملالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يتهالكْ
سترى النادمَ منّا ويسيءُ اللهُ فالكْ

وقال في بخيل:

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ مَن ذاقهُ يومًا ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة:

انّي لقد جرَّبتُ اخلاقَ الورى حتّى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمّهِ يدخلُ في ذمّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما احبَّهُ فهو الى النفس انتهى
يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى الّا الذي كان دنيًّا فارتقى
وكلّ علمٍ يدرك المرء سوى عِرفانِ قدر نفسهِ كما اقتضى
وكلُّ من لا خير منهُ يُرتجى ان عاش او مات على حدٍّ سوا

وممّا برّز فيهِ قولهُ في الدين المسيحيّ:

نحنُ النّصارى آلُ عيسى المنتمي حسبَ التأنّس للبتولةِ مريمِ
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ فثلاثةٌ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تَقنُّمِ
كالشمسِ يَظهرُه جرمها بشعاعها وبحرّها والكلّ شمسٌ فاعلمِ
واللهُ يَشهدُ هكذا بالحقّ في سفرٍ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّمِ
عن آدمٍ قد قال « صارَ كواحدٍ منّا » بلفظ الجمعِ من ذاك الفمِ
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستَخدَمِ
لكن عصاهُ بزلّةٍ لا تنمحي الّا بإرسال ابنه المتجسّمِ
فأتى وخلّصهُ وخلّص نسلَهُ ذاك المخلّصَ من عذابِ جهنّمِ

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياتهِ:

شهدَت عجائبهُ لهُ في عصرهِ فدرَى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهمِ
ولنا عليهِ أدلَّةٌ قَطعيَّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكُّمِ
قد جاءَ لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرَسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهمِ
يأوي المغارةَ مثل راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السريرِ الاعظمِ
وهو ابن يوسف لا ابنُ قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرَمِ
فاتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ كانوا على الدين التليد الاقدمِ
وتباعدوا من قومهم بمذلَّةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعُّمِ
قالوا هو ابن اللهِ جهرًا والعدى من حولهم مثل الذئاب الحُوَّمِ
والناسُ بين عواذلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيهِ أسيفهُ ام جاههُ ام مالهُ في الانعُمِ
هو ساحرٌ يُطغي ? فقالوا لم نجدْ من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطَلْسَمِ
كانت رجالُ اللهِ تُحيي ميتًا بصلاتها ودعائها المتقدّمِ
وتراهُ يُحيي المائتين بامرهِ فهو الالهُ ومن تشكَّكَ يندَمِ
ولئن هم انخدعوا لغفلتهم فقد ضَعفَت عقولهمُ كمن لم يحلُمِ
فترى بما خدعوا البلاد ومن بها من عالمٍ يُفتي ومن متعلِّمِ
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقِّ وجهُ الحقِّ غير مُلثَّمِ

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفيّ تحمَّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيَّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله. ومما طُبع لهُ من التآليف في اوربَّه رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيَّة وعلَّق عليها الحواشي الاستاذ مهرن (Mehren) وطبعها في ليبسيك. وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنان وسكَّانهِ وامرائهِ واديانهِ اهلهِ لا نشكّ انها لهُ وان لم يُذكَرْ فيها اسمهُ. وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلَّامة فلَيشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI, 98, 388) ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥٣٣ و ٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه

قيل انَّ من اشبه اباهُ ما ظلم. وقد صدق المثل تمامًا في اولاد الشيخ ناصيف اليازجيّ فانهم تعقَّبوا كلّهم آثار والدهم. وكان اكبرهم الشيخ حبيب ولد في ١٥ شباط سنة ١٨٣٣ ولمَّا ترعرع وجد اباهُ كهلًا تامّ القوَّة كامل العقل مولعًا بالآداب

فدرس عليهِ كلّ الفنون العربيّة . ثمّ مال الى اللغات الاجنبيّة فأتقن الفرنسويّة حتى برع فيها وتعلّم غيرها كالايطاليّة والانكليزيّة واليونانيّة والتركيّة . وكان يتردّد على المرسلين اليسوعيين في بيروت ويستفيد منهم . وتجد اسمهُ في قائمة الادباء المنتظمين في الجمعيّة المشرقيّة التي انشأوها سنة ١٨٥٠ واكتشف بعض آثارها جناب مكاتبنا يوسف افندي اليان سركيس (المشرق ١٢ : ٣٢) ثم تفرّغ للكتابة وعرّب بعض التآليف الاجنبيّة منها قصّة عادلبدة برترويك . ومنها ايضاً قصّة تلماك التي ألّفها فنيلون فاجاد في تعريبها الّا انّها لم تطبع وقد طُبعت في مصر ترجمة أُخرى دونها حسناً . ومن تآليفهِ ايضاً كتاب اللامعة في شرح الجامعة فسّر فيهِ الارجوزة التي ألّفها والدهُ في علم العروض والقوافي وكان اسمها الجامعة وقد طُبع الكتاب سنة ١٨٦٩ في المطبعة الوطنيّة . وكان الشيخ حبيب عاقلاً لبيباً رياضيًّا وقد اشتغل بالتجارة في آخر عمرهِ وكان في شبابهِ يحبّ الشعر ولهُ بعض منظومات منها رثاؤهُ للطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم بقصيدة اوّلها :

يسرّ المرء اقبالُ الليالي ويفنى انّ ذلك للزوالِ

ومنها : دعِ الدنيا الغَرور وكُنْ مجدًّا كحبر الشرق في طلب الكمالِ
هو المظلومُ حين رمى بتاجٍ لهُ واعتاض أكفانًا بَوالي
لقد ضُربت بهِ الامثالُ لمَّا غدا بين الرُّعاة بلا مثالِ

الى ان قال :

وفي الإسكندريّة دُكَّ طودٌ فلم تنفكَّ فاقدةَ الجبالِ
ثوى في تُربها بدرٌ منيرٌ فقد حسدتهُ افئدةُ الرجالِ
رئيسٌ كان في دنياهُ بحرًا فكانت تُجتنَى منهُ اللآلي
لقد ارضى الالهَ بكل امرٍ وارضى الناس في حسن الفعالِ
فعاش كما نؤرخهُ سعيدًا وفي الدارَين قد بلغ المعالي

وكانت وفاة الشيخ حبيب كهلًا قبل والدهِ ببضعة اسابيع في سلخ السنة ١٨٧٠ . وكما عاجلت المنون بكر الشيخ ناصيف كذلك قطفت ابنهُ الشيخ خليل غصناً زاهياً في تمام شبابهِ وعزّ قوّتهِ . ولد هذا في السنة ١٨٥٦ وأخذ الآداب العربيّة عن ابيهِ واخوتهِ فرضعها مع الحليب ولمَّا نشأ دخل الكليّة الاميركانيّة ودرس فيها العلوم .

وفي ١٨٨١ رحل الى مصر وزار بعض اعيانها وانشأ مجلّة مرآة الشرق الّا انّ الثورة العربيَّة الجأتهُ الى الرجوع الى وطنهِ فعلَّم مدَّة اللغة العربيَّة في المدرستين البطريركيَّة والاميركانيَّة حتَّى أُصيب بصدرهِ فكفَّ عن التعليم ولم يزل يطلب علاجًا لوجعهِ حتى غلبهُ الداء فمات في الحدث في ٢٣ ك٢ سنة ١٨٨٩ ودُفن في بيروت. وكان الشيخ خليل متوقد الذهن ذا قلم سيَّال وقد غلب عليهِ الشعرُ. ومن خدمهِ للآداب طبعتهُ لكتاب كليلة ودمنة مضبوطًا بالشكل مع شرح الغريب من الفاظهِ. وهذه الطبعة كما الطبعات الشرقيَّة كلّها في الشام ومصر والهند مبنيَّة على طبعة العلّامة دي ساسي لا تخالفها الّا في بعض العرضيَّات بخلاف النسخة التي وقفنا عليها فنشرناها في مطبعتنا سنة ١٩٠٥ وهي اقدم نسخة موَّرخة لهذا الكتاب تخالف الطبعات السابقة مع موافقتها لترجمة ابن المقفَّع الاصليَّة. ومن آثار الشيخ خليل النثريَّة كتاب في انشاء الرسائل وكتاب في الصحيح بين العامّي والفصيح وكلاهما لم يزل مخطوطًا غير تام

امَّا خلفة الشيخ خليل اليازجيّ الشعريَّة فهي اوَّلًا روايتهُ «المروَّة والوفاء» نظم فيها وفاء حنظلة الطائيّ بوعدهِ بعد قدومهِ على النعمان يوم بؤسهِ وضمان شريك لهُ في غيبتهِ ليصلح امور بيتهِ ويرجع الى القتل ثمَّ تنصُّر النعمان لنظرهِ مروَّة حنظلة. وهو حادث تاريخي معروف بنى عليهِ الشيخ خليل روايتهُ لكنَّهُ طمس محاسنها بما اودعها من الادوار العشقيَّة المملَّة التي تُنسي سامعها الواقع التاريخيّ الاصليّ فيضيع الجوهر بزخرف الاعراض الباطلة

ومن خلفتهِ ايضًا مجموع منظوماتهِ الذي عنونهُ بنسمات الاوراق فطبعهُ بالقاهرة سنة ١٨٨٨ في ١٦٢ صفحة نزوي منها بعض القطع تبيانًا لفضلهِ وجودة قريحتهِ. فمن مديحهِ قولهُ في عبدالله فكري باشا ناظر المعارف في مصر:

الجاهُ عندك نال أكملَ جاهِ فهناكَ نورٌ فوق نورٍ زاهِ
والفخر منك كُسي بأبهى حلَّة وعليك منهُ كلُّ ثوبٍ باهِ
نالت مسامعُنا من اسمكَ لذَّةً فغدت محسَّدةً من الافواهِ

حتى قال وتجاوز الحدَّ في الغلوّ:

ولئن يكُ فيك الثنا متناهيًا فاعذر فمدحك ليس بالمتناهي
نُزّهت عن شبهٍ فتبغي شاعرًا متنزّهًا في الشعر عن اشباه

ولأنت ذاك ومن لنا ببدائعٍ   لك آمراتٍ للقريضِ نواهِ
فلقد أتاني الشعر يثني عطفهُ   ويقول اني عبد عبدِ اللهِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنّئ المطران ملاتيوس فكّاك باسقفيّة بيروت :

حبّذا ما بهِ لنا الدهرُ جادا   من سرورٍ بهِ فككنا الحدادا
حبّذا ما أنالنا مَن صلاحٍ   مخجلًا مَن نمى اليهِ الفسادا
قد حبانا بسيّد ليس يدعو   نا عبيدًا وانّما اولادا
سيدٌ شاد في المعالي صروحًا   قام فيهنّ راقيًا حيث سادا
ربُّ حزمٍ فكّاكُ معضلةٍ من   كلّ امرٍ تدبّرًا وسدادا
خيرُ راعٍ يرعى الرعيّة لا تخشى   م لديهِ حملانُها الآسادا
يملأ العين بهجةً حينما يبدو   م ويملا آذاننا ارشادا

وختمها بقولهِ :

ايّها السيّد الكريم الذي ليس م   يفيهِ الثناءُ مهما تمادى
ان مدحناك نالنا المدحُ ايضًا   كالصدى راجعًا الى من نادى
بك يسمو فخارنا فاذا ازدد   تَ فخارًا ففخرنا قد زادا
فاذا كان في الثناء قصورٌ   فعلينا قصورُنا قد عادا

ولهُ من قصيدة في احد قناصل فرنسة لما زار المدرسة البطريركيّة :

هذا رسولُ الدولة العظمى التي   هي دوحُ مجدٍ وهو من اغصانهِ
دوحٌ سقاهُ الفضلُ اعذبَ مائهِ   فجرت مياهُ العزّ في عيدانهِ
طابت مغارسهُ فاثمرت المنى   وشذا المعارفِ فاح من بستانهِ
اهلًا بزائرنا الكريم فانّهُ   اهلٌ لينزلهُ الفتى بجنانهِ
لا يُدعَ ضيفًا في حمانا انّهُ   في بيتهِ منهُ وفي اوطانهِ

ومن اوصافهِ قولهُ في القاهرة يذكر لبنان:

قف فوق رابيةٍ من طور لبنانِ   وقل سلامٌ على ارضٍ وسكّانِ
ارضٌ اذا ما سقاها الغيثُ كاد بها   ان يستحيل الى درّ ومرجانِ
يا اهل لبنانَ ما لبنانكم جبلٌ   لكنّهُ قمّةُ العلياء والشانِ
فيهِ المشائرُ اصحابُ المفاخر أر   بابُ المآثر من مجدٍ وعرفانِ
امارةٌ قد سمت فيهِ ومشيخةٌ   نشت اصولهما من عهد ازمانِ
ملجا الوباء وملجا الحرّ يقصدهُ   مصابُ هذين من قاصٍ ومن دانِ
وملجأُ المبتلى من كل ذي سقم   بطيبِ ماءٍ واهواءٍ وجيرانِ

وقال في الختام:

هذا هو الوطن المحبوب اذكرهُ ... وما انا براعٍ حُبَّ اوطان

وقال مؤرخاً ميلاد ابنهِ حبيب سنة ١٨٨٤

نجلٌ بهِ جاد المهيمن حيث قد ... حيِيَتْ وطابت انفسٌ وقلوبُ
لمَّا بتاريخٍ حبيبَ سمَيتُـهُ ... قلت الحبيب الى الخليلِ حبيبُ

ثم توفي الطفل في السنة التالية فقال:

وضيفٍ زارنا ومضى قريباً ... وما كادت تُعَدُّ لهُ شهورُ
تركتَ مؤرِّخاً بالويل حزني ... كبيرًا ايها الطفلُ الصغيرُ

وبقي من بعد الشيخ خليل شقيقهُ الشيخ ابراهيم رافعــاً أعلام اللغة والادب مواصلًا لاعمال أُسرتهِ الكريمة بين العرب مزيّنا للصحائف بمقالاتهِ في صنوف المعارف. ولد الشيخ ابراهيم في بيروت في ٢ آذار من السنــة ١٨٤٧ فاستروَح رَوح الآداب منذ حداثة سنهِ بقرب والدهِ عمدة البلغاء في وقتهِ فاستقى من منهلهِ وخاض في ميدانهِ وجعل يمارس الكتابة حتى برع في النثر والنظم. واستأنف حينئذٍ أُدباء بيروت الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة فانتظم في سلكها والقى فيها الخطب وانشد القصائد ثمَّ حرَّر مــدَّةً جريدة النجاح. ولمَّا عمد الآباء اليسوعيُّون الى تعريب الاسفــار المقدَّسة من اصلها العبرانيّ واليونانيّ رأوا انَّ امانة التعريب لا تفي بالمرام إنْ لم يُعطَ المعرَّب حقَّهُ من الفصاحة والبلاغــة بتنقيح العبارة وسبك الكلام وكان اذ ذاك صيت الشيخ ابراهيم نال بعض الشهرة فدعوا بهِ الى مدرستهم في غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معهُ في العمل وكان الاب اوغسطين رودة الذي درس العربيَّة في الجزائر وعلَّم العلوم الكتابيّــة في فرنسة ينقل الكتب المقدَّسة فصلًا فصلًا وآيةً آيةً بعد مراجعتهِ تفاسير الآباء والمعلمين والترجمات الشرقيَّة العديدة منها ثلاث ترجمات عربيَّة. فاذا اتمَّ عملهُ نظر فيهِ الشيخ نظرًا مدقّقاً فعرض على المعرّب ملحوظاته ثم تفاوض كلاهما الى أن يتفقا على رأيٍ واحد فيدوّنانهِ بالكتابة ثمَّ يعرضان شغلهما على اربعــة اساتذة من الآباء المتضلّعين بالعلوم الدينيَّة ومعرفة اللغات الشرقيَّة فلا يُطبع شيء الّا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة

واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح التوراة العربيّــة نحو تسع سنوات في غزير

وبيروت . وقد علّم سنين طويلة في المدرسة البطريركيَّة فتخرَّج عليه كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف . وفي السنة ١٨٨٤ اتّفق مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على نشر مجلّة الطبيب فكان الشيخ ابراهيم يحرّر فصولها اللغويَّة والادبيّة . ثمّ انفرط عقد وصلتهم بعد سنةٍ وانتقل الشيخ ابراهيم الى مصر حيث أبرز اوَّلًا مجلّة البيان في آذار من السنة ١٨٩٧ ثمَّ ابدلها بمجلّة الضياء التي انشأها ثماني سنوات الى تاريخ وفاتهِ في ٢٨ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٦ . ففقدت بهِ الآداب العربيَّة احد أنصارها المعدودين

وليس من حاجة هنا ان نعرّف صفات الرجل مع قرب عهدهِ بيننا وممَّا اشتهر بهِ حسن ذوقهِ في الكتابة وانسجام كلامهِ فيظهر لقارئهِ كأنَّهُ المرآة الصقيلة او الماء الزلال فكان لا يزال يردّد النظر في ما كتب وينقّحهُ مرارًا حتى يخرجهُ كالبرد القشيب والخميلة الناعمة . وكان عارفًا باللغة معرفة واسعة كما تدلُّ عليهِ بعض مؤلّفاتهِ اخصّها «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد» في جزءَين على طريقة كتاب الالفاظ الكتابيّة لعبد الرحمان الهمذانيّ . ومنها اختصارهُ او شرحهُ لبعض تآليف والدهِ كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة وشرح ديوان المتنبّي المسمَّى بالعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيب وكذلك تصحيحهُ وتهذيبهُ لعبارة بعض كتب الادباء كتاريخ بابل واشور للمرحوم جميل مدوَّر ونفح الازهار في منتخبات الاشعار لجامعهِ المرحوم شاكر البتلونيّ ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم لهُ . وكانت مطبعتنا وكلت الى الشيخ ابراهيم وضع معجم للّغة العربيّة فاشتغل فيهِ زمنًا طويلًا ثمَّ اهملهُ فانتدبت حينئذٍ جناب اللغوي الشيخ سعيد الشرتوني الى وضع كتابهِ اقرب الموارد بدلًا منهُ ثمَّ عاد الشيخ ابراهيم الى عملهِ مرارًا واتمَّ منهُ قسمًا لكنَّهُ مات ولم يمثلهُ للطبع . وكان الشيخ كما هو معروف قليل الصحّة بطيء الشغل ومجلّة الضياء تستنفد همَّتهُ فلا تسمح لهُ بمعاناة عمل سواه

ومن آثارهِ اللغويّة عدَّة مقالات مطوَّلة وانتقادات لسانيّة كالامالي اللغويَّة ولغة الجرائد واغلاط العرب واغلاط المولَّدين واللغة والعصر ونقد لسان العرب وغير ذلك ممّا اصاب في بعضهِ واخطأ في البعض الآخر فتصدَّى لهُ كثيرون من الكتبة فقامت بينهُ وبينهم الجدالات الطويلة وكان الشيخ «كثير الاباء ظاهر الانفة الى حدّ

الترفُّع » كما قال في ترجمتهِ صاحب الهلال (١٥ : ٢٦٧) فأدَّى بهِ طبعهُ الى كتابة فصولٍ ما كنَّا لننتظرها من مثلهِ اطلق فيها العنان لاهوائهِ وانتهك في بعضها حقوق الدين وار بابهِ سامحهُ الله

وللشيخ ايضاً قصائد متفرّقة ومنظومات رشيقة لم تُجمع حتى اليوم . روى بعضها جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف في ترجمة حياتهِ التي نشرها في المقتطف . ومن اقدم ما وجدنا لهُ من القصائد ما انشدهُ في الجمعيَّة السوريَّة في اوائل سنة ١٨٦٨ وهي منظومة حماسيَّة ذكر فيها العرب فقال في اوَّلها :

سلامٌ ايها العَرَبُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قطركم الغمامُ
لقد ذكر الزمان لكم عهودًا مضت قِدَماً فلم يضع الذمامُ

ثمَّ قال في وصف مجالس العلم :

مجالسُ للعلوم غدت منارًا بهِ لغياهب الجهل انصرامُ
جلاها كلُّ أبلج أريحيٍّ تقرُّ لهُ البلاغةُ والكلامُ
تُجرِّدُ من اياديهِ المواضي وتُرسَلُ من لواحظهِ السهامُ
رجالٌ في انتشار الفضل جدُّوا وفي حبِّ العلوم صبَوا وهاموا
تلاعبت الحميَّةُ في نُهاهم كما لعبت بشاربها المدامُ
تهزُّ الاريحيَّةُ كلَّ يومٍ معاطفهم كما اهتزَّ الحسامُ
هُمُ الشهُبُ المطيرةُ فوق ارضٍ يلوح لنوءهم فيها غمامُ
غمامٌ قد تحلَّلَهُ بروقٌ يصافحها الرجاء متى تُشامُ
جهابذةٌ يقوم الفرد منهم بما اعيا بهِ الجيش اللهامُ

ومن ابياتهِ الحماسيّة فيها قولهُ عن العرب :

وما العَرَبُ الكرام سوى نصالٍ لها في أجفُنِ العُليا مقامُ
لعمرك نحن مصدر كل فضلٍ وعن آثارنا اخذ الانامُ
ونحن أُولو المآثر من قديمٍ وان جحدت مآثرنا اللئامُ
فقدِ علمَ العراق لنا قديماً ايادي ليس تنكرها الشآمُ
وفي ارض الحجاز لنا فيوضٌ يسيل لها الى اليمن انسجامُ
وفوق الأندلُوسِ لنا بنودٌ لهامات النجوم بها اعتمامُ
وسلْ في الغرب عن آثار فخرٍ لها في جبهة الزَمَن ارتسامُ
ولسنا القانعين بذكر هذا وليس لنا بعروتهِ اعتصامُ

ولكنّا سنجهدُ في المعالي الى أن يستقيمَ لها قوامُ

ومن محاسن نظمهِ ما كتبهُ في المجموع الذي خُصّ بمدح كريستوف كولب في السنة المئوية لتذكار موتهِ :

أبقى خِريستوفُ الشهير لنفسهِ ذكرًا على الايّام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ ولهُ من الهمم الجسام جنودُ
قد زاد هذي الارضَ ارضًا مثلها ليدَيهِ ألقي كنزها المرصودُ
برزت اليهِ من الغيوب كأنّها خَلْق سوى الخَلْق القديم جديدُ
فكأنّهُ اذ حلّ فيها آدمٌ وكأنّها فردوسهُ المعهودُ

وقال يشكو تقلُّب الايّام من قصيدةٍ :

كأني بالبلاد تنوحُ حزنًا وقد اودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارزُ في لبنان شجوًا وتندبُ بعد ذاك العزّ صورُ
وتدمرُ في دمارٍ مستمرٍّ وما سكّانها الّا النسورُ
واضحت بعلبكَ وليسَ فيها سوى خربٍ اعظمتها تشيرُ
فلو درتِ البلاد بما عراها لكادت من تلهُّفها تمورُ

ومن لطيف قولهِ في مدح سموّ الخديوي عبّاس :

همامٌ تولّى الامر وهو على شفا فشيّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلّد اعباء الرئاسةِ امردًا وقد عرفتهُ قبل ذلك مُرضعا
فكانت لهُ امًّا وكان لها ابًا غذتهُ وربّاها وقد نشأا معا

ولهُ تاريخ في الطبيب يوسف الجلخ المتوفّى سنة ١٨٦٩ :

هذا الطبيب الذي من بعد مصرعهِ ابلى القلوبَ بأسقامٍ وتعذيبِ
اجرى عيون بني الجلخ الكرام لهُ بكل دمعٍ من الاجفان مصبوبِ
فقف على تربهِ واهتف برحمة عليهِ تهبطُ من تلك المحاريبِ
وقل ليوسف أرّخ طيّ مضجعهِ أبّدتَ في كلّ قلبٍ حزنَ يعقوبِ

ويعجبنا قوله في ساعة دقّاقة:

ومحصيةٍ أعمارنا كلّما أنقضت لنا ساعةٌ دقّت لها جرسُ الحزنِ
فيا بنت هذا الدهرِ سرتِ مسيرَهُ فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

ومثلهُ حسنًا قولهُ في عود طربٍ :

وعودِ صفا الندمانُ قدماً بظلّهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تمشّقَهُ طيرُ الاراكةِ اخضراً وحنَّ عليهِ ريشهُ وهو يابسُ

ورأى قلعة بعلبكّ فذكر قدرة الرحمان بقولهِ :

يا بعلبكّ غريبة الازمانِ والعهد والصنّاع والبنيانِ
لم تُبلكِ الايّام في حدثانها الّا لتُظهر قدرة الرحمانِ

ويا ليت قلمهُ لم يرقم غير هذه المعاني البليغة ويسوءنا ذكر قصائد وكراريس ظهرت غفلاً من اسم مؤلّفها وقد صرّحت الجرائد اليوم بانّها من انشائهِ كقصيدتهِ السينيَّة التي نشرها سليم افندي سركيس في كتابهِ سرّ مملكة . وقد تجاسر حتى قال فيها عن ارباب الاديان :

ما هم رجالُ الله فيكم بل همُ القوم الابالسْ
يمشون بين ظهورهم تحت الطيالس والقلانس

ومثلها شقيقتها البائيَّة التي مطلعها :

تنبّهوا واستفيقوا ايُّها العربُ فقد طمى الخطبُ حتّى غاصت الرُّكبُ

وفي هذه القصائد والمنشورات مطاعن في الدين وتهييج الخواطر على السلطة الشرعيَّة ما كان الشيخ في غنًى عنهُ صونًا لعرضهِ ولشرف اسمهِ

ونختم هذا الفصل بذكر آخر فرعٍ من الدوحة اليازجيَّة من اولاد الشيخ ناصيف وهي السيّدة وردة ابنتهُ التي لا تزال حيّة فعسى ان يكون عبيرها عطراً كاسمها لا يمتزج بأرجها شيء من الريح العصريَّة الذفرة. وقد نمت وردة اليازجي بين الادباء فورثت عنهم الادب ولها ديوان صغير دعتهُ بحديقة الورد افتتحتهُ بابيات وجّهتها الى وردة بنت المعلّم نقولا الترك اوّلها:

يا وردة الترك اني وردةُ العربِ فبيننا قد وجدنا اقرب النسبِ

ولا نزيد على هذا التلميح لنقوم بوعدنا انّنا لا نتعرَّض لذكر الاحياء. وبعد كتابتنا هذا الفصل عن الاسرة اليازجيَّة رأينا فيهِ خللاً لسكوتنا عن احد نجوم تلك الثريّا المنيرة نريد الشيخ راجي اخا الشيخ ناصيف اذ لم نقف على شيء من اعمالهِ وآدابهِ. ثم استفدنا من حاشية ذيّل بها جناب الكاتب الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف تاريخهُ الحديث « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف (١٩٩) » انَّ للشيخ راجي (١٨٠٣

—١٨٥٧) ديوانًا مخطوطًا وانَّ شعرهُ يشهد لهُ بالبلاغة. وقد اطَّلعنا لهُ في مجموع مراثي السيّد مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل اوّلها:

معدن البرّ محتد الطهر مكسيمـــوسُ ربُّ الحجى حميدُ الخصالِ
من سرى في طريق مولاهُ حتَّى سبق السابقــين بالإفضالِ
ونما صــارفًا الى الله فعلًا بالتقى لا بالقلب والاعــلالِ
كم محلٍّ سامٍ اشاد وكم من منزلٍ قد بنى من المجــد عالِ
فجعتنا بهِ صروف زمانٍ جائرًا لا يزالُ في كلّ حالِ
ورمتنـــا النبالُ منهُ الى ان لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ

وللشيخ راجي ابنٌ هو اليوم نزيل زحلة يدعى بالشيخ ملحم يتعـاطى الآداب كابيهِ. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة ١٨٦٩ في وفاة الدكتور يوسف الجلخ مطلعها:

كؤوس البين دارت في الانامِ من الشيخ الكبير الى الغــلامِ

الى ان قال:

. . .

طبيبٌ كان يشفي كلَّ داءٍ اذا استولت تباريحُ السقــامِ
دهـــاه اليوم ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمٌ في الانامِ
واعقب فيهِ آل الجلخ سكرًا بكاس الحزن لا كاس المــدامِ
واوقــد بالأسى في كل قلب لهيبًا لا يزال في اضطرامِ

وختمها بقولهِ:

تركتَ العالم الغرّار طوعًا وبتَّ مجاورًا دار السلام
لئن يمكُ قد رحلتَ اليوم عنا فذكرك لا يزال الى الدوامِ

(آل المرَّاش) كما برَّز اليازجيون الملكيُّون في لبنــان وبيروت بانصبابهم على العربيَّـــة في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مرَّاش الملكيُّون يتقدَّمون في حلب اهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغــة. وبنو المرَّاش عُرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المرَّاش الذي قُتــل في سبيل دينهِ سنة ١٨١٨ في حلب باغراء جراسيموس اسقف الروم الارثذكس مع عشرة آخرين من الكاثوليك (اطلب قصيدة المعلّم نقولا الترك في رثائهِ في المشرق ١٠: ٦٦٤). وعُرف بعد قليل فتح الله المرَّاش وكان لهُ المام بالعلوم اللغويَّة والادبيَّات ابقى منها آثارًا مخطوطة

١٦٧٣

ثم اراد ان يخوض ميداناً لم يكن من فرسانهِ فعثر جوادهُ وكبا زندهُ وذلك انهُ ألَّف سنة ١٨٤٩ كتاباً في انبثاق الروح القدس فزعم انهُ من الآب وحدهُ فدحض اقوالهُ الطيّب الذكر السيّد البطريرك بولس مسعد باثبت الحجج في كتاب طُبع في رومية سنة ١٨٥٦ فلمَّا اطَّلع عليهِ فتح الله المراش ارعوى عن غيّهِ واذعن للحق الواضح

وخلفهُ ابنهُ فرنسيس فنال شهرة طيّبة بذكائهِ ومعارفهِ وخلفتهِ الادبيَّة. ولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقَّن العلوم اللسانيَّة وآداب الشعر وانكبَّ على دراسة الطب اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء. واراد ان يتمّ دروسهُ في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفرهُ اليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعهُ في بيروت سنة١٨٦٧. ولم يسعدهُ الدهر في غربتهِ فكرَّ راجعاً الى وطنهِ وتفرَّغ للتصنيف رغماً عمَّا اصابهُ من ضعف البصر والخطاط القوى حتى أفل نجم حياتهِ فمات في مقتبل الكهولة سنة ١٨٧٣. وكان فرنسيس صادق الايمان كثير التديُّن وقد ألَّف كتاباً بناهُ على مبادئ العلم الطبيعيَّة والعقليَّة بياناً لوجود الخالق واثباتاً لحقيقة الوحي سمَّاهُ « شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة » اعرب فيهِ عن دقَّة نظر ومعرفة بأحوال الطبيعة والعلوم العصريَّة. ومن مصنَّفاتهِ التي جمع فيها بين الفلسفة والآداب فاودعها آراءهُ السياسيَّة والاجتماعيَّة على صورة مبتكرة كتاب « غابة الحقّ » الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ ثم كُرر طبعهُ في بيروت ومصر. ومثلهُ كتاب « مشهد الاحوال » المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٣ على اسلوب لطيف ونسق حديث. وفي بيروت طبعت لهُ رواية حسنة دعاها « درّ الصَّدف في غرائب الصُّدف ». وممَّا طبعهُ قبلها في حلب كتاب « المرآة الصفيَّة في المبادئ الطبيعيَّة » (١٨٦١) لخَّص فيهِ اصول علم الطبيعة. ثم « خُطبة في تعزية المكروب وراحة المتعوب » (١٨٦٤) وكتاب « الكنوز الفنيَّة في الرموز الميمونية » (١٨٧٠) وهي قصيدة رائيَّة في نحو خمسمائة بيت ضمَّنها رموزاً خفيّة على صورة رواية شعريَّة. ومن نظمهِ ايضاً « ديوان مرآة الحسناء » طبعهُ لهُ محمد وهبه سنة ١٨٧٣ في بيروت

وكان فرنسيس المراش يحبُّ في كلامهِ الترفُّع عن الاساليب المبتذلة فيطلب في نثرهِ ونظمهِ المعاني المبتكرة والتصوُّرات الفلسفيَّة فلا يبالي بانسجام الكلام وسلاستهِ

فتجد لذلك في اقوالهِ شيئًا من التعقُّد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة. فمن شعره قولهُ في الحماسة:

فيقوا (كذا) من الغفلات يا اهل الوطنْ   انَّ العدوَّ دنا وها نَقْعُ الفِتَنْ
حتَّى مَ انتم يا بُزاةُ روابضٌ   هبُّوا فقد حام الغرابُ على الدِمَنْ
هجم العدوُّ وها الغبارُ وانتمُ   من ذا الغبار ستنسجون لهُ كفن
لا تخجلُ الغربانُ من سعة الفلا   يومًا اذا نهضَ العُقابُ من الوكن
ناداكمُ الوطنُ الذي قد ضمَّكم   في حضنهِ وسقاكمُ لبن المِنَنْ
كرُّوا الى الاعداء كرَّ الأُسد يا   أُسدَ الوفاء فهم ثعالبةُ الخَوَنْ
فاصغوا لصوتِ ابٍ لكم يرجو الحمى   منكم فهيَّا طاردوا عنهُ المِحَنْ
او ما ترون الدمع منهُ لاجلكم   يهمي فقوموا نشّفوا دمع الوطن
لا يحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ   لكن فدى الاوطانِ موتكمُ حسن

ولهُ في الزهريّات:

هوذا الصباحُ بدا وبالانوارِ   طُبعت وجوهُ الكونِ في الابصارِ
والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على   قمم الجبال امام جيشِ نهارِ
وعلى عَمود الصبح قد شاد الضحى   بُرج النهار مسلَّحًا بالنارِ
والشرق اوتر قوس نورٍ وانثنى   يرمي على الدنيا سهامَ شرارِ
والليل مزَّقَ ثوبَهُ حزنًا على   فقد النجوم وغار في الاغوارِ
ما زال مَدُّ النور يرفع في العُلا   جَزْرَ الظلامِ كعاصفٍ لغبارِ
حتى امتلى جوف الفضاء من الضيا   وزهت بذلك كافَّةُ الاقطارِ
فترنَّمَ القمريُّ فوق غصونهِ   طربًا وفاحت نسمةُ الاسحارِ
والنسر هبَّ الى العلاء كانَّهُ   يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر:

رمت قلبي نبالُ الدهر حتى   رأيتُ دمي يسيلُ من العيونِ
فلو كان الزمان يُصاغ جسمًا   لكنت اذيقهُ كأسَ المنونِ

وقال في خواصّ الجسم:

الجسمُ معروفٌ بستِّ خصائصٍ   فيهِ فعنهُ قطُّ ليس تحولُ
عدمُ التداخل وامتدادٌ صورةٌ   جذبٌ سكونٌ التجزّي قبولُ

ومن حكمهِ قولهُ:

صدّقوني كلُّ الانام سواءٌ   من ملوكٍ الى رُعاةِ البهائمْ

كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ لا تَني في ولائمٍ او مآتِمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى بالّمهُ والاسير في القيدِ ناعمْ
اصغرُ الخلق مثل اكبرها جزْ مًا لهذا وذا مزايا تُلائمْ
والخلايا للنحل اعجبُ صنعاً من قصور الملوك ذات الدعائمْ

وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمــانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيرهِ . ولهُ مآثر عديدة وفصول انشائيَّة وقصائد واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عهده كاصحاب الجوائب والنحلة والزهرة والجنان يطول هنا ذكرها . ومن جيّد وصفهِ قولهُ في الحسود:

قالوا لزيدٍ انَّ عمرًا فاز اذ ربحت تجارتُهُ بحظّ كيّسِ
فازورَّ من غضبٍ وسكرج (؟) عينهُ وتنفَّس الصعداء ايَّ تنفّسِ
وغدا يقول مخرطماً ومبرطماً ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمّا اخبروا عمرًا بان بكرًا غدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
ارغى وازبد خاثرًا كالمعتري وانتاب سحنتَــهُ ظلامُ الحندسِ
وانحاز يصرخ قد كذبتم فاصرخوا انَّ السعادةَ لا تُرى في المُتعَسِ
ورووا على بكرٍ بانَّ صديقهُ يحيى بعزٍّ بعــد ذلٍّ قد كُسِي
فانســابَ كالافعى وقال اعوذُ من عارٍ غدا متبخترًا في الاطلسِ
والكلّ يبــدون المسرَّة كلّما سمعوا بنائبــةٍ سرت في الارؤُسِ
تبًّا لبغيك ايّهــا الانسان ما ابليسُ ربُّ النحسِ منكَ بانحسِ
ذي كبرياؤك يا لهــا من آفةٍ كالأفعوان سعت لقتــل الانفسِ

وقد رثاهُ الاديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ :

تركت يا مفردًا شأنًا يذكّرنا شذاه كالمسك لمّا فاح في الطللِ
من مشهد قد جلا الاحوال بان لنا منهُ عجائبُ افعالٍ بلا خللِ
ومن غرائب ما شاهدت من صدف ابهى من الدرّ او اشهى من العسلِ
ورحلةٍ سرتَ فيها قد حوت حكماً صيغت من الدرّ من قولٍ ومن عملِ

ولفرنسيس المراش اخٌ واخت اشتهرا ايضًا بالآداب . فاسم اخيهِ عبدالله وُلد في الشهباء منتصف ايّار سنة ١٨٣٩ فتلقّى كفرنسيس اصول الآداب في وطنهِ ثمَّ خصَّ نفسهُ بالاعمال التجاريَّة فسافر الى منشستر وتعاطى التجارة فيهــا من السنة ١٨٦١ الى ١٨٦٩ فأحرز لهُ فيها سمعةً حسنة بدرايتهِ واستقامة معاملتهِ . ثم جاء فرنسة واستوطن

باريس الى سنة ١٨٧٩ ثم عاد الى منشستر فسكنها الى سنة ١٨٨٢ فرحل عنها وحطّ عصا الترحال في مرسيلية حيث توفي في اوائل سنة ١٩٠٠

وكان عبد الله المرّاش مع اشتغالهِ بالتجارة حريصاً على جمع الآداب مولعاً بالمطالعة والتوسُّع في العلم وكان يحبُّ على الخصوص الآداب العربيَّة فيهتمّ بآثار العرب وفنونهم يسعى طاقتهُ في انتساخ ما يحلو لهُ من كتابات القدماء ونوادر تآليفهم وقد تردَّد مدَّةً الى مكتبتي لندن وباريس لهذه الغاية. وكان يكاتب كثيرين من أُدباء زمانهِ ورسائلهُ تدلُّ على فضلهِ طُبع منها جانب في النشرات الشرقيَّـة. ومن آثار قلمهِ تعريب بعض التآليف الافرنسية ومقالات انتقاديّة على كتابات آل عصره (١

اما أُخت فرنسيس فهي ماريانا المراش التي لا تزال في قيد الحياة وهي طاعنة في السنّ لها ديوان دعتهُ «بنت فكر» طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٩٣ فمن قولها الجيّد رثاؤها لفتاة:

ماذا حملتم على الايدي بلا حذرٍ ومَن دفنتم فما هذي من البشرِ
هذي ملاك اتت للارض لابسةً جسماً لطيفاً بدا للعقل والنظرِ
والآن عادت الى الفردوس مسكنها لهفي فلم يبقَ قلب غير منفطرِ
لو كان يشفي غليلَ المرء دمعُ اسىً لكان دمعُ الورى يُغني عن المطرِ
فالصبر مونسكم يا آلها ابدًا هذا لعمري قضاءٌ كان في القدرِ
فمن غدا صابرًا في الخطب محتسبًا ينال اكليل مجد العزّ والظفرِ

ونقشت على نعش اخيها فرنسيس:

ويلاه من جور دهر قد احلَّ بنا مصائبًا شأنها ان تصدع الحجرا
يشتّت الشمل منها حيثما نزلت تفني الجميع ولا تُبقي لهُ اثرا

وممَّا نُقش لها على كيس تبغ:

احفظ ودادك في فؤادك كامنًا واثبت ولا تكُ مثل تبغٍ دُخانِ
فمواصف الانفاس تصعدهُ سدًى وترجهُ في عالم النسيانِ
والودّ ضمن القلب نقطةُ مركزٍ كالارضِ ثابتةِ الاركانِ

وممَّا نظمتهُ بيتان نُقشا على سِترٍ يُسبَل على صورة السيّدة البتول:

١) اطلب مجلة الضياء (٢: ٣٤٤ و ٤٩١)

لمّا سموتِ على الملائك والبشر وافاكِ جبريلٌ يبشّرُ بالظّفر
وبكِ الخلاصُ غدا وابليس انقهر انتِ الشفيعة للخطاة ذوي الوزر

ولها على لسان امٍّ فارقتها ابنتها:

مذ غبتِ عني اخذتِ الروح منّيَ اذ تركتِ جسماً نحيلًا فاقد الجلَدِ
احرقتِ قلبي بنار الشوق جائرةً وما رحمتِ فيا قلبي ويا كبدي
عودي اليَّ رعاكِ الله يا املي يا نور عيني وردّي الروح للجسدِ

(رزق الله حسون) وفي هذا الزمان اشتهر حلبيّ آخر لعبَ دورًا مذكورًا في نهضة الآداب العربية. نعني بهِ رزق الله بن نعمة الله حسون. ولد هذا في حلب نحو السنة ١٨٢٥ وسافر الى الاستانة فتوطنها برهةً من الدهر وصار فيها ناظرًا لجمرك الدخان ثم تحوَّل في اوربَّة ودخل فرنسة وروسيَّة وحلَّ مدة في لندن وكان في اسفاره يشتغل بالاداب العربيَّة ويؤلف التآليف النثريَّة والشعريَّة. وكان خطهُ بديعاً وفي مكتبتنا الشرقيَّة من قلمهِ عدَّة كتب تأخذ بالابصار لجودة خطها واتقانها انتسخها في اوقات الفراغ في خزائن كتب اوربَّة كصبح الاعشى للقلقشندي وديوان الاحطل وديوان ذي الرمّة والمتمّ لابن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والاناجيل المقدسة ترجمة الدسمي. وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ قدم الى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرّب مناشيرهُ واوامرهُ. ثم عاد الى انكلترَّة واشتغل بالتأليف في قرية وَنْزورث (Wandsworth). ومما صنفهُ وقتئذٍ وطُبع في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٨٦٩و١٨٧٠ كتابهُ «اشعر الشعر» اودعهُ نظم سفر أيوب ونشيد موسى في الخروج ونشيدهُ في التثنية ثم سفر نشيد الاناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمهُ بمراثي ارميا. ودونك مثالًا من ترجمتهِ وهو وصف أيوب للفرس:

فهل تُعطي الجوادَ يخبُّ عزماً ونكسو عنقهُ عَرَفًا بسينا (؟)
أتوثبهُ كمثل جرادةٍ نَفْخُ منخرهِ مهيبُ السامعينا
ببطن الحَبْت بحّاثٌ وثوبٌ ببأسٍ يلتقي الحَرْب الزَّبونا
ويهزأ بالمخاوف ليس يخشى عن الاسياف لم يُحجم جبينا
تصلُّ عليهِ واقعةً سهامٌ وترهقهُ رماحُ الدارعينا
ويطوي الارضَ في وَثْب ورجزٍ ولم يُؤمن لصوتِ البوق حينا
اذا ما البوقُ يُنفَخُ قال هَهْ مِن بعيدٍ شُنَّتِ الهيجا شؤونا

وهذا مثال آخر من نظمهِ لمراثي ارميا :

أَنّي خلا منها الانيسُ البلدةُ ملأَى شعوبٍ بالجلاء تشتَّتوا
صارت كارملةٍ معظَّمة الملا امُّ القُرى ضُرِبت عليها الجزْيةُ

تبكي دمًا والدمعُ فوق خدودها فُقِدت عزاء خليلها ووَدُودها
اصحابها غدروا بها طُرًّا على غطِ العدى اضحوا شمات حَسُودها

ومما طُبع لهُ في المطبعة الاميركيَّة «كتاب السيرة السيّديَّة على ما اداهُ الينا المبشّرون الذين كانوا شهداء الكلمة . رتَّبها بهذا النسق تتبعًا لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا الى صعود الربّ» . وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الاناجيل الاربعة . وقد طُبع في مطبعتنا كتاب من جنسهِ وهو المعروف «بالقلادة الدريَّة في الاربعة الاناجيل السنيَّة» للاب يوحنَّا بلو اليسوعي

ومن مآثر رزق الله حسُّون كتابان آخران طبعهما في لندن : الاول كتاب النفثات ضمَّنهُ اربعين مثلًا من امثال احد كتبة الروس يُدعى ايڤان اندريفتش كورلف (I. A. Kurlov) فنقلها حسُّون الى العربيَّة ونظمها شعرًا والحقها ببعض مقاطيع شعريَّة من نظمهِ والتعسُّف في كثير منها ظاهر واغلاطها عديدة هذا منها مثال :

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى أَن تدانى الى سُهول البقاعِ
طارقًا لحظيرةٍ ناظرًا من نُقب صخرٍ يلوحُ ضوءُ شُعاعِ
فرأى الغنَمَ المساكين والسكّين في كفّ حاسرٍ عن ذراعِ
يذبَحُ الحَمَلَ السمين ويُلقي للعِرَى الكرْش والمِعَى في القفاعِ
والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا يَنبح تُداعي
فقضى عجبًا وولَّى سبيًا خائبًا من مرامهِ والمساعي
قائلًا يا كلابُ كم تنبحوني لو تصدَّيتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعهُ سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن في ٣٣ صفحة وقد طُبع هذا الديوان طبعة اخرى افضل من الطبعة السابقة واكمل منها على يد احد المستشرقين الالمان اسمهُ شولتِس (Schulthess)

وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيًا وذلك ما الجأَهُ الى سكنى لندن في آخرِ حياتهِ وهناك طبع جريدتهُ مرآة الاحوال

سنة ١٨٧٧ وكان سبق قبل ذلك بمدة طويلة فنشرها في الاستانة فكانت اقدم الجرائد العربيـة فيها (١). اما وفاة المترجم فوقعت نحو السنة ١٨٨٠ مات فجأةً في لندن. وكان رزق الله حسون صديقًا لأدباء زمانهِ يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة:

خدينَ المعالي وابن بجدتها الفردُ　　بقيت بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرشِ اسنى كرامة　　قرينٌ بها الاقبال والفخرُ والمجدُ
ولا زلتَ في امنٍ وموفور نعمةٍ　　ويمن اياد كسبُهُ الشكرُ والحمدُ
وبعدُ فقـد طال البعادُ ومهجتي　　يكادُ من الاشواق يضرمُها الوجدُ
وما ليَ عن لقياك صبرٌ ولا غنًى　　ولكنَّ خَطْبَ الدهر ما بيننا سدُّ
ألا بئسما الايَّامُ اغرت يد النوى　　بنا فاستطالَت ريثما قصر الجدُّ
موانع حالت دون فرضِ زيارتي　　وقد كنتُ ارجو ان يكون لك وفدُ
واصبحتُ من ابطائكم في هواجسٍ　　تحيّرني لا يهتـدي نحويَ الرشدُ
فابني للاطمئنان منكم ألوكةً　　اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصـدُ

وممَّا نظمهُ فيهِ المعلم بطرس كرامة ابيات قالهـا لمَّا اقترن سنة ١٨٤٨ بسيّدة تدعى ماتلد فقال:

تهاديك يا نجلَ الفؤادِ تهانيًا　　تنبّئ عن افراحنا حينما تبدُو
بخيرِ اقترانٍ جاء وهو مبارك　　يقارنهُ برٌّ ويصحبهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ　　وعيشٍ رغيدٍ بُرْدهُ الامن والرفدُ
زفاف سعيدٌ والهنـاء مؤرخٌ　　موافٍ لرزق الله بالخير ماتِلْدُ

وقد وجدنا لرزق الله حسون في الهجاء قولهُ في يوسف حجَّار نصرالله دلَّال الحلبي وكان استغنى بعـد فقر فترفَّع:

المرء يُذكر بالاعمال لا المالِ　　أحسِنْ بخيرها عن كسب ريبالِ
ليس الثراء بمُجدي النائليـهِ ثنا　　ان كان ما جمعُوهُ سُحْتَ اوبالِ
وهل سمعت بذي كبرٍ وذي صلف　　يرقى المعـالي بطول القيل والقالِ
قد ظنَّ يوسف حجَّار بغرَّتـهِ　　انَّ العلى هزُّ عطفيهِ كمكسالِ
فجـاء يخطر لا يلوي على احـدِ　　يتيهُ عجبًا بادبارٍ واقبـالِ
الله اكبرُ هـذا حالُ ذي شططٍ　　نال المنى بعـد اقتار واقلالِ
ان ساعدتك الليالي كن على حذرٍ　　فما تدوم على لون ولا حالِ

(١) اطلب مجلة الهلال (٨: ١٤٦ و ٢٢٤)

هلَّا تذكرتَ ايّامًا سلفنَ وقد مضت بخدمة نصرالله دلّالِ

ومنها :

ايا هبنّقة القيس الذي اشتهرت اخباره سُدْ بجدٍّ ناعم البالِ
قد استرحت من العقل الرصين ورا عي الضان بحكيك في جهلٍ وامثالِ
لا تأسفنَّ على ما فات عن عرضٍ فالنوك داء ولكن غير قتّالِ
قد عاش قبلك عجلٌ وهو ذو اخنٍ لكنّما انت لا تُعزَى الى آلِ

(القس انطون بولاد) وممَّن توفَّاهم الله في هذه الحقبة القس انطون بولاد احد ادباء زمانهِ . ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من اسرة فاضلة من الروم الملكيين الكاثوليك ثمَّ ترَّهب في دير المخلص قرب صيداء سنة ١٨١٥ ثمَّ رقَّاهُ الى رتبة الكهنوت السيَّد باسيليوس خليل اسقف صيداء سنة ١٨٢٢ وقد فُوّضت اليهِ في رهبانيَّتهِ عدَّة وظائف أعرب فيها عن همَّة ونشاط وترأس على دير القديسة تقلا وعمَّر ابنيةً جديدة في دير المخلص ودبَّر دروس طلبة رهبانيَّتهِ وعلَّمهم اللاهوت مدَّةً . ثم جرت بينهُ وبين اخوتهِ الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها القاصد الرسوليّ ڤيلاردل وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون الاشغال في دير المخلّص وانقطع الى الفرائض النسكيَّة الى السنة ١٨٦٠ وفيها انتقل الى بيروت من جرَّاء حوادث تلك السنة فسكنها الى عام وفاتهِ في ١ ايلول سنة ١٨٧١ . وكان القس انطون مولعًا بالآداب العربيَّة ولاسيَّما التاريخ وقد ابقى من آثار اجتهادهِ كتابهُ راشد سوريًا الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٦٨ ضمَّنهُ عددًا وافرًا من المعلومات والافادات اقتطف بعضها من مخطوطات قديمة كالصبح المنبي عن حيثيَّة المتنبي ورسالة الحاتمي في ما اخذهُ المتنبي من حكم ارسطو فنظمهُ في شعرهِ مع عدَّة فوائد في التاريخ والمصنَّفات القديمة . ومن آثار القس انطون بولاد خلاصة تاريخ البطركيَّة الانطاكيَّة واتحاد ابنائها مع الكنيسة الرومانيَّة اقترحهُ عليهِ الاب غَغَرين (Gagarin) اليسوعيّ والامير الروسي المرتدّ الى الكثلكة . ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبتنا الشرقيَّة . وفيها ايضًا للقس المذكور ملحق ذيَّل بهِ كتاب التختيكون للقس يوحنَّا عجيميّ واودعهُ تاريخ طائفتهِ من السنة ١٧٥٦ الى زمانهِ مع خلاصة اخبار الرهبانيَّة المخلصيَّة . ولهُ كتابات اخرى ورسائل متفرّقة

(الخوري جرجس عيسى) وعاصر القس بولاد راهبٌ آخر جاراهُ بالادب وهو الخوري جرجس عيسى السكّاف الذي اثبت المشرق (٩: ٤٩٤, ٥٤١) ترجمتهُ بقلم الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلّقة زحلة وانضوى الى الرهبانيَّة الحناويَّة في الشوير سنة ١٨٤٥ ثمَّ تلقَّى العلوم الدينيَّة وانس في نفسهِ ميلًا الى الاداب العربيَّة فتخرَّج فيهـا على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فبرع فيهِ ونُصب مدَّةً حاكماً للنصارى في عهد الامير بشير احمد اللمعيّ. وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ سافر الى ارلندة فجمع احسانات وافرة خصَّ منها بعد عودتهِ الى سوريَّة قسماً لبناء المدرسة البطركيَّة. ولمَّا فُتحت هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ كان الخوري عيسى اول رؤسائها وقام بشؤونها الدينيَّة والادبيَّة احسن قيام ودبَّرها سنتين واليهِ اشار سليم بك تقلا في مدحهِ للمدرسة المذكورة حيث قال:

وقد خصَّها من قبلُ في جرجس الذي ابان ابتداها وابتغى الكدَّ والقهرا
وقاسى بها كلَّ الصعاب مجاهـدًا وجمَّلها علمًا وقدرًا كذا ذكرا

ثمَّ عاد الخوري جرجس الى دير مار يوحنا الصابغ وتعاطى اعمال الرسالة والوعظ وارشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقًى حتى ذهب في ٨ آب سنة ١٨٧٥ شهيد تفانيهِ في خدمة المصابين في الهواء الاصفر. فمات في بيروت مأسوفاً عليـهِ وقد رثاهُ الشيخ خليل اليازجيّ بداليَّتهِ التي اوَّلها (المشرق ٩: ٤٩٩):

سقاكِ من الحيا صوبُ العهـادِ بدمعٍ سال من مُقَلِ النوادي

وكان الخوري جرجس عيسى شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان مخطوط انتقى منـهُ صاحب ترجمتهِ بعض الشذرات تجدها في عشر صفحات من مجلَّة المشرق (٩: ٥٤١–٥٥١) ومن نظمهِ قولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجيّ:

اذا عُرضت مسائلنـا لديهِ نراهُ لحلّهـا جالًا تصدَّى
فيوضح رمزهـا لفظًا ومعنًى ويكشف سرَّها قربًا وبُعدا
لهُ في مجلس العلماء مرأًى تجاوز في المهابة منـهُ حدًّا
اذا اختلف النحـاة بحكم امرٍ وقدَّم رأيهُ فيـهِ تبدَّى
وان افتى بخطٍّ او لسـانٍ ففتواهُ الصحيحة لن تُرَدَّا

ولهُ مؤرخًا وفاة السيّد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٥:

مكسيموس المفضال بطركنا الذي كان الامين لشعب مولاهُ العلي
لمَّا ارتقى دار الخلود ممجدًا لاقتهُ اجواق العلاء بمحفل
وهناك من فرحٍ مؤرخهُ تلا احسنت يا عبدًا امينًا فادخلِ

وللمترجم ما عدا الديوان الشعري كتابان دينيَّان طبعهما سنة ١٨٧٢ في المطبعة الادبيَّة احدهما «فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة» والاخر «كتاب صلوات خشوعيَّة لنظم الحيوة الروحيَّة»

وقد اشتهر في هذه الحقبة من الدهر غير هؤلاء ممَّن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم . امَّا اخبارهم فلم يفدنا احد منها شيئًا مع قرب عهدهم من زماننا

فمنهم (المعلّم سعد ابن منصور العضيمي) لهُ ديوان طُبع في بيروت في المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٨٧٢ دعاهُ القمر المشرق في بلاد المشرق وضمَّنهُ قصائد متعدّدة في وجوه بلادنا واعيانها كالولاة والامراء وذوي الرتب الدينيَّة . ولم نقف على شيء من اخبارهِ . امَّا شعرهُ فمتوسّط . من ذلك قولهُ في الحضرة الخديويَّة اسماعيل باشا :

يا كعبةَ المجد والاحسان والنعمِ ومعدن اللطف والاداب والحكمِ
انت الهمام الذي لولاك ما نطقتْ لسنُ الفصاحة من عُربٍ ومن عجمِ
فخر الزمان عظيم الشان ذو هِممٍ أمست حماهُ مطايا العزم من أممِ
اعنيهِ مولاي اسمعيل من خضعتْ لهُ الرئاسة والآداب كالخدمِ
هو المُعَدُّ لريب الدهر منتصبًا والمستجارُ بهِ في الاعصرِ الدُّهمِ
كالغيثِ في كرمٍ والليثِ في شيمٍ والنار في علمٍ والدهر في هممِ

ومن نظمهِ قولهُ يهنئ اخاهُ يوسف بمولود سمَّاهُ بشارة سنة ١٨٦٩

في دار يوسفَ قد بدا قمر الهنا اذ حلَّ دارهْ
فلذاك اذ وافى لهُ وعليه من سعدٍ اشارهْ
قد اشرقتْ انوارهُ وعلت علينا كالمنارهْ
نادى مؤرخـهُ لنا نُصر البشارةُ بالبشارهْ

ومن مراثيهِ قولهِ في خاتون قرينة حبيب الجاويش المتوفّاة سنة ١٨٧٠

لقد نعى الناسُ خاتونًا فقلتُ لهم هل أبحرُ الحسن قد غارت لآليها
ام اعترى البدرَ في التمّ الخسوف امْ م الشمس المنيرة تهوى من اعاليها
من آل جاويش حسناء بها شهدت اوصافها للملا انَّ التُّقى فيها

ومنها :

هذا المصابُ لقد شبَّت لهُ اسفًا بين الجوانح نارٌ عزَّ مطفيها
لكنما الصبر دِرعُ المتَّقين فذا ينفي المصائب في الدنيا ويبليها
لا بدَّ للمرء من يومٍ يموت بهِ وهذه الارض كلٌّ سوف يخليها
والروح في الجسم مثل الزيت في سرجٍ فان مضت فضياء الجسم تاليها

ومن حكمهِ:

تردَّدْ للخطوب السود صبرًا فان الصبر ظلمتهُ ضياء
وخذ من كل مَنْ واخاك حذرًا فهذا الدهرُ ليس لهُ اخاء
ولا تأنس فعهدٌ من اناس اذا وعدوا فليس لهم وفاء

(جرجس اسحق طراد) وكذلك عُرف في تلك المدَّة شاعرٌ من اسرة وجيهة في بيروت اسمهُ جرجس اسحق طراد تكرَّر ذكرهُ في منشورات زمانهِ كالجوائب والنحلة وغيرهما. ولهُ هناك فصول نقلها من اليونانيَّة وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم ومن ابياتها قولهُ:

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى والجهلُ ليلٌ مظلم لن يلمعا
فاسعوا بكسب العلم سعيًا كاملًا والله يعطي كل خيرٍ من سعى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا فالجهلُ غير بسيفهِ لن يُردعا

ولهُ من ابيات في مدح مجلَّة النحلة سنة ١٨٧٠

هي نحلةٌ من كلّ فنٍّ قد جنتْ وجلت عن التاريخ ما هو مُظلمُ
هبُّوا بني الاوطانِ واجنوا شهدها قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وشَّى صحائفها جليلٌ ماجدٌ في وصفهِ الاوطانُ ترهو وتبسمُ

وقد رثى الطيّب الذكر المطران طوبيًا عون سنة ١٨٧١ بمرثاة قال فيها:

خطبٌ جسيمٌ دهانا اليوم وا اسفي كلٌّ غدا قائلًا قد ضاع مصطبري
فقدُ الهمامِ الكريمِ الحاذق الورع م الذي تردَّى بثوب الخير والطهرِ
عون الفقير حليمٌ ماجدٌ فطن شهمٌ شهيرٌ وذو قلبٍ بلا وضرِ

وقد مدح ايضًا اسمعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة:

على اسماعيل سيّدنا سلامٌ تردّدهُ الاكابر والصغارُ
اذا ما غاب غاب العزُّ معهُ كما إن عاد عاد لنا الفخارُ
لعزّتهِ تخرُّ الأسدُ طوعًا كما للموت وللموت اضطرارُ

فما الاسكندريَّة في حماهُ سوى روضٍ بجلّلهُ اخضرارُ
ومصر الآن في الاقطار خودٌ تميس بحلَّةٍ لا تُستعارُ

ومن حكمهِ قولهُ :

ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركهُ ولا الذي رام يفدي الناس يفديها
ليس الذي عاش اياماً مطوَّلةً بل الذي عرك الايَّام يدريها
بين الحيوة وكل الناس معركةٌ بالحظّ والبؤس تفنينا ونفنيها

وكان مولد هذا الشاعر سنة ١٨٥١ ووفاتهُ في كانون من السنة ١٨٧٧. امَّا اخباره فقد تحفَّينا في السؤَال عنها فلم نحصل على شيء منها . وكذلك لم نقف على اخبار كاتب آخر تلوح من آثارهِ لوائح النجابة والذكاء نريد المرحوم قيصر ابيلا. ومن العجب ان الذين افادونا عن تاريخ بيت ابيلا (المشرق ٦ : ٦٥٤) لم يتعرَّضوا لذكر قيصر . وقد كنَّا عثرنا لهُ على قصيدة دينيَّة حسنة النظم فاثبتناها في مجلَّتنا (٧ : ٢٥٦) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقَّة بين الله والخاطئ اوَّلها :

يدعوك ربُّك ايها المتمرِّدُ حتَّى مَ في ليل المعاصي ترقدُ
فأجب نداهُ واعتصم بحبالهِ فهو المجيرُ وغيرهُ لا يعضدُ

ولهُ غير ذلك من الآثار منها نُبَذ في موادّ علميّة وصناعيَّة وادبيَّة نشرها في مجلَّة النحلة سنة ١٨٧٠ (ص ٢٢, ٣٦, ٥٢ الخ) . ومن شعرهِ قولهُ في وصف الدنيا ونكباتها :

ذر الدَّهرَ فالايَّام فاسخة العقد وناشرة البلوى وطاوية العهدِ
وما هذه الدنيا سوى دارِ ذلَّةٍ وفيها يجولُ المرء في الهمّ والكدّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ سيوف القضا بالفتك ماضيةُ الحدّ
تخادعنا الدنيا بوعدٍ مزوَّرٍ وليس سوى البأساء فيها وفا الوعدِ
تسلُّ على ذي الملك والجاهِ سيفها كما انها تسطو على احقر العبدِ
وهيهاتُ ما الدنيا الغرورُ بمنزلٍ ولكن بها نجري الى منزل الخلدِ
وكلٌّ على هذا الطريقِ مسافرٌ فلا صاحبٌ يُفدَى ولا ثروةٌ تجدي

ولهُ تقريظ في مجلَّة النحلة :

ألا حبَّذا القومُ الكرامُ الأُلى لهم على وطنٍ من خير افضالهم فضلُ
عليهم ثناءٌ لا يزال مؤبَّدًا يطيبُ كما طاب الذي جنت النحلُ
فأكرم بمَنْ من روضِ افكارهم لنا جنى نحلةٍ يحلو واثمانهُ تغلو
تطيب لنا مما حوتهُ فوائد واعذبُ شيءٍ ما يُلَذُّ بهِ العقلُ

ونضيف الى من سبقوا اديباً آخر توفي نحو سنة ١٨٧٣ اسمهُ اسعد باز صنَّف موشَّحات واغاني تقويَّة منهـا تسبحتان في مريم العذراء شائعتان : « انتِ الشفيعَ الاكرمُ » و « يا بتول ارحمي عبيدك » . وممَّا افادنا به جناب القانونيّ جرجي صفا ابيات لاسعد باز قالها سنة ١٨٣٠ في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيّدة التلة:

يا مقدس الدين الذي يسمو على ... قمر العلى نورًا باشراقٍ بدا
قد زانهُ الرحمـان في آياتهِ ... وبجودة المنَّان عاد مجدَّدا
طوبى لمن وافى اليـهِ طالبًا ... من مريم البكرِ العناية والهُدى
ويقول تاريخًا بهِ مترنِّمًا ... انت رجا القصَّاد بل سبب الفدى

ولمَّا اهدى الفاضل غالب افندي شاول صورة السيّدة لتلك الكنيسة قال اسعد باز :

تخذتكِ يا بتولًا لي ملاذًا ... حصينًا يُرتجى عند المخاطرْ
فارجوك العنـاية بي لأنّي ... انا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ

ولهُ ايضًا :

يا بيت عنيا قد غدوتِ مشهدًا ... لعجائب الله التي تسبي الورى
قد جاءكِ المولى المخلّص زائرًا ... احيا بكِ البيت الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (٢٦ كانون الاوَّل سنـة ١٨٧٠) احد وجوه الاسرة الدحداحية الذين اجادوا بالكتابة الشيخ امين الذي اتّخذهُ الامير حيدر كرئيس كتبتهِ لمَّا فُوضت اليهِ قائمقاميَّة النصارى في لبنان . وقد ذكر لهُ مكاتبنا الاديب الشيخ سليم الدحداح في مقالتهِ عن الكنت رشيد واسرتهِ (في المشرق ٤ : ٣٩٥) آثارًا ادبيّة ومنظومات شهدت لهُ على رسوخ القدم في الاداب العربيَّة وأيد قولهُ بذكر ما دار بينهُ وبين ادباء عصرهِ من المساجلات والمكاتبات المنبئة بفضلهِ وباعتبار معاصريه لهُ

هذا ما امكنَّا جمعهُ من اخبار ادباء النصارى في هذه الحقبة ولا مراء انَّهُ فاتنا منها اشياء كثيرةٌ واملنا من اصحاب الفضل والهمَّة ان يسدُّوا الخلل او يرشدونا الى مـا يعرفونهُ من الفوائد فننشرها شاكرين . وقد عدلنـا عن ذكر الذين قصروا همَّتهم الى تآليف دينيَّة او جدليَّة قليلة كالسيّد امبروسيوس عبده المتوفّي سنة ١٨٧٦ بعد تدبيرهِ مدَّة لكرسيّ زحلة ونقلهِ الى القلاية الاورشليميَّة وهو مؤلف كتاب كنز الرياضـة

الروحيّة · وكالارشمندريت غبريل جبارة احد الذين عدلوا عن الكثلكة الى الارثذكسيَّة بسبب تغيير الحساب · توفي سنة ١٨٧٨ في ازمير · ولهُ كتابات جدليَّة لتأييد رأيهِ الباطل في الحساب الشرقيّ

المستشرقون الاوربيُّون

بقيت ازمَّة الدروس الشرقيَّة في ايدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتدّ من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ وان خمدت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينيَّة · وكان معظم المستشرقين في فرنسة قد تخرَّجوا على اولئك الائمة الذين سبق ذكرهم كالبارون دي ساسي ودي كاترمار ورينو فتقفَّى تلامذتهم آثارهم الَّا انَّ الموت حلَّ ببعضهم فرزئت بهم الاداب العربيَّة

واوَّل من يستحقّ ان تشقّ عليهِ الاداب جيوبها العلَّامة كوسَّان دي پرسڤال (A. P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والدهِ ولد هو في ١٣ ك ١ سنة ١٧٩٥ وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة ثمَّ ارسلته حكومتهُ بصفة ترجمان الى الاستانة ثم الى ازمير. ثمَّ جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبلها ومدنها وتوغَّل في باديتها حيث ابتاع لحكومتهِ جيادًا اصيلة · وكان في سياحتهِ اتقن اللغات العربيَّة العاميَّة فألَّف فيها غرماطيقًا واصلح معجم الاستاذ القبطي اليوس بُجتر فجدَّد طبعهُ · وقد ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغة العربيَّة في مكتب دروسها العليا فلم يلبث ان احرز لهُ شهرة كبيرة في التعليم · ثمَّ خصَّ حياتهُ في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألَّف في ذلك كتابًا واسعًا في ثلاث مجلَّدات لم يبلغ فيهِ احد شأوهُ وقد نفد طبعهُ حتى بيع بثلاثمائة فرنك · وللمسيو دي پرسڤال تآليف أُخرى عديدة ومقالات فنيَّة في كل آداب الشرق أخصّها تراجم الموسيقيين العرب · كانت وفاتهُ وقت حصار باريس وفيها مات في ١٧ ك ١ سنة ١٨٧١

ومن مشاهير المتوفين من المستشرقين في هذه السنين لويس امالي سيديليو (A. Sédillot) ولد في باريس في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠٨ وتخرَّج على ابيهِ الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج ١ ص ٦٥) فتعقَّب آثارهُ وجعل ينقّب في المكاتب الشرقيَّة ليستخرج منها دفائنها فنجح في ذلك بعض النجاح ونشر سنة ١٨٣٣ كتاب ابي الحسن

علي المرّاكشي المدعو جامع المبادي والغايات في الآلات الفلكيّة ونقلهُ الى الفرنسويّة ونشر مقالات أُخرى رياضيَّة لاحمد بن محمّد السنجاري وللامام المظفَّر الاسفرلدي وصنَّف تاريخًا للرياضيَّات عند اليونان والعرب. وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكيَّة وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينهُ وبين علماء زمانهِ جدال عنيف في ذلك فخطَّأوهُ واثبتوا لهُ انهُ تجاوز في كلامهِ حدود الحقيقة وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي أَلفهُ وطبعهُ مرَّتين فانَّهُ قد رمى الكلام على عواهنهِ وشطَّ في مزاعمهِ وقد خُدع بكتابهِ المصريّون فنقلوهُ الى العربيَّة ظنًّا منهم انَّهُ من الآثار الفريدة. توفّي المسيو سيديليو سنة ١٨٧٥

ولبَّى دعوة ربّهِ بعده بزمن قليل المسيو جول موهل (J. Mohl) كان هذا الالماني الاصل فولد في ستوتغارت سنة ١٨٠٠ ودرس في كلّيَّة توبنغن. ولما شعر في نفسهِ ميلًا الى الدروس الشرقيَّة قصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وتفرَّغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقيّة. حتى انَّ خطبهُ التي القاها في الجمعيَّة الاسيويّة الفرنسويّة عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث وكان متعمّقًا في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعهُ طبعًا بديعًا في سبعة مجلّدات ضخمة ونقلهُ الى الفرنسويَّة وذيَّلهُ بالحواشي وعلَّم سنين طويلة اللغة الفارسيّة في مكتب باريس الاعلى. توفّي في ٤ ك١ سنة ١٨٧٦

وفي السنة ١٨٧٧ فُجعت الآداب الشرقيّة باحد اركانها المسيو بلن (Belin) كان قطن زمنًا طويلًا بلاد الشرق وخصوصًا عاصمة المملكة العثمانيَّة حيث تعيَّن قنصلًا لدولتهِ. وكان مع تدبيرهِ لشؤون القنصلية يهتمّ بدرس تاريخ الشرق وكشف اسرارهِ فوضع مصنَّفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم وكان يُعنَى خصوصًا بتاريخ نصارى الشرق واحوالهم ولهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة فصول حسنة في كلّ ابواب المعارف الشرقيّة وقد أَلّف تاريخًا للطائفة اللاتينيَّة في الاستانة العليَّة

وفي السنة التالية (٤ ايلول ١٨٧٨) توفي المستشرق الشهير غارسن دي تاسي (Garcin de Tassy) ولد في مرسيلية سنة ١٧٩٤ ودرس في باريس اللغات الشرقيَّة على امامها الاكبر دي ساسي. فاشتهر فيها ولاسيما في اللغتين الفارسيَّة والهندستانيَّة وقد توفَّرت مصنَّفاتهُ فيهما. ومن آثارهِ « مجموع الرموز الشرقيَّة » جمعهُ من

لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك وقد انشأ جريدتين عربيَّتين عُقاب باريس والبرجيس وكان اتَّخذ لهُ بصفة كاتب ومحرّر سليمان الحرائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ. توفي الاب بورغاد في ٢٠ ايار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المسيو دي سوسي (L. F. Caignart de Saulcy) توفي في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمره ٧٣سنة بعد ان أدَّى للدروس الشرقيَّة خدمًا عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود القديمة فانَّهُ ساح مرارًا في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درسًا نعمًا وفكَّ كثيرًا من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيَّة والفينيقيَّـة والاشوريَّة والعربيَّة. والكتب التي ألَّفها في وصف العاديات التي اكتشفها او حلَّ رموزها تنيف على المئة. وبعض هذه التآليف كتب ضخمة. ولهُ ايضًا عدَّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة في مجلَّدين وتاريخ هيرودس الكبير لكنَّهُ برَّز في علم المسكوكات القديمة

(الالمانيُّون) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حميَّة الدروس الشرقيَّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيَّة. وممَّن استحقوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلَّامة إيڤلد (H. Ewald)ولد في غوتا سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنهِ العلوم الدينيَّة ويعدُّهُ البروتستانت من كبار ائمتهم في اللاهوت لهُ فيهِ كتابات عديدة وقد علَّمهُ زمنًا طويلًا في مدارس المانية وكان تبحَّر في درس اللغات الشرقيَّة ومن مآثرهِ العربيَّة غرماطيق واسع في جزءين صنَّفهُ باللغة الالمانيَّة. وقد كتب ايضًا في الشعر والعروض ونشر كتـاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيَّة المصونة في غوتا. توفي ايڤلد في ٤ ايَّار سنة ١٨٧٥

واشتهر ايضًا المانيّ آخر اسمهُ هرمان روديغر (H. J. Roediger) كان ابوهُ اميل روديغر سبقهُ الى درس الشرقيَّات فنشر امثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقيَّة للاسفارِ المقدَّسة التاريخيَّة. وقد تبعهُ ابنهُ في درس الآداب العربيَّة وعلَّمها مدَّة في مدينة هال (Halle) ومن آثارهِ اشتغالهُ بكتاب جليل يُدعى الفهرست لابي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعهِ العلامة فلوغل ففاجأهُ الموت ولم يتممهُ فانجزهُ العالمان اوغست

لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك وقد انشأ جريدتين عربيتين عُقاب باريس والبرجيس وكان اتخذ لهُ بصفة كاتب ومحرّر سليمان الحرائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ . توفي الاب بورغاد في ٢٠ آيار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المسيو دي سوسي (L. F. Caignart de Saulcy) توفي في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمرهُ ٧٣ سنة بعد ان أدى للمدرس الشرقيَّة خدماً عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود القديمة فانهُ ساح مراراً في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درساً نعماً وفكَّ كثيراً من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيَّة والفينيقيَّة والاشوريَّة والعربيَّة . والكتب التي ألفها في وصف العاديات التي اكتشفها او حلَّ رموزها تنيف على المئة . وبعض هذه التآليف كتب ضخمة . ولهُ ايضاً عدَّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة في مجلَّدين وتاريخ هيرودس الكبير [illegible] في علم المسكوكات القديمة

(الالمانيُّون) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حميَّة الدروس الشرقيَّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيَّة . وممَّن استحقوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلَّامة إڤلد (H. Ewald) ولد في غوتا سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنهِ العلوم الدينيَّة ويعدهُ البروتستانت من كبار ائمتهم في اللاهوت لهُ فيهِ كتابات عديدة وقد علَّمهُ زمناً طويلاً في مدارس المانية وكان تبحَّر في درس اللغات الشرقيَّة ومن مآثرهِ العربيَّة غرماطيق واسع في جزءين صنَّفهُ باللغة الالمانيَّة . وقلم كتب ايضاً في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيَّة المصونة في غوتا . توفي ايفلد في ٤ ايار سنة ١٨٧٥ .

واشتهر ايضاً المانيٌّ آخر اسمهُ هرمان روديغر (H. J. Roediger) كان ابوهُ اميل روديغر سبقهُ الى درس الشرقيات فنشر امثال لقمان الحكيم وكتب في الترجمات الشرقيَّة للاسفار المقدَّسة التاريخيَّة . وقد تبعهُ ابنهُ في درس الآداب العربيَّة وعلَّمها مدَّة في مدينة هال (Halle) ومن آثارهِ اشتغالهُ بكتاب جليل يدعى الفهرست لابي الفرج ابن النديم كان باشر بطبعهِ العلَّامة فلوغل ففاجأهُ الموت ولم يتممهُ فانجزهُ العالمان اوغست

موار وهرمان روديغر . وقد كتب روديغر في بعض اللغويات العربية عدة مقالات منها تأليف واسع في اسماء الافعال

(الروس) سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربيَّة وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على انحاء من القارة الاسيوية احسَّت بحاجتها الى لغة قسم كبير من رعاياها فأنشأت كتبًا خصوصيًا للغات الشرقيَّة من جملتها اللغتان العربيَّة والفارسيَّة عهدت بتدريسهما الى اثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الاستاذان ديمانج (Desmanges) وشرموا (Charmoy) صاحب التآليف الخطيرة في تاريخ المغول والاكراد . واخذ عن ديمانج تلميذهُ الروسي بوتجانوف (Bottjanoff) الذي نشر بعض قصائد لابي العلاء المعرّي وللنابغة الذبياني . وفي عهدهِ كان الكسيس بولديراف (A. Boldyrew) الذي رحل الى باريس وسمع دي ساسي وعلَّم في موسكو وترأس على كليَّتها . ومن تركتهِ العلميَّة نشرهُ لمعلَّقتي الحارث بن حِلِّزة وعنترة ثمَّ منتخبات عربيَّة طبعها في موسكو سنة ١٨٣٢ ولهُ فصول ومقالات شتى في منشورات بلادهِ . وكان عالمًا باللغة الفارسيَّة ترك فيها آثارًا مذكورة . وعاصرهُ عالم روسي آخر يوسف سيانكوفسكي (J. Sienkowski) ولد في بلاد ليتوانية في اوائل القرن التاسع عشر ودرس العربيَّة وهو في مقتبل العمر ثمَّ ساح في بلاد الشام ومصر وعاد الى بطرسبرج حيث درَّس اللغتين العربيَّة والتركية . وكان عالمًا باللهجات العاميَّة فكتب في ذلك عدَّة فصول مفيدة ونشر قصصًا وحكايات وبعض روايات عنتر . ولهُ مقالة حسنة في ديوان لبيد . وساعد برغرين (Berggren) في تأليف دليلهِ للسيَّاح في الشام ومصر سنة ١٨٤٤ . ومن مآثره انهُ جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووهُ عن قبائل الهونيين (Huns) وعن امور وطنهِ بولونية

وقد تخرَّج على سيانكوفسكي كثيرون من الروسيين اشتهر بينهم ساڤلياف (P. Sawelieff) الكاتب الاوَّل لاسرار الجمعيَّة الاثريَّة في بطرسبورج وأحد خدمة الآداب الشرقيَّة في بلادهِ . ثم غريغورياف (W. Grigorieff) معلم التواريخ الشرقيَّة في عاصمة دولتهِ

وعُرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي باڤسكي (G. Pawsky) نقل الكتب المقدَّسة من العبرانيَّة الى الروسيَّة وألَّف كتابًا في اصول اللغة العبرانيَّة وكان متضلعًا

بالعاديات الشرقيّة وقد صنّف فيها المقالات المستجادة . واشتهر مثلهُ في العبرانيّة العالم كوسوفتش (K. Kossowitch) الذي نقل الى الروسيَّة غرماطيق جزنيوس (Gesenius) وحشّاه وقد نشر منتخبات عبرانيّة

وفي السنة ١٨٥٤ أُنشئ في كليّة بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقيّة فدُعي الى تدريس العربيَّة فيهِ المسيو نفروتسكي (M. Nawrotsky) الذي وضع في اصول اللغة العربيَّة كتابًا يرجع اليهِ علماء الروس حتى يومنا هذا. وكان يسعفهُ في تدريس اللغة العاميَّة الشيخ محمَّد الطنطاوي المتوفَّى سنة ١٨٧١ ولهُ في اللهجة المصريَّة كتاب معروف

واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولاڤتش برازين (F. N. Bérésine) ولد سنة ١٨١٨ ودرس في كليَّة قازان اللغات الشرقيَّة ثم ارسلتهُ الكليَّة الى بلاد الشرق فطاف اقطار العجم ثم الجزيرة وبرّ الاناضول والشام ومصر وسكن الاستانة مدَّة ثم عاد الى بلادهِ مارًّا بالقريم ثمَّ رحل الى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم . ثمَّ علّم مدَّةً في كليَّة قازان اللغة التركيَّة ولهُ فيها وفي الفارسيَّة عدَّة تآليف . وكان يعرف اللغة العربيَّة ودرس خصوصًا لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها وانقطع الى تاريخ الدول الاسلاميَّة وكتب فيها كتابات اثريَّة وتاريخيَّة وجغرافيَّة واديَّة ولغويَّة وقد اجاد في وصف شيع اليزيديين والاسماعيليين واسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين . وقد تولَّى ادارة المطبوعات الشرقية في قازان الى وفاتهِ نحو السنة ١٨٧٠؟

وقد اشبه العلامة برازين روسي آخر سبق لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١١٩) المسيو خانيكوف (M. de Khanikoff) فانهُ رحل ايضًا الى العجم واواسط آسيَّة وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم . توفي سنة ١٨٧٩ (١

ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبى دعوة ربهِ في هذه الرحمة نعني بهِ شرل ترنبرغ (C. Tornberg) فانهُ ولد سنة ١٨٠٧ وتتلمذ لدي ساسي في باريس وعلّم في كليَّة اوبسالا اللغة العربيَّة . ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبّي الشرقيَّات اخصُّها

١) قد استفدنا بعض ما كتبناهُ عن مستشرقي روسيَّة من احد افاضلها تزيل بيروت هذه الايَّام واحد طلبة مكتبنا الشرقي الاديب اغناطيوس كراتشوفسكي (I. Kraktchowski) فنشكرهُ على ما افاد . وستتم في الفصول التالية اخبار الذين اشتهروا بعد سنة ١٨٨٠

تاريخ الكامل لابن الاثير طبعهُ في ١٤ مجلَّدًا واضاف اليهِ ملحوظات مهمَّة وفهارس. ثم تاريخ فاس المسمَّى كتاب الانيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن ابي زُرع نشرهُ ونقلهُ الى اللاتينيَّة. وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقيَّة المصونة في مدينة اوبسالا. توفي الدكتور ترنبرغ نحو السنة ١٨٧٨

الفصل الثاني

الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

نظر عامّ

لم تبلغ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر كلهِ ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتّحة من زرّها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت افنانها ومدَّت في قاع الارض اصولها فلم تَعُد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان للفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصًا لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سوريَّة ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقّون شيئًا فشيئًا عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدُّن بنفوذهم

ولا مراء انَّ المدارس لعبت الدور الاهمّ في هذا الترقّي الشريف فكانت الكليَّة الامركيَّة بلغت عزَّ قوَّتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس وبهمَّة بعض اساتذتها ولاسيما الدكاترة كرنيليوس ڤان ديك ولويس وجرج بست ويوحنَّا ورتبات مع مساعدة بعض الوطنيّين. وكان وقتئذٍ تعليم المدرسة باللغة العربيَّة فوضعت عمدة الكلية في العربيّة او نقلت اليها عددًا وافرًا من التآليف العلميَّة التي ادَّت خدمًا موقَّتة لنشر العلوم في الشام وغيرها الى ان عدلت المدرسة عن العربيَّة الى الانكليزيّة لمَّا تحقَّقت ان تلك التآليف تحتاج في كل سنة الى اصلاح وتحسين بتقدُّم العلوم فلا تفي بالمرام بعد زمن قليل ما لم يكرَّر طبعها مع وفرة نفقاتها

وكانت الكليَّة اليسوعيَّة مع حداثة نشأتها تباري رصيفتها الاميركيَّة في نشر المعارف الدينيَّة والدنيويَّة. وكان الاحبار الرومانيُّون يعلّقون عليها الآمال الطيّبة في اغلاء

منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقيَّة فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٧٤ اسم كليَّة وقام من بعدهِ خلفهُ المغبوط لاون الثالث عشر فخصَّها سنة ١٨٨١ بامتيازات اخرى وخصوصاً ان تعطي طلَبَتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحقّ القانوني والفلسفة

وكانت الدولة الفرنسويَّة في تلك الاثناء ساعيةً في تعزيز مدارسها في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محققًا لغاياتها ضامنًا لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الاجازة كطالبي مدارسها في فرنسة. ثمَّ وكلت الى روسائها ان يلحقوا بالكلية مكتبًا طبيًا. فتمَّ ذلك فعلًا سنة ١٨٨٣ وأُنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الاثني عشر لكلّ منها معلّمها الاختصاصي. فزادت هذه الانعامات كليَّتنا نشاطاً وعزيمة ورقّتها الى درجةٍ ما كانت لتطمع فيها الآمال. وكانت للدروس العربية في ذلك الترقي حظّها من الاهتمام كما اثبتنا الامر في خطبة القيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ : ٦٩٩) وفي مقالة اخرى عن تدريس العربية في كليتنا (المشرق ٥ : ٩٢٢) حيث عدَّدنا تآليف تسعين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويون

وكانت المدارس الثانويَّة بعضها للمرسَلين وبعضها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار. فمنها ما كان سبق انشاؤهُ تلك الحقبة فمرَّ لنا ذكرهُ ومنها ما استجدَّ افتتاحهُ كمدارس «الفرار» في بيروت والقدس وحيفا ويافا وطرابلس ومدرسة الاباء الكبوشيين في صليما والاباء الكرمليين في القبيَّات والاباء اليسوعيين في حمص وسيّدة القلعة. واعظم منها مدرسة القديسة حنَّة الاكليريكيَّة المعروفة بالصلاحيَّة التي أسَّسها سنة ١٨٨٢ نيافة الكردينال لافيجري وخصَّها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت ادارة الاباء البيض (اطلب في المشرق ١٠ : ٨٦٥ مقالة الخوري نقولا دهَّان في تاريخ تلك المدرسة واعمالها) . وتعدَّدت المدارس الابتدائيَّة للذكور والاناث فحظيت بها اكثر قرى لبنان وسهول البقاع ونواحي حوران بهمَّة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلاً عمَّا عُني بانشائهِ المرسلون البروتستانت في انحاء شتَّى

امَّا المدارس الطائفية فأُنشئ منها للدروس الثانويَّة مدرسة غزير المارونية كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة ١٨٨٠ ومدرسة قرنة شهوان المعروفة باللبنانية من اثار همَّة السيّد يوسف الزغبي سنة ١٨٨٣. وفتح الروم الكاثوليك في دمشق مدرستهم

البطريركية التي اقبل عليها الاحداث لحسن نظامها . وكذلك مدرستهم الاسقفيّة في زحلة اهتمّ بتدبيرها كهنة افاضل اخصُّهم الخوري فيلبُّوس غير والخوري بطرس الجريجري قبل انتخابهِ الى كرسيّ بانياس . وفي السنة ١٨٩٨ اقامت الرهبانيَّـة الباسيليَّة الحنَّاويَّة مدرستها الشرقيَّة وقد نعتتها بالكليَّة وهي اليوم من المعاهد التي تزين مدينة زحلة . وانشأ الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يدبرها عدَّة كهنة من تلامذة القديسة حنَّة تحت نظارة راعيها الغيور . وزيد ايضاً بمساعي الطوائف الشرقيَّة عدد المدارس الابتدائيَّة في عدَّة امكنة فاصبحت بذلك اثمار العلوم دانيـة القطوف حتى بين القرويين والفقراء

وممَّا نعرفـهُ من امور المدارس غير الكاثوليكيَّة انشاء الروم الارثذكس لمدرسة كفتين سنة ١٨٨٢ فتقلَّبت عليهـا الاحوال بين تقدُّم وتأَخُّر حتى أُقفلت . ومثلها مدرستهم الاكليركيَّة في دير البلمند التي اصابت بعض النجاح مدَّة . وانشأَت السيّدة املي سرسق مدرسة وطنيَّة في الثغر لبنات طائفتها دعتها زهرة الاحسان عام ١٨٨٠ . وقد وجد الروم الارثذكس مساعدًا كبيرًا في الدولة الروسيَّة لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها . فانَّ شركة فلسطين المسكوبيَّة منذ عشرين سنة انشأت في الشام وفلسطين نيِّفًا وثمانين مدرسة تنفق عليهـا المبالغ الوافرة . وفتح الاسرائيليُّون مدرسة في بيروت ترأسها زاكي افندي كوهن سنة ١٨٧٥ فخدمت طائفة اليهود نحو ٢٥ عاماً ثم أُبطلت وقامت بدلًا منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

كذلك انشأت الحكومة للمسلمين في بيروت المكتب الاعدادي سنة ١٣٠٩ (١٨٨٥) ثم انشأ بعض الاهالي اصحاب الهمَّة مدارس اهليَّة اخصُّها المدرسة العثمانية لصاحبها ورئيسها الشيخ احمد افندي عبَّاس الازهري سنة ١٣١٣ (١٨٩٧) والمدرسة الوطنيَّـة والمدرسة العلمية وهذه المدارس ارقى نوعاً من المدارس الابتدائية فتزيد غالباً على المبادئ واصول الدين واللغـة درس اللغتين التركية والفرنسويَّة مع اصول الحساب والجغرافية ومسك الدفاتر .

وكانت المطابع السوريَّة في هذه البرهة سيَّارة الآداب تجري على حرّيتها دون ان يضغط عليها المراقبون ويقصُّوا اجنحة اطيار الافكار . فكان الصحافيُّون يعلنون الاخبار الصحيحة ويعربون عن آرائهم في اصلاح الامور وتلافي الشرور لا تاخذهم في ذلك لومة

لاثم. وفي تلك الاثناء اتسَّعت مجلة المقتطف في ابحاثها وكبر حجمها بعد الغاء مجلّة الجنان لكنَّها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحسَّاد فانتقلت الى مصر سنة ١٨٨٦ وجرت على سَنَنها الى السنة الجارية وهي الرابعة والثلاثون من عمرها. وأُنشئت بعد ذلك مجلّة الطبيب كان يحرّرها بشاره زلزل والشيخ ابراهيم اليازجي. ولم يطل عمرها على ثلاث سنوات فقامت بدلًا منها مجلّة أُخرى باسمها يحرّرها الى يومنا الدكتور اسكندر افندي البارودي. ونشر الروم الارثذكس مجلتهم الهديَّة خمس سنين وظهرت في لبنان مجلّتا الشفاء والصفا فخدمتا الآداب بضعة اعوام. وكانت مجلّة المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلّات في بيروت ظهرت في غرَّة السنة ١٨٩٨ وهذه السنة الثانية عشرة لعمرها. نفع الله بها اهل الوطن ومحبّي الدين والادب. وكذلك بوشر بعدَّة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة ١٨٧٧ ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقَّاش ثم جريدة التقدُّم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون. وجريدة الاحوال لصاحبها الاديب خليل افندي البدوي. وأُنشئت الصحافة اللبنانيَّة فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسميّة ثم الروضة ثم لبنان لصاحب امتيازها جناب ابراهيم بك الاسود ثم الارز

وطُبعت عدّة مطبوعات مفيدة منها علميَّة ومنها تاريخيَّة ومنها ادبيَّة. وكانت مطبعتنا الكاثوليكيَّة في مقدّمة المطابع فنشرت بهمَّة مديريها وآبا كلّيتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصريَّة. وممَّا وجَّهت اليهِ عنايتها الكتب المدارسية لتكون في ايدي الاحداث قدوةً ودليلًا

على انَّ ادارة المعارف في الاستانة اخذت تنشئ القوانين الصارمة لتقييد حرّيَّة المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئًا بعد شيءٍ حتى بلغت في ضغطها حدًّا لا يكاد يتصوَّرهُ غير الذين قاسوا مضضهُ. ولعلَّ ذلك الضنك الذي بلغ الروح التراقي كان من لقوى اسباب الانقلاب الاخير. ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها المعلم بطرس البستاني ثم خلفهُ في نشرها اولادهُ وانسباؤهُ ولم يتمّ منها الّا نصفها. وكذلك طُبع ديوان الاخطل وديوان الخنساء وديوان ابي العتاهية واقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الامثال للشيخ ابراهيم احدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ ابراهيم اليازجي ومجموع مجاني

الادب مع شروحهِ وكتب أُخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعةً طيّبة حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتها. وكان الحظ الاوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك

وممَّا يحيي الآداب ويبعث همم ذويها الجمعيات الادبية وقد ذكرنا سابقاً ما أُنشئ منها في بيروت على انَّ تلك الجمعيات الادبية انتقض حبلها وتضعضعت اركانها اذ تصدَّت لها الحكومة المحلّية وكانت لا تزال تترصَّدها وتتجسَّس بواطن اصحابها وتسيء الظنّ بهم فرأوا في شتاتهم خيرًا لهم. وقد سعى مع ذلك الادباء بانشاء نوادي ادبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد اصحابها من اساتذة الحكمة بعض جلسات في السنتين ١٨٨١ و ١٨٨٢ ونشرت نبذًا من اعمالها. ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انتمت الى القديس جرجس دبّرها الاب يوسف برنيه اليسوعي ثلاث سنوات وأتت ببعض النتائج الحسنة (١٨٨٣–١٨٨٦) وأَسس الاميركان جمعية اخرى مختلطة دعوها بشمس البرّ تلتئم حتى اليوم في اوقات معلومة وتُتلى فيها الخطب في مواضيع شتَّى تُستشفّ من وراء بعضها حرّية الافكار

وقد ساعد ايضاً على نشر الاداب في جهات الشام وبالاخصّ في بيروت انشاء الكتبيين للمكاتب فانَّ باعة الكتب قبل السنة ١٨٨٠ كانوا قليلين لا يزيدون على ثلاثة او اربعة بين نصارى ومسلمين ففُتحت عدَّة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن اوربَّة. ثم خمدت تلك الحركة بعد ان تشدَّدت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتفِ بان تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرّد ما توهَّمتهُ فيها من المحظورات حتى لم تسمح بادخال تاريخ ابي الفداء والعقد الفريد لابن عبد ربهِ. وقد رأينا من مراقبة المامورين عجائب وغرائب لو اثبتناها هنا لعُدَّت من اساطير الاوَّلين او اقاصيص الامم الهمجيّة

ومع ما نفعتْ تلك المكاتب كنَّا نحضّ ذوي الامر على انشاء خزائن عموميَّة تودع فيها اخصّ المطبوعات الشرقيَّة ليقتبس من انوارها المشتغلون بالآداب كما هو جارٍ في معظم البلاد المتمدّنة لكنَّنا كنَّا ننفخ في رماد ونضرب على حديد بارد. والى يومنا

هذا نتمنى بفروغ الصبر ان تصرف بلديّتنا نظرها الى هذا الامر النافع فعسى ان يلقى مطلوبنا اذنًا سامعة

على انَّ بعض الجمعيَّات استدركت الامر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن . فانَّ المدرسة الامركيَّة عُنيت بفتح مكتبة في معاهد كليّتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة الاف بينهـا نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخّص لأدباء البلدة فضلًا عن ذويهـا بمطالعة تلك المصنَّفات . وكذلك اهتمَّت احدى السيّدات الامركيَّة بانشاء غرفة للقراءة تُعرَض فيها الجرائد على القرَّاء وتتضمَّن مع هذا عددًا وافرًا من الكتب العربية وخصوصًا التآليف الدينيَّة البروتستانيَّة

وكان روساء مدرستنا الكليَّة وجَّهوا جلّ اهتمامهم لانشاء مكتبة واسعة تشتمل على اخصّ المآثر الشرقيَّة فوكلوا الامر الى بعض رهبانهم فأنشئت سنة ١٨٨٠ المكتبة الشرقيَّة التي لم تزل تمتدّ وتتَّسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الثلاثين الفًا . بينها مجموع المجلَّات الاسيويَّة واخطر التآليف واعزّها في كل ضرب من العلوم الشرقيَّة . هذا فضلًا عن الفي كتاب مخطوط في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والتركيَّة والفارسيَّة مع آثار قليلة في اليونانيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة . فاذا أُضيف الى هذه الخزانة مـا تحويه المكتبة الغربيَّة والمكتبة الطبيَّة والمكتبة المدرسيّة وغيرها بلغ عدد كتب كليتنا مئة الف . وكثيرًا ما تلطَّف الروساء فسمحوا لاهل الادب من الوطنيين والاجانب على اختلاف الاديان ان ينتفعوا من تلك الكنوز الادبيَّة ويقطفوا ما شاؤوا من تلك الثمار الجنيَّة . ولم يريدوا ان يُحرم طلبتهم الاحداث من مراجعة كتب الآداب فقرَّبوا منهم منافعها وخصُّوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذّب اخلاقهم وينير عقولهم ويفكّه ارواحهم

وممَّا يستحق الذكر بين مكاتب الشام خارجًا عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جُمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرّقـة الموقوفة على الجوامع والمدارس فاضحت من اخصّ المعاهد الادبية . وهي تحتوي نحو سبعة الاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطيَّة

وممَّا يعود فضلهُ الى بيروت خصوصًا في تعزيز الآداب العربيَّة فنّ التمثيل وقد سبق لنا كيفيَّة ظهوره على يد المرحوم مارون نقَّاش وما نجم عنهُ من المضرَّات بسوء استعماله

في المراسح العموميَّة حيث مُثلت روايات مخلّة بالاداب. الّا انَّ هذا الفن الجليل عاد الى شرف مقامهِ في المدارس المسيحيَّة. وكانت كليَّتنا اوَّل من سبق الى تشخيص الروايات التمثيليّة العربيَّة سنة ١٨٨٢ فكان مديروهـا يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقيَّة ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حبّ الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثّلوا حكم هيرودس على ولديه في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيهـا ورواية صدقيًّا ثم داود ويوناثان. وممَّا اقتبسوه من تاريخ العرب رواية ابن السموءل ورواية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة واخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهمٌ وافٍ الّا انَّ معظمها بقلم الاباء او بعض اساتذة الكليَّة

وكما مُثلت المآسي والروايات الفاجعة او الفكاهيَّة كذلك كانت تُعقد في كليَّتنا محافل ادبيَّة يحضرها اعيان البلد فيبحث الطلبة في بعض المشاكل التاريخيَّة او الابحاث اللغويَّة والادبية فيأتي كلٌ منهم بما جادت بهِ قريحتهُ نظمًا او نثرًا حتى يستوفوا الموضوع حقَّهُ ويبرزوا محاسنهُ من كل وجه. فدارت بعض هـذه المجالس على مفاخر بيروت والآداب العربيـة وتنصُّر النعمان والقديسْ يوحنَّا فم الذهب والقديس يوحنَّا الدمشقي والرشيد وبني برمك والمامون وعصرهِ. وكان وجوه البلدة يحضرون تلـك الحفلات بملْ الرغبة والشوق. واخذت بقيَّة المدارس تجري على هذه الآثار لاسيما المدارس الكاثوليكية كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمَّة بعض اساتذتها الأُدباء وخصوصاً عبد الله افندي البستاني والمرحوم نجيب حبيقه

هذه لمعةٌ من احوال الآداب العربيـة في بلاد الشَّام في الخُمس الاخير من القرن التاسع عشر. وكانت مصر بعد تقدُّمها على الشام في النهضة الادبية اصابهـا بعض الخمول رغمًا عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتهـا العربية وهمَّة خديويّها محمَّد علي باشا ووزير معارفهـا الهمام علي باشا مبارك. ولعلَّ سبب هذا الخمول انما كان انصراف نظر اهلها الى العلوم الاجنبية فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الاوربيَّة الى العربية فيدرّسونهـا في مدارسهم فيشغلهم الامر عن الاهتمام بالآداب العربية

ثمَّ حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨١ واحتلَّت الجيوش الانكليزيَّة القطر المصري فكان الاحتلال مضرًّا للغة العربيَّـة من جانب ومفيدًا من جانب آخر اما ضررهُ فقد

حصل باتخاذ اللغات الاجنبية كلغات التدريس فحُرمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها اليها واهمل كثيرون درسها . الّا ان مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد اخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وادخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانويَّة لنوال شهادة الحكومة . وزاد عدد المدارس الاجنبية التي لم تكن لتغضي عن درس العربية كمدرسة العائلة المقدَّسة في القاهرة للآباء اليسوعيين ومدرستهم في الاسكندريَّة وكمدارس الآباء الافريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحية

وكذلك المدارس الوطنية زادت عددًا ونموًّا في القاهرة وبقية بنادر القطر المصري حتى جُعل لها ديوان يهتمُّ بشؤونهـا دُعِي ديوان المدارس ثم عُرف بديوان المعارف العمومية . وفي هـذا الوقت حُوّرت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقًا لاسيما مدرسة الازهر التي نالها بعض الاصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافية والتاريخ لكنَّها لم تزل بعيدة عن رتبة الكليات الاوربية

وفُتحت اذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم . وكان اخصّها المكتبة الخديويَّة التي أُنشئت في عهد محمَّد عليّ الّا انها لم تنظَّم ولم تحفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة الّا بعد ذلك بهمَّة نظَّارها الاوربيين كالدكتور ڤولرس المتوفّى آخرًا والدكتور مورتس ناظرها الحالي

ونشأت عقيب الاحتلال الانكليزي الحياة السياسية بما منحتهُ المطبوعات من الحرّيَّة واتسعت دوائر الصحافة خصوصًا فبلغ عدد الجرائد والمجلَّات العربية في مصر ما يُربي على المئة . وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان اكثر مديري تلك المنشورات ومنشئيها من اهل سوريَّة وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى اناف على ثلثي الكتبة للمصريين فتقدَّموا على غيرهم بما عُرفوا بهِ من النشاط والذكاء والتفنُّن في الكتابة . والحقُّ يقال ان اكبر مجلَّات القطر المصري كالمنار والمقتطف والضياء والهلال واعظم جرائده كالمقطَّم والاهرام والعمران كان يحرّرها السوريُّون

وممَّا اكتسبتهُ مصر من الاحتلال الانكليزي لنشر آدابها توفُّر المطابع وتحسن مادّيَّاتها فأمكن المصريين لو شاؤوا ان يطبعوا الكتب طبعًا متقنًا كمطبوعات الشام . وقد استعاروا من مسابكها حروفهم . فنُشرت اذ ذاك في وادي النيل معاجم جليلة

كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الاثير. وكتب لسانية خطيرة كسيبويه ومخصَّص ابن سيده. وكتب تاريخية اخصُّها ما نشرتهُ المكتبة الخديويَّة كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن جيعان وتاريخ الفيُّوم. ومثالها تاريخ السخاوي وطبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة . وكتب ادبية كخزانة الادب وحلبة الكميت للنواجي وبعض دواوين وتآليف أخرى . ومع ما اجدت هذه المطبوعات المصريَّة من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائص كثيرٍ منها كسقم طبعها وكثرة أغلاطها وقلَّة ضبطها بالشكل وخلوّها من الشروح والملحوظات والروايات والفهارس. وربَّما عمد اصحابها الى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجرَّدوها عن محاسنها وقد بيَّنَّا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيهِ مطبوعات مصر (في المشرق ١١ : ٤٣٠—٤٤٠) فشكرنا عليهِ أولو الذوق ومحبُّو الآداب

امَّا الجمعيات الادبية في مصر فسعى بانشائها بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بها القطر المصري خدماً صادقة كما تشهد على ذلك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلَّة القوم يشاركونهم في الاعمال. وقد اراد الوطنيُّون غير مرَّة ان يجمعوا قواهم بالانضمام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدُهم ينفرط بعد قليل لتباين الاغراض

امَّا الاقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابها خفيفةً لم يشتهر في نهضتها الَّا الافراد. ففي هذه المدَّة ابرزت مطبعة الجوانب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وادب الدنيا والدّين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفيّة وادبيَّة متعدّدة لابن سينا وللثعالبي وللضبي وغيرهم. وادَّى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدماً تُذكر فتُشكر. وكذلك الآباء الكرمليُّون في بغداد عزَّزوا مدارسهم فزاد اقبال الناشئة العراقية عليها. وقصَّ آثارهم الكلدان الكاثوليك بتهذيب الاحداث

وفي هذا العهد دخل فنّ الطباعة الى مكَّة فأُنشئت مطبعتها الاميريَّة واخصُّ ما طبع فيها الفتوحات الاسلامية للسيّد احمد زيني دحلان وبعض الدواوين

ونُشرت في جهات العجم عدَّة منشورات بعضها تاريخية كمقاتل الطالبيّين لابي فرج الاصبهاني وروضات الجنَّات في احوال العلماء والسادات. وبعضها ادبية ولغويَّة واغلبها

دينيَّة واكثر هذه المطبوعات سيئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها. وربَّما كان طبعها على حجر في اسوإ صورة . ومثلها سقماً وسخافةً مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فانَّ مطبوعات كثيرة طُبعت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد للطوسيّ وشرح الهداية الاثيريَّة لكنَّها لا تستحقُّ اعتبارًا لسوءَ طبعها. واحسن منها رسائل اخوان الصفا وديوان عليّ بن ابي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرَّب وديوان شرف الدين المقّري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. وللحكومة الانكليزيَّة في كلكوتا مطبعة اصدرت عدَّة تآليف مفيدة أُتقن طبعها وقد مرَّ لنا ذكرها

امَّا المدارس العربيَّة في اوربة فانَّها نالت اكبر حظوى بهمَّة علمائها ومدارسها الكليَّة ومكاتبها الشرقيَّة نخصّ منها بالذكر المكتب الشرقيّ الذي انشأهُ الالمانُ في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق و بالخصوص العربية

وممَّا افاد الدروس الشرقيَّة كثيرًا المؤتمرات الدوليَّة التي كانت تُعقد كل سنتين او ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان اوَّل تلك الاجتماعات العموميَّة في باريس سنة ١٨٧٣ ثم في لندن (١٨٧٤) ثم بطرسبورج (١٨٧٦) ثم فيرنزا (١٨٧٧) ثم برلين (١٨٨١) ثم ليدن (١٨٨٣) ثم ڤينَّا (١٨٨٦). الى ان عُقد المؤتمر الخامس عشر العام الماضي في كوپنهاغن (اطلب المشرق ١١ :٧٤٦). وقد أُلقيت في هذه المؤتمرات عدَّة دروس وابحاث كانت تُجمع عادةً فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة

وزادت المطبوعات العربيَّة في هذه المدَّة زيادة عظيمة فانَّ المجلَّات الاسيويَّة القديمة وفَّرت قسماً اكبر من صحائفها للعلوم العربيَّة ونشأت مجلَّات جديدة في عدَّة بلاد للابحاث الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً كالمجلَّة الاسيويَّة النمسويَّة (WZKM) والمجلَّة الاسيويَّة الايطاليَّة وكمجلَّة الشرق المسيحي (ROC) واصداء الشرق

وفي المدَّة ذاتها طُبعت قوائم موسَّعة للآثار العربيَّة التي تحفظ في خزائن الدول حتى لم يكد يبقى بينها مكتبة لم توصف مخطوطاتُها ونوادرها وصفاً مستوفياً

امَّا الآثار القديمة التي صدرت بالطبع فكانت تبلغ المئات في السنة. وقد امتازت بمطبوعاتها العربيَّة مطبعة ليدن حيث نُشرت تآليف جغرافيَّة وتاريخيَّة وادبيَّة تُعَدُّ من اشرف المطبوعات واعظمها فائدةً كمجموع جغرافيّي العرب الذي عُني بنشرهِ فقيد الآداب المأسوف عليهِ الاستاذ دي غوي (de Goeje) وكتاريخ الطبريّ الكبير وفتح

البلدان للبلاذري ومفتاح العلوم للخوارزمي والاخبار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني . وكانت بقيَّة الدول تتنافس في نشر كنوز اخرى دفينة . فبرز في المانية كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني وكتاب تاريخ الهند لـهُ . وظهر في باريس كتاب مروج الذهب للمسعودي واخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب البدء والتاريخ للمطهَّر بن طاهر المقدسي . وظهر في رومية كتاب دياطاسرون طاطانيوس اي الاناجيل الاربعة التي جمعها هذا الكاتب في القرن الثاني للمسيح ففُقد اصلها ووُجدت ترجمتها العربية . وهناك طُبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الادريسي

وكذلك اخذ الاميركيون يوجهون نظرهم الى الشرق فابرزوا مجلّة اسيويَّة بلغ اليوم عدد مجلَّداتها فوق الثلاثين . ولمَّا هاجر السوريون الى العالم الجديد كان دخولهم الى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحميَّة لدرس اللغات الشرقية . وجعل السوريون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الاخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢ . ثم طُبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم افندي مكرزل سنة ١٨٩٨ وقد نقلها بعد مدَّة الى نيورك . واصدر نجيب افندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها . ثم تعدَّدت بعد ذلك الجرائد في اوائل القرن العشرين في اميركا الشماليَّة والجنوبية حتى كادت تبلغ الخمسين . امَّا المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالبًا على القصص والروايات الخياليَّة

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر

﴿أدباء الشام﴾ . كان التقدُّم بين المسلمين في رفع لواء الآداب في ختام القرن التاسع عشر لاهل الشام فقد اشتهر بينهم بعض الافراد الذين لا يزال اسمهم الى يومنا شريفًا مكرَّمًا فنذكرهم اقرارًا بفضلهم

(الشيخ يوسف الاسير) ولد الشيخ يوسف ابن السيد عبد القادر الحسيني الاسير في صيداء سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) فتلقى في وطنه مبادئ العلوم ثم انتقل الى دمشق لمواصلة دروسه ثم رحل الى مصر واخذ العلوم العقليَّة والنقليَّة عن علماء الازهر . وبعد

سبع سنين عاد الى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهيَّة وتولى في الاستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنَّهُ آثر العود الى وطنهِ فتفرَّغ للتاليف في الفرائض والابحاث الفقهيَّة وخرَّج في الفقه كثيرين من الاحداث وعلَّم مدَّة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤَاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم ومن آثارهِ الادبية التي خلَّفها شرح اطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاتهُ سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠)

والشيخ يوسف الاسير موشَّحات وقصائد متفرقة وابيات حكميَّة جمعها في ديوانهِ الروض الاريض الذي طبع في بيروت سنة ١٣٠٦. ومن حسن اقواله ما وصف به الشعر الجيّد وناظمهُ:

خليليَّ كم قد جدَّ في الناس شاعرٌ ... وليس لهُ بيت من الشعر عامرُ
واحسنُ شعر ما تراهُ مهذَّبًا ... بليغًا بهِ يلتذُّ بادٍ وحاضرُ
بهِ تطرب الاسماع من كل منشد ... وتجري بهِ الامثالُ وهي سوائرُ
ولم يرَ غبنًا مَن شراهُ بمالهِ ... وفيهِ بلا شكٍ تُسرُّ السرائرُ

ولهُ في وصف لبنان بعد ان فاز بالدستور بعد مذابح سنة ١٨٦٠:

نرى لبنان اهلًا للتهاني ... فقد نال الامان مع الاماني
واضحى جنة من حلَّ فيهِ ... قرير العين مسرور الجنانِ
وجدَّت للعلوم بهِ دروسٌ ... وكانت في الدروس وفي التواني
وللاخبار قد وُجدت سلوك ... كذلك طبع ذي الصحف الحسانِ
ومَن ورَد الشريعة فيهِ يصدرْ ... بحق كامل في ذا الاوانِ
وذاك جمَّة الشهم المسمَّى ... بداودٍ سليمانَ الزمانِ
عظيم الشان ذي الهمم العوالي ... وذي الرأي المصيب بكل شانِ
سديد الحزم ممدوح المعالي ... شديد العزم محمود المباني

ومن مدحهِ قولهُ في اسرة بني العطَّار في دمشق:

يا بني العطار يا عطر دمشق ... قد ملكتم بمزيد اللطف رقّي
فاح في الكون شذاكم فائقًا ... طيب ورد الروض في نشر ونشقِ
لسماء المجد سامٍ فرعكم ... ولكم اصل نما من خير عرقِ
طفلكم نجمٌ وبدر كهلكم ... ثمَّ ان الشيخ منكم شمس افقِ
يا بدور الشام يا اهل العلا ... ضوءكم لاح بغرب وبشرق
سدتمُ الناس بعلم وتقًى ... وبمعروف واحسان ورفقِ
فاذا رام مجاراة لكم ... ذو اعتلاء فلكم اقصاب سبقِ

حبذا الاسرة انتم في الورى يا سراة احرزوا كل ترقي
انا لا ابرح اشدو باسمكم حاكيًا في ورقي تفريد وُرقِ
زادكم ربي علومًا وهدى مع رغيد العيش في اوسع رزقِ

وافتتح رثاء شريفٍ بقولهِ:

انما موتتي كإطلاق اسري حيث اني لرحمة الله أسري
انَّ اكدار هذه الدار يتلو بعضُها البعض كأمواج بحرٍ
أَلفت انفسُ البريَّة اجسا مًا ودنيا قد فارقتها بجَبْرِ
هُمْ فيها مثل الاجنَّة في الار حام يُستخرجون منها بقَسْرِ
وهي كالفلك قد أُعدَّ لنقلٍ او هي الجسر قد أُعدَّ لعَبرِ
انس الغافلون فيها وأنسوا انما لا تكون دارَ مقرِّ
لو درى الغافلون فيها بقاءً ايقنوا انهم باعظم خَسْرِ
هي دار السلام ما تشتهي الانفسُ فيها من كل خيرٍ وبرِّ
لا يملُّ الانسانُ فيها مقامًا اذ تخلَّت من كل شرٍّ وضرِّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثريَّة وشعريَّة مع ادباء زمانهِ تجدها في تآليفهم كالشيخ ابراهيم الاحدب واحمد افندي الشدياق. وقد مدحهُ الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها:

اسيرُ الحقّ في حُكمٍ تساوى فما يُدرَى الحبيبُ من البغيضِ
يقلّبُ في المسائل كلَّ طَرفٍ ويَلْقى الناسَ بالطَّرفِ الغضيضِ
إمام الشعر يبتدعُ القوافي ويأمن دونها حَوْلَ القريضِ
يقلّ لهُ الثناء ولو اخذنا قوافيَهُ من الروضِ الاريضِ

ولمَّا توفي قال فيهِ الشعراء مراثي عديدة جمعها الشيخ قاسم الكستي في مجموع نُشر بالطبع

(الشيخ ابراهيم الاحدب) كان مولدهُ في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وطلب العلوم اللسانيَّة والأَدبيَّة منذ نعومة اظفارهِ فبرع فيها ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت فعُدَّ فيهما من نوابغ عصرهِ فتألَّب اليهِ الادباء واقبل عليهِ الاعيان والحكام وقلَّدوهُ المناصب الخطيرة كنيابة الاحكام ورئاسة الكتابة ثم تعيَّن كرئيس لكتَّاب محكمة بيروت فتعاطى شؤُونها نيفًا وثلاثين سنة وكان احد اعضاء مجلس المعارف في الثغر فامتاز فيهِ بسعة آدابهِ وحسن ذوقهِ وقد حرَّر مدَّة ثمرات الفنون فاودعها كثيرًا من

اثمار آدابهِ وكانت وفاتهُ في رجب سنة ١٣٠٨ (١٨٩١) . وقد تبلغ تآليفهُ الادبيّة نحو العشرين نُشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيـان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال الذي نظم فيهِ امثال الميداني وقد أُتقن طبعهُ فجاء كطُرفة بين المطبوعات العصريّة . وكان للشيخ ابراهيم الاحدب قريحة شعريّة غريبة حتى انَّ مجموع ابيات قصائدهِ يكاد يبلغ ثمانين الف بيت . فلـهُ ثلثة دواوين ومقامات جارى فيها العلامة الحريريّ عددها ٨٠ مقالـة وألَّف عدّة تآليف كروايات ادبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكميّة ومقالات مسجَّعة وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ نجلاه الاديبان في مقدَّمة مجمع الامثال . ومن شعرهِ ما قالهُ يمدح الامير عبد القادر الجزائري :

انّي بمدح ابن محيي الدين ذو هممٍ غدا نظامي بهـا في ارفع الدرجِ
وفي مآثر عبد القادر اطَّردت ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهجِ
غوث النزيل وغيثٌ فيضُ نائلهِ من الانامل يُجري الدرَّ في خُلُجِ
شمس انارت بلاد الشرق فابتهجت سوريَّة بسناهـا الفائق البَهِجِ
في الكون آثارهُ كالمسك قد نفحت الَّا لمزكوم طبعٍ عُدَّ في الهمجِ
لله غربُ حسامٍ منهُ قد شُهدت في الغرب آثارهُ كالصبح في البلجِ
لا زلتَ تُهدى لك الامداح ما طلعت شمسٌ بنورك تغنينا من السُّرجِ

وقال في الرجز ناظمًا بعض امثال رويت لابي بكر الصديق :

قَرَنَ ربّي الوَعْد بالوعيـدِ كي يَرْهَبَ عَبْدٌ راغبٌ في كل شيّ
ليست مع العزا مصيبـةٌ ألا تعزَّ يا سامي بما قد نزلا
الموتُ ممـَّا قبلَهُ أشدُّ مع أنّهُ اهونُ ممـَّا بَعْدُ
قد ذلَّ قومٌ أسندوا أمرَهمُ لِامرأةٍ حيث جنَوا ضُرَّهمُ
انَّ عليك ابدًا عيونـَـا تراك ممَّن محلُّ فألزَمْ دينا
ورَحِمَ الله امرءًا اعانـا اخاهُ بالنفس ومـا أهـانا
والنفسَ أصلِحْ يَصلحِ الناسُ لكا وافعل جميلًا يَغْدُ خيرًا فعلكا

(ابو حسن الكستيّ) هو الشيخ ابو الحسن قاسم بن محمَّد الكستيّ اصلهُ من بيروت وفيها اشتهر نحو اربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ اخذ الآداب عن ائمّة زمانهِ فلمَّا رسخت فيها قدمهُ صار مرشدًا لغيرهِ وتعاطى التدريس مدَّةً بين مواطنيهِ من اهل ملَّتهِ . وقـد مات الكستي في منتصف السنة الجارية لكنَّا اتبعناهُ بالشيخين السـابقين اذ اشتهر معهما وجاراهما في الأدب

وقال اكثر شعرهِ في عهدهما . ومن آثار فضله ديوانان احدهما ديوان مرآة الغربية طُبع على نفقة السيّد سليم رمضان سنة ١٢٧٩ (١٨٨٠) افتتحهُ بقصيدة ابتهالية هذا اوّلها :

اليك رفعنا الامر يا مَنْ لهُ الأَمرُ … فمن فضلك الاحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّفْ وجُدْ بالخير يا خَيْر منعمٍ … على كَسْرِنا يا مَنْ بهِ يحصُلُ الجَبْرُ
عليك اعتمادُ الخلقِ في كُلّ لمحةٍ … وبابك مقصودٌ بهِ الفتحُ والنصرُ
فقلتَ لنا أدعوني دعوناك ربَّنا … أَجِبْ سؤْلنا بالخيرِ يا ربُّ يا برُّ

والديوان الاخر ترجمان الافكار طُبع سنة ١٢٩٩ . ومن شعرهِ ما مدح بهِ سعيد باشا عزيز مصر لمَّا قدم الى بيروت :

عزيز مصرٍ سعيدُ الوقت ذو شرف … الى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
يتيمةَ العقد اضحى في العُلى ولذا … قد صاغ مدحَ علاهُ العُجْمُ والعربُ
انَّا لنشهد منهُ كل مكرمةٍ … لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأنعُمهِ … تقاصر الدرُّ والازهارُ والسحبُ
مآثر العزّ في عليا مشرقةٌ … كالشمس لكن سناها ليس يحتجبُ
من معشرٍ لهم في كل كائنةٍ … ذكرٌ تولَّد من اسبابهِ الطربُ

وقال في الحِكم :

وعالمٍ لا نَفعَ في علمهِ … ولم تكن اعمالهُ صالحهْ
فهو بحُكم العقل بين الملا … كوردة ليس لها رائحهْ

ولهُ مضمّناً الشطر الاخير :

ايُّها الانسانُ لا تجْنَحْ الى … طُرقات الغيّ والزمْ ورعَكْ
وافطمِ النفس عن الشرّ تجدْ … كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تَبِعَكْ
وبحالَيْ الفقر او حال الغنى … كُنْ مع الله ترَ الله معَكْ

وسمع يوماً شاكر بك يدقّ العُود فاستفزَّهُ الطرب فقال بديهاً :

بشاكر هذا العصر طابت نفوسنا … وثغرُ الهنا امسى بهِ يتبسَّمُ
ترى كلَّ عُودٍ من جمادٍ وعودُهُ … يحسُّ وعن سرّ القلوب يترجمُ

وللشيخ القاسم الكستي عدّة اراجيز طويلة حسنة منها ارجوزة تنيف على مئة بيت وصف فيها مكارم الاخلاق في النساء الصالحات . ومن اراجيزهِ الحكميَّة قولهُ :

لم يخلُ في الدنيا كريمٌ من أذى … ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنّ انهُ يبقى بها … وانهُ منها يفوزُ بالمُنى

وأن يكون ناجياً من ضرّها   فقل لهُ أخطأت يا هـذا الفتى
فثأنةٌ تُضحكنا لكنّهـا   تخرج من اعيننا الضحك بكا
فلم نجد لمحوهـا من سببٍ   ولا لدائهـا سوى الصبر دوا

ونظم ارجوزة فكاهيّة وصف فيها الملوخيّة على سبيل المداعبة :

سُبحانَ من أنبتَ في الوجودِ   حشيشـةً كجوهر المنقودِ
وقد سقاها من غيوثِ الرحمهْ   فحملتْ لكن ثمار الحكمه
هيَ الملوخيّـة ذات الشهرهْ   ومَنْ بها المسورُ يلقى يُسرهْ
بحسنهـا كلّ النفوس ابتهجت   وألسن الناسِ بها قد لهجت
كم هطلت من فوقهـا الغمائمُ   وصُبغت بلونهـا العمائمُ
وكم مشى يأكلهـا كسيحُ   وصحَّ من ترياقهـا جريحُ
خيوطهـا بيضاء كاللُّجيْنِ   تظهر كالصُّبح لذي عينَينِ
فاقت على الريحان بالروائحِ   صالحـةٌ لمدح كل مادحِ
لو انّهـا قد نبتَت في اللدِّ   يشمُّهـا مَنْ في بلاد الهندِ
يحرسها الناطورُ في البستان   خوفًا عليهـا من يدِ الزمانِ
بخارهـا يصعد بالهبـاء   كمصعد البـالون في الهواء
كأنها قد نزلت من السما   فاصبح الكون بهـا منسَّما
وطعمُهـا يجلبُ للافهامِ   بسُكرهِ حـلاوةَ المدامِ
ميّاسة الأعطاف في الرياضِ   يأكلها كل شريف راضِ
عنها سَلُوا مِصر وتلك الخطّهْ   فانَّهم ادرى بهـذي النقطه
اذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ   وقدرُهـا تسمو بهِ الموائدُ
ترى عليهـا كثرة الملاعقِ   تُقرَعُ بالاسنانِ كالصواعقِ
إن مُلئت بها بطون القصعِ   تشرقهـا الابصارُ قبل المبلعِ
وترجمت عنها فحولُ المغربِ   فلاؤا بها بطون الكتبِ
وخصّهـا بالذكر أفلاطونُ   وقال منهـا يُصنعُ المعجونُ
كانت للقمان الحكيم مـأكلا   وجوفهُ لهـا استقرَّ منزلا
وكان يوصي سائرَ الاطبا   بقراطُ ان يستعملوها شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ   لا تبخلوا بها على المبطونِ

وهيَ طويلة تفنَّن فيها الشاعر ما شاء . . ومن فكاهاتهِ ما رثى به طائرًا من نوع الكنار مات لاحد اصحابه فقال يعزّيه :

يا صاحبي عُزيت بالكنارِ   فانَّهُ من احسن الاطيارِ
قد صدحت بمدحهِ الاخبارُ   وحُمدتْ لذاتهِ الآثار

ولم تقصّر في أداء ما وجبْ من حقهِ وقمتَ بالذي طلبْ
من امهِ كنتَ عليهِ اشفقا ومن ابيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوعٍ ولا من قلّهْ لكن رماهُ ريشةُ بعلّهْ
لا يُرتجى لدائهِ شفاء والموت ان حلَّ فما الدواء
عليهِ لا تحزن وكن صبورا والتزم الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس الغالي فديتُهُ من طارق الليالي
لكن اذا ما حادثُ الموتِ نزلْ لا ينفعُ الحزمُ ولا تغني الحِيَلْ
عوَّضك الرحمن عنهُ طيرا يكون بالتغريدِ منهُ خيرًا
فما رأينا قبلهُ من طائرِ يشنّف الأسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ اذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
اين الكمنجا منهُ صوتًا ان شدا وربّما استُغني عنها ان بدا
فيا لهُ من طائرٍ صَدوحِ يدعو الى الغبوق والصَبوحِ
ذو ذَنَبٍ فاق وللهِ العجبْ على اللُّجَين وهو بالحُسن ذهبْ
مزيَّنٌ بالتاج كالطاووسِ ملوَّن الرداء كالعروسِ
للهِ . حسنُ ذلك المنقارِ من ذهبٍ قد صِيغَ لا من قارِ
قد كان في الدنيا من الزهّادِ ولازمَ الخلوة بانفرادِ
وعاش محبوسًا ولم يشكُ الضجرْ حتى اباده القضاء والقدرْ
فانّني اهدي اليهِ الفاتحه وان يكن من الطيور الصادحه

(عبد السلام الشطّي) واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطّي الدمشقيّ . واصل اسرتهِ من بغداد وولد هو بدمشق سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ثم درس العلوم الدينيّة والفقهيّة على علماء الفيحاء وتعبّد على الطريقة القادريّة. وكان محبًّا للآداب مشهورًا بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعرهِ اللطف والعذوبة . ولهُ ديوان طُبع بهمّة حفيدهِ محمّد جميل الشطّي سنة ١٣٢٤. وقد سافر المترجم الى بلاد الروم مرّتين ودخل القسطنطينية سنة ١٢٩٣ ووُجّه عليهِ تدريس ادرنه وخُصِص لهُ راتب سنوي من الصرّة السلطانيّة. توفي فجأة في دمشق في ١٩ محرّم سنة ١٢٩٥ (منتصف كانون الثاني ١٨٧٨). ومن شعرهِ ما قالهُ في وصف بيروت وتهنئتها بسحب ماء نهر الكلب اليها :

بيروت اني في هواها ارغبُ من ثغرها البسّام طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدةٍ قد خصّها ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنها شمسٌ على أفقِ العلى لا تغربُ

يا طالما قد زرتُها فوجدتُها ظمآنةً من حرّها تتلهّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ودوائها قد عزَّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسُّفًا من فقدها ما تشتهيهِ وتطلبُ
من بعد ذاك اتيتها فوجدتُها تختالُ من عجبٍ وذيلًا تسحبُ
فسألتها من حالها فتبسَّمت واخلّ من فيها فراتٌ اعذبُ
فاستيقنت نفسي ببرد حميمها فغدوتُ في نعمائها اتقلَّبُ
واتيتُ في هذا النظام مهنّئًا اذ جاءهم هذا الطّهور الطيّبُ
ورجوتُ من فضل الاله دوامهُ في كلّ حين دائمًا لا يُسلبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض اصحاب الفضل من اصدقائه:

يا سادةً في دورهم تسلسلت قومٌ كرامْ
وزيّنوا بجمعهم ليل الشتا في كل عامْ
ومتّعوا بقربهم صديقهم عبد السلامْ
اذا اردتم انهُ يحظى بكم على الدوامْ
اعطوهُ منكم موثقًا بخطكم على الكلامْ
في ليلةٍ لطيفةٍ في دارهِ لكم تقامْ
ويرتجي من فضلكم ارّخ بهِ الدور ختامْ (١٢٨٩)

وقال مستغفرًا:

يا ربِّ انَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غنى
قد قطف اللذّاتِ في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

(محمد الميقاتي) وفي هذا الوقت عُرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمَّد افندي ابن عبد القادر الميقاتيّ وكان طرابلسيًّا اديبًا لهُ النظمُ الرائق فجمع شعرهُ بعد وفاتهِ سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) الاديب عبد الحميد بن محمَّد محبّص احد مواطنيهِ وطبعهُ في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٤ ودعاهُ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة فمن قولهِ يعاتب الدهر:

الدهر شيمتهُ يُبدي لنا العجبا فلا تكن من فعال الدهر متعجبا
ولا تثق بشرابٍ منهُ وقت صفا فيستحيلُ سرابًا صَفوُه وهَبا
ولا يغرَّك ما يوليك من مِنحٍ فقلبُها مِحَن تزكو بهِ لهبا
ان يسمح الدهرُ يومًا يستردُّ غدًا او يُحسن الدهر يومًا بالاسى انقلبا
هيهاتِ يُجدي الفتى من دهرهِ هرَبٌ ولو سما فوقَ افلاك السما هربا
فالصبرُ اجملُ بالحرّ الكريمِ على ما خطَّهُ قلمُ الاقدارِ او كتبا

الرسالة الاميركيَّة بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنَّفاتهِ والَّف هنــاك كتابهُ الموسوم « بالواسطة في معرفة مالطة » ثم تجوَّل مدَّة في انحاء اوربَّة وخصوصاً في فرنسة وانكلترَّة فأكرم اهل تلك البلاد مثواهُ وصنَّف حينئذٍ كتابهُ الفرياق الذي لم يرعَ فيهِ جانب الادب وشفعهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً واصوب نظرًا دعاهُ « كشف المخبَّا عن احوال اوربَّا » واشتغل في لندرا في تعريب ترجمــة التوراة فزادت بذلك شهرتهُ . ولمَّا جاء باي تونس احمد باشا زائرًا مدينة باريس مدحهُ الشدياق بلاميَّة جارى فيها لاميَّة كعب ابن زهير فأُعجب من حسن نظمهِ ودعاهُ الى خدمة دولتهِ في تونس فلبَّى دعوتهُ ورحل الى المغرب وكان هناك يحرّر جريدة الرائد التونسيّ . وفي مدَّة اقامتــهِ في تونس سوَّل اليهِ اعيانهــا بان يعتنق الدين الاسلاميّ فجحد البروتستانيَّة طمعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعاً بالمال . وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) طلبتهُ الصدارة العظمى الى الاستانة وعهدت اليهِ تصحيح طباعتها بضع سنوات . وهنــاك باشر السنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) جريدته الشهيرة بالجوائب فظهرت ٢٣ سنةً بانشائهِ وانشاء ولدهِ سليم الى السنة ١٨٨٤ فأبطلت . وكانت وفاة احمــد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات ١٨٨٧ فنُقلت رفاتهُ الى لبنان كما اوصى قبل موتهِ . ولاحمــد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها اخصُّها سرّ الليال في القلب والابدال على شكل معجم لم يتمَّهُ . وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب اتلفهُ الحريق قبل ان يُطبع . ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيهِ على قاموس الفيروزابادي . وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب . وكتابان في تعليم اللغتين الانكليزيَّة (الباكورة الشهيَّة) والافرنسيَّة (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ ابراهيم اليازجي اللغويَّة . وبهمَّة المترجم طُبعت في مطبعة الجوائب عدَّة كتب ادبيَّة قديمة استخرجهــا من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبوليّ المُشرق . ومن مآثرهِ ايضاً عدَّة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في ٢١٩ صفحة سنة ١٢٩١ . فمن اقوالهِ الحسنة ما وصف بهِ الحرب السبعينيَّة بين فرنسة والمانية . وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مئة بيت :

أُصيبتْ فرنسا بالرجال وبالمالِ فيا ويحها من بعد عزّ واقبالِ
اعدَّت جيوشًا للقتال وجهَّزت بوارجَ حربٍ في البحار كأجبالِ
وقالت الى برلين يا جنديَّ انفروا فتلك التي قد كدَّرت صفو احوالي

وتلك التي قد زاحمتني على العلى ولم تكُ قبلَ اليوم تخطرُ بالبالِ
وصولوا على جرمانيا كلّها فقد اراها بدا منهـا تحاولُ اذلالي
فلي قيصرٌ قرمٌ جليـلٌ تهابهُ جميع ملوك الارض هيبةَ رئبالِ
اذا أنذر الاملاك حربًا تزلزلت ممالكهم من بأسهِ ايَّ زلزالِ

وقال في مطاردة الالمان لنابوليون وفي موقعة سيدان وخلع الامبراطور:

فطاردهُ جيش العدوّ معقبًا فولّى الى شالون يمزعُ كالرالِ
ومنها الى سيدان بالجيش كلّهِ عقيبَ معاناةٍ وبؤسى وآجالِ
وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ربى وتلالٌ حبّذا الوَزَرُ العالي
ولكنّهم نأووا سفاهًا عن الربى فحلّت بها الجرمان من دون امهالِ
هنالكَ عمَّ الويلُ والشرُّ والردى بترميل ازواجٍ وتيتيم اطفالِ
وتبضيع آرابٍ وتقطيع اوصالٍ وتفليق هاماتٍ وتدمير اطلالِ
وبزّتهمُ الجرمانُ فاستسلموا لهم ثمانين الفًا او يزيدون في الحالِ
فلم يبقَ من ذا الجيش أجمعَ راجلٌ ولا فارسٌ فالجوُّ من ذكرهم خالِ
فلمّا درت باريس ذا الخطبَ اعولت وضجّت وباتت في شجونٍ وولوالِ
وقالت منيّتي دولةٌ قيصريّةٌ بإهلاك اجنادي واتلاف اموالي
وانَّ صلاحي دولةٌ جمهريّةٌ تُسدّدُ اعمالي وتُصلحُ احوالي
فنادت بخلع الأمبَراطور وابنهِ وثارت لأخذ الثار ثورةَ قسطالِ

وختمها بهذا البيت الحكميّ احسنَ ختام:

اذا لم يكن للمرءِ من ربهِ هدىً فلا شيءَ يجديهِ من القيل والقالِ (١

(محمّد سليم القصاب) ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمّـد سليم بن انيس الشهير بالقصّاب حسَن. طُبع لهُ ديوان في دمشق في مطبعة الجمعيّة الخيريّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١). فمن اقوالهِ الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ:

لمّا بأرض الشام حلّ ركابهُ ناديتُها باهي البلادَ وفاخري
أُسموا بنا فاليوم جلّق اصبحت دار الخلافةِ وهو عبد القادرِ
يا دوحةً طابت مغارسها فلم تُثمرْ سوى ليثٍ وشبلٍ كاسرِ
من كل شهمٍ في الانام محمّدٍ يعنو الى علياهُ كلّ مفاخرِ
مولاي محيي الدين مصباحُ الهدى ذاك العليّ الشأن احمد شاكرِ

١) وبينما هذا الكرّاس ممثّل للطبع افادنا الشيخ ظاهر الشدياق احد انسباء احمد فارس ان المترجم مات كاثوليكيًا واعترف بخطاياه قبل وفاتهِ الى احد كهنة الارمن. وقد شهد على الامر خليل افندي يعقوب الذي حضر وفاتهُ

فكأنّهم لمّا تبدَّوا حولهُ اقمارُ تمَّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرم بهِ فرعًا يُفاخر فرعهُ باصولهِ فلكُ السماء الدائرِ
لا زال في اوج المعارج نجمهُ يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة الملّة سنة ١٢٩٦ :

هذه غرفةُ انسٍ ازلفت في رُبى الشام تسرُّ الناظرين
قد بدت ازهارها تثني على مِدْحَتَ العلياء صدر الاعظمين
شادها للملَّـة الغرَّاء قُل فادخلوهـا بسـلام آمنين

ومن رثائهِ قولهُ في وجيه قومهِ حسين بَيْهم لمَّا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨ :

هوى الكوكب الدرّي من أُفق العلى فجرَّ القضا ذيل الظلام وأسبلا
مصاب كسى بيروت بُرد حدادها وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها وقد اصبحت من بعدهِ جسدًا بلا
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسُّلا
اقيموا بني الآداب واجب نَعْيِهِ فلم يبقَ ما للنفس ان تتعلَّلا

وختم المرثاة بقولهِ :

فلمَّا دعاهُ الله جلَّ جلالهُ الى جنَّة الفردوس لبَّى مهلّلا
فقال بشير العفو تاريخهُ زها حسينُ المعالي فرَّ في جنَّة الملا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ :

ما الشام الّا جنَّـة الامصارِ تزهو بغوطتها على الاقطارِ
حصباؤها الدرُّ النضيدُ وتربُها م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسنًا فانهض بنا ننشقْ شذا الازهارِ
قد هبَّ فيها الريحُ يُرقص غصنها والطيرُ غنَّى في عُلى الاشجارِ
وتفجَّرت فيهـا المنابعُ انَّما ذَوْبُ اللُجَيْنِ بجدولِ الانهارِ
هي موطني دون البـلادِ وبُغْيتي فيها انتعاشي وانقضا اوطاري
يا شامُ انَّك شامةُ الدنيـا التي قد فاح عنبرُ طيبها المعطارِ

(السيّد محمود حمزة الحسينيّ) هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرَّان ترقي نسبها الى الحسين . كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ وفيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠–١٨٨٧) واكبَّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويَّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيَّة فاصبح فيها اماما ومعظم مصنَّفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليـل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان . ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيَّة لوالدهِ وعُرف بحسن الخطّ . وكان السيّد محمود رجلًا مهيبًا جليل القدر كريم الطباع

تولّى الإفتاء في دمشق دهرًا طويلًا وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة ١٨٦٠ مروَّة اجازتهُ عنها الدولة الفرنسويَّة بهبة سنيَّة . وقد اجتمعنا مع السيّد محمود في دمشق غير مرَّة فلقينا منهُ شيخًا واسع المدارك غزير الاداب . ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديره للمشروعات الادبيَّة . وفيهِ يقول محمَّد القصَّاب بمدحهِ :

مفتي الانام سليل المجد ملجأُنا	تاج الفخام فخار الفخر ذو الهممِ
ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ	بالامر والنهي والاحسان والكرمِ
بحر المعارف بالامواج زاخرهُ	يلقي لنا جوهر الارشاد والحكمِ
في كلّ فنٍّ لهُ باعٌ يصيد بهِ	ما شتَّ ادراكهُ عن حاذقٍ فهمِ

(الامير عبد القادر الجزائري) نختم ذكر ادباء اسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر بحسيني آخر عاش زمنًا طويلًا في دمشق وان لم يكن اصلهُ منها نريد السيّد الاجل والامير العظيم عبد القادر الجزائريّ فانهُ وان كان من رجال السيف الَّا انهُ كان ايضًا من فرسان القلم . كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) درس العلوم اللسانيَّة في حداثتهِ على اساتذة وهران ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصَّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافيًا لاهانةٍ لحقت هناك بسفير ملكهم كرلوس العاشر واحتلّوا جهاتها فانتشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال للدفاع عن اوطانهم وكانت تلك الحرب سجالًا تارةً لهم وتارةً عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئ الامير بعدها الى التسليم فسلَّم ولقي من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وجعلوا لهُ راتبًا سنويًّا ثم تنقَّل مدَّة في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتخذ لهُ دمشق سكنًا في اواسط سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (١٥ حزيران ١٨٨٣) ومن مبرَّاتهِ جازاهُ الله خيرًا دفاعهُ عمَّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة الاف . وكان الامير عبد القادر مغرى بالعلوم محبًّا للعلماء يعظّمهم ويحسن اليهم . قيل انهُ كان يبلغ ما يوزّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر . ولهُ تآليف مفيدة في التصوُّف وعلم الكلام وبعض كتب

ادبيَّة منها « ذكر العاقل وتنبيه الغافل » . اتمَّهُ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) . وقد نقلهُ الى الفرنسويَّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائدهِ رائيَّة اوَّلها :

أمسعودُ جاء السعد والخَيْرُ واليُسرُ وولَّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ

ومنها قصيدة حماسيَّة كان يتمثّل في معاركهِ باحد ابياتها الفخريَّة :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ ابطالي

ومن ابياتهِ الفخريَّة قولهُ يذكر فيها احد ايّامهِ لمَّا حارب الفرنسويين :

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمَّعا ولا فخر الَّا ما لنا يرفع اللّوا
مناقب مختاريَّة قادريَّةٌ تسامت وعبَّاسيَّةٌ مجدها احتوى
فان شئتَ علماً تلقني خير عالمٍ وفي الروع اخباري غدت توهن القوى . . .
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ دماء العدى لمَّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق النطاح (١) نطاحنا غداةَ التقيناكم شجاع لهم لوى
وكم هامةٍ ذاك النهار قددتُها بحدّ حسامي والقنا طعنهُ شوى
واشقر تحتي كلَّمتهُ رماحهم ثمانٍ ولم يشكُ الوجى بل ولا التوى
بيوم قضى نحبًا اخي فارتقى الى جنانٍ لهُ فيها نبيّ الرضى اوى
فما ارتدَّ من وقع السهامِ عنانهُ الى ان أتاهُ الفوز رغمًا لمن غوى

ومنها في وصف الحرب :

واسيافنا قد جُرّدت من جفونها ولا رُدّ الَّا بعد وردٍ بهِ الروا
ولمَّا بدا قرني بيمناهُ حربةٌ وكفّي بها نارٌ بها الكبشُ قد شوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا يولي فوافاهُ حسامي بما هوى
شددتُ عليهم شدَّةً هاشميَّة وقد وردوا ورد المنايا على الغوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتابًا ضخمًا . ومما قيل فيهِ لاحدهم :

بحر المعارف والعوارف والندى ذو الحكمة العليا الكريم العنصرِ
مولى يتيه بهِ الزمان وحسبهُ ان لم يفز بنظيرهِ مذ اعصرِ

﴿ ادباء مصر ﴾ لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام واشرنا الى سبب ذلك في ما تقدَّم . على انَّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزيّ كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربيَّة نائلة لقصبات السبق

(١) خنق النطاح مكان قريب من وهران حارب فيهِ جيش الفرنسويين

في القطر المصري رغماً عمّا اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرّ بهِ ارباب الامر ومن ثم انشأوا سنة ١٣١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممَّن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذتهِ الشيخ (مصطفى العروسي) الذي تولى ست سنين (١٢٨١—١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقاديَّة أحكام المفاكهــة في انواع الفنون المتفرّقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) . ومنهم الشيخ (محمَّد المهدي العبَّاسي) ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) واشتهر في العلوم الدينيَّة وصارت اليهِ رئاسة الافتــاء في الديار المصريَّة واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلّدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٨) فقال بعضهم مؤرخاً لوفاتهِ .

عليهِ دمع الفتاوى باتَ منحدرًا ... وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدِّ
فيها المسائل قد باتت تؤرّخهُ ... مات المجيب الامام المقتدي المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوي المهديَّة

ومنهم الشيخ (محمَّد الانبابي) ألَّف عدَّة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرَّج على يديهِ كثيرٌ ممَّن تصدَّروا للتدريس . وتولَّى مشيخــة الازهر مرَّتين . كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤ — ١٨٩٦)

ومنهم (الشيخ عليش) احد مشايخ السادة المالكيّة في مصر ولد بالقــاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢—١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه وكتاب مواعظ

ومنهم (حسين بن احمد المرصفي) كان مكفوفاً وبلغ باجتهادهِ الى ان يدّرس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبيَّة الى العلوم العربيَّة والكلم الثمان في الادب توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدُّهم المصريُّون كاركان النهضة العلميَّة في وطنهم في العُشرَين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

(عبد الله باشا فكري) هو احد نوابغ الناشئة المصريَّة في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقاً في الحجاز للجنود المصريَّة سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلَّع في كل علم وقلّدتهُ الحكومــة المصريَّة

لمناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف · وكان سار قبلها في رفقة الخديوي اسماعيل باشا الى استنبول سنة ١٨٦١ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا او اخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمّة احسن قيام. ولمّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنَّف للدارسين كتبًا يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضُّ الحكومة حتى انشأت المكتبة الخديويَّة التي تُعَدُّ من اغنى الخزائن الكتبيَّة بالمخطوطات والمآثر العربيَّة. ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨٢ أُلقي القبض على عبد الله باشا فكري وبقي مدَّة تحت الاستنطاق الى ان عرفت براءتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدةٍ :

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاء معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليَّ تقوَّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوَّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنت من يبغي مدى عمرهِ الشرَّا
فعفوًا ابا العبَّاس لا زلتَ قادرًا ... على الامر انَّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبيَ ما قد مرَّ من ضنك اشهرٍ ... تجرَّعتُ فيها الصبرَ اطعمهُ مرَّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طولهِ شهرا
أيجمل في دين المروَّة انني ... أُكابد في ايَّامك البؤس والعُسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة :

ألا انَّ شكر الصنع حقٌّ لمنعمٍ ... فشكرًا لآلاء الخديويِ المعظَّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ ومفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ساشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... يراعي او ا تولى على منطقي فمي
فلا زال محروسَ الحمى متمتّعًا ... مع الخيرة الاشبال في خير أنعمِ

وتجوَّل عبد الله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام. ولمَّا عُقد في استوكهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٩ اوفدتهُ الحكومة للنيابة عنها وزار معظم الحواضر الاوربيَّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد الالبَّاء الى محاسن اوربَّا لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي قبل إتمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ. وقد خلَّف عبد الله باشا فكري آثارًا ادبيَّة جليلة كنظم اللآل في الحكم والامثال والمقامة الفكريَّة في المملكة الباطنيَّة والفوائد الفكريَّة للمكاتب المصريَّة جمع فيهِ فصولًا تهذيبيَّة حسنة لناشئة وطنهِ ولهُ شرح على ديوان حسَّان بن ثابت لم يتمَّهُ وقد جمع ابنهُ كثيرًا من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريّ

وصفناهُ في المشرق (١ : ١٨٩) وكان المترجم بارعًا بالنظم والنثر راسخ القدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيَّة فاستخدمهُ خديويّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيَّة والعربيّة الى الملوك والسلاطين . ومن حكمهِ قولهُ :

اذا رُمتَ المروءة والمعالي وأن تلقى إله العرش بَرًّا
فلا تقرب لدى الخلوات سرًّا من الافعال ما تخشاهُ جهرا

وقال يصف مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة :

نادٍ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً بحديثها تتقادمُ الاعصارُ
جمعت لثامن مرَّةٍ ممدودةٍ في الدهر لا يُنسى لها تذكارُ
متآلفين بعيدهم بقريبهم والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيَّاض القريحة وِردُهُ عذبٌ وبحرُ علومهِ زخَّارُ
ومؤزَّرٍ بالفضل مشتملٍ بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملكُ الفضل معمورَ الذرى بذويهِ ممدودًا لهُ الاعمارُ

وكان لعبد الله باشا ولد تقصَّى آثار والدهِ باسمهُ (امين باشا فكري) درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلادهِ فتعاطى فن الدعاوي وبرَّز فيهِ حتى رقَّتهُ الحكومة المصريَّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولَّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظة الاسكندريَّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيَّة لكنَّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦ ، ومن تركتهِ العلميّة كتاب مطوَّل في جغرافيَّة مصر والسودان . وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم فانجز سفر رحلة ابيهِ كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضاً فضلًا عمَّا تقدَّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الّا النزر القليل

(علي باشا مبارك) هو ايضاً احد اركان النهضة المصريَّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريَّة الدقهليَّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلَّبت بهِ الاحوال الى ان توفَّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأرسل الى باريس فدرس فيها فنّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ ثم انتدبتهُ الحكومة المصريَّة لوكالات ونظارات ودواوين مختلفة ابدى فيها جميعاً عن مقدرة عظيمة وقد خدم الآداب العربيَّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة

دار العلوم وفتح المكتبة الخديويّة وتولّى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمّة وفي آخر حياتهِ اعتزل الاعمال الى سنة وفاتهِ ١٣١١ (١٨٩٣) ولهُ تآليف ذات شأن اجلّها الخطط التوفيقيّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستّة مجلّدات. ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب علَم الدين في عدَّة اجزاء على طرز رواية ادبيَّة عمرانيَّة اودعها كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافية والهندسة والطبيعيَّات وغير ذلك ممَّا قرَّب الى قرَّائهِ فهمَهُ بعرضٍ شهيّ

(الشيخ الابياري) هو الشيخ عبد الهادي نجا الابياري احد الكتبة المعدودين في اواخر القرن السابق. ولد في ابيار في جهات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والدهِ مبادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما ولم يزل يكدّ ويجدّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الّا القليلون من معاصريهِ فعهد اليهِ الخديوي اسماعيل باشا تثقيف اولادهِ وتصدَّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعلهُ الخديوي توفيق باشا إمام المعيَّة ومفتيها فقام بمهامّ رتبتهِ الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجلّهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصرهِ وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحدب في كتاب الوسائل الادبيَّة في الرسائل الاحدبيَّة. ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب سعود المطالع في مجلّدين ضمَّنهُ كلامًا واسعًا في ضروب العلوم العربيَّة. ومنها كتابهُ نفح الأكمام في مثلّثات الكلام كمثلثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوائب والبرجيس كحكَم ليفصل المناظرات اللغويَّة التي قامت بينهما فكتب كتابهُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب فنظم احمد فارس قصيدتهُ الداليَّة التي يقول فيها:

ابدى لنا في مصرَ نجمًا ثاقبًا ... لكن ثناهُ بكل مصرٍ هادِ
فيهِ الفوائد والفرائد فُصّلت ... موصولة البرهانِ بالاسنادِ
ان قال لم يترك لقوَّالٍ مدًى ... او صال هال وطال كلَّ معادِ
هو فَيصلٌ في الحكم يرضى فصلهُ ... من كان لم يقنع من الاشهادِ
لولاهُ لم يُقطع لسانُ المفتري ... عنّي ولم يُفصَل جدالُ جلادِ
فلذاك كان على الجوائب مدحهُ ... حقًّا وايجابًا مدى الآبادِ

(الشيخ عليّ الليثي) كان من اشعر شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠

وصرف همّهُ الى العلوم اللغويّة والادبيّة فصار منشئًا بليغًا وشاعرًا مفلقًا حتى نظمهُ أُولو الامر في سلك رؤساء المعيَّة السنيَّة ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ١٢٩٠ ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ . وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفًا عليهِ في ٢٥ ك ٢ سنة ١٨٩٦ (١٣١٣ هـ). ولهُ منظومات جمّة يُجمع منها ديوان الّا انّها لا تزال متفرّقة فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ ... غداةَ انتقت مولًى بهِ الفضل يكملُ
كأنَّ المنايا في انتقاهـا خبيرةٌ ... بكَسْب النفوسِ العاليات تمجّلُ
فتمَّ لها من منتقى الدرّ حليةٌ ... بهـا العالمُ العُلْوِيُّ انسًا يحلّلُ

ومنها في وصف الفقيد:

لقد كان ذا برٍّ عطوفًا مهذَّبًا ... سجاياهُ صفوُ القطر بل هي امثلُ
رقيق حواشي الطبع سهـلٌ محبَّب ... الى كلّ قلبٍ حيثُ كان مبجَّلُ
كريم السجايا لا الدنايا تشينـهُ ... عظيم المزايا اذ يقولُ ويفعـلُ
شمائلهُ لو قُسّمت في زمانـنـا ... على الناس لازدانوا بها وتجمّلوا
فقدنا محيّاهُ ولكنَّ بيننا ... بديع مزاياهُ بهـا نتمثَّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسهِ سنة ١٢٩٠:

دَعْ ذكر كسرى وقيصرْ ان اردتَ ثنا ... عن قيصر الروم حيثُ النفعُ مفقودُ
واشرحْ مآثر مَن سارت بسيرتهِ ... ركائب المجد تحدوها الصناديدُ
مولى الملوك الذي من يُمن دولتهِ ... ظلُّ العدالةِ في الآفاقِ ممدودُ
عبد العزيز الذي آثارهُ حُمدت ... ابُ الأُلى جدُّهم في المجد محمودُ
اجاد نظم امور الملك في نسقٍ ... لا يعتريهِ مدى الازمانِ تبديدُ
وشاد فوق العلى اركانه فغدا ... لهُ على هامةِ الجوزاء تشييدُ
فلا تَقِسْهُ باسلافٍ لهُ كَرُمتْ ... والشبلُ من هؤلاء الأُسد مولودُ
ففخرُهم عقدُ درٍّ وهو واسطةٌ ... في جيـد آل بني عثمانَ معقودُ

ولهُ اللاميَّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيَّة مستعطفًا مستصفحًا عن الجُناة:

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوَّلْ ... فالْزم الصبرَ اذ عليهِ المعوَّلْ
يا فؤادي استرحْ فما الصبرُ الّا ... ما بهِ مظهرُ القضاء تنزَّلْ
قدَرٌ غالبٌ وسرُّ الخفايا ... فوق عقل الاريب مهما تكمَّلْ
رُبَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممَّن ... ظنَّ بالسعي للعلى يتوصَّلْ

(السيّد عبد الله نديم) هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنهِ فأنشأ عدَّة جرائد سياسيَّة كان يزرع فيها بذور آمالهِ ويُنهض همم مواطنيهِ حتى لُقب بخطيب الشرق . ولمَّا ثارت الفتنة العرابيَّة نُفي من وطنهِ ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطرَّ الى مغادرة بلادهِ فتوجَّه الى الاستانة ونال الحظوى لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينية سنة ١٣١٤هـ . وكان مولدهُ بالاسكندريَّة سنة ١٢٦١ (١٨٤٤–١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيبًا لسنًا متوقد الذهن صافي القريحة بشديد العارضة متفننًا في الكتابة نثرًا ونظمًا لهُ ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغويَّة وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم . فمن اقوالهِ ما ذمَّ بهِ الخمرة :

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزتْ تُقَهقهُ بين ندمانِ الطلا فخجلتُ اذ ضحكتْ على الاذقانِ
ذلَّت لدولة حكمها دول الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خَفَّت فطارت بالعقولِ وخلَّفت تلك الجسوم بحالة الحيرانِ
ايُّ المحاسنِ ابصروا في وجهها وهي العتيقة من قديم زمانِ
امُّ الخبائث بنتُ عسلوج الهوى اخت الحشائش زوجة الشيطانِ
من زفَّها من خدرها لفؤادهِ صرعَتْهُ عند مزالق الاطيانِ
واذا تستَّر في ترشُّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لعبتْ بهِ عن مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطارًا بخاريًا :

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيَّرا شكلًا كطودٍ بالبخار مُسيَّرا
دومًا يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديدِ قلب باللهيب تسعَّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيدهُ وجدًا فيجري في الفضاء تستُّرا
تلقاهُ حالَ السَّير أفعى تلتوي او فارس الهيجا اثار العِثْيَرا
او سبع غابٍ قد احسَّ بصائدٍ في غابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انَّما شهبٌ هوت من افقها او قبَّة المنطادِ تنبذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة :

اذا ما المجدُ نادانا اجبنا فيظهرُ حين ينظرنا حنينا
فانَّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا ولكنَّا نُهينا ان نُهينا

وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينا
وان شئنا سلبنا كلّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المنشئينا

(محمَّد عثمان جلال) هو ابن يوسف الحسني الونائي ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغرهِ اللغات في مدرسة الالسن في حي الازبكيَّة ثم دخل سنة ١٢٦١ (١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزاراتها الى ان استوزرهُ توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلتهِ الى جهات القطر المصري فكتب تأليفهُ السياحة الخديويَّة وتقلّد القضاء في محكمة الاستئناف وأُحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨. وللمترجم عدَّة تآليف نقل بعضها من الافرنسيَّة كرواية پول وڤرجيني وكامثال لافونتين نظمها بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالًا منها وهو مثل البخيل والدجاجة :

كان البخيل عندهُ دجاجهْ تكفيهِ طول الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يومٍ مرَّ تعطيهِ العجَبْ وهي تبيضُ بيضةً من الذهَبْ
فظنَّ يومًا انَّ فيها كنزا وانهُ يُزاد منهُ عزَّا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ وكان في يمينهِ سكّينُ
وشقَّها نصفينِ من غفلتهِ اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لَقيَّه بل رمَّةً في حجرهِ مرميَّه
فقال لا شكَّ بأنَّ الطمعا ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمَّد عثمان يحبُّ اللغة المصريَّة العاميَّة فنقل اليها عدَّة روايات تمثيليَّة عن الشاعرين راسين ومولييار تصرَّف فيها بعض التصرُّف ومن ظريف شعرهِ قولهُ يمدح الحضرة الخديويَّة العباسيَّة سنة ١٣٠٩ :

مَنْ يضاهيكَ في العلى مَنْ يُداني يا عزيزًا لهُ علينا يَدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها عارضُ الميل فهي كالميزانِ
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا ض بإِنعامهِ على البلدانِ

ولهُ في رثاء عبدالله باشا فكري :

هُمامٌ علا فوق السماك بفكرهِ فمن ثمَّ سمَّتهُ الافاضلُ بالفكري
فتىً غاص في بحر المدارس رأيهُ فاخرج من حصبائهِ غاليَ الدرِّ
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ فانضج اثمارًا على يانع الزهر

زها نجمهُ دهرًا بمصرٍ فلم يَجدْ قرينًا ولكن لا امان الى الدهرِ
ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها بجمَّتهِ لا بالجهاز ولا المهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرَّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيَّة تحفةً بعلومهِ الوهبيّ يحكي ليزدَجِر (١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضَّلةً من فضل زيد على عمرو
فوا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ اورث الغاب شبلَهُ ولا كان هذا الغابَ يخلو من الزأرِ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممَّن تخصَّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنَّفوا فيها المصنَّفات المفيدة. منهم (محمود باشا الفلكي) ولد سنة ١٢٢٠ في مديريَّة الغربيَّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلَّب في المناصب الخطيرة وتولَّى وزارة المعارف وقد عُرف خصوصًا بتآليفهِ الفلكيَّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيَّة لاسيا العربيَّة ووصف مقياس النيل. ولهُ ايضًا بعض التآليف الاثريَّة كرسالتهِ في الاسكندريَّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنَّف بعض هذه التآليف في الافرنسيَّة فحلَّ بين علماء الافرنج محلًّا اثيرًا.

ومنهم (محمَّد مختار باشا) كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلَّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديَّة وترقى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان. وكان متضلعًا بالعلوم الفلكيَّة والرياضيَّة أَلَّف فيها عدَّة تآليف بالعربيَّة والافرنسيَّة. ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصَّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة رسائل حسنة

ومنهم (محمَّد علي باشا الحكيم) ولد سنة ١٢٢٨ في مديريَّة المنوفيَّة وتوفي في الحبشة سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧). درس العلوم الطبيَّة فنال منها حظًا وافرًا الى ان تعيَّن رئيسًا للمدرسة الطبيَّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربَّا. ولمَّا انتشبت الحرب المصريَّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار في رفقة الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي. ولهُ تآليف طبيَّة في فنون الجراحة وقانون طبيّ ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثلهُ في الطبّ والجراحة (الدكتور دري باشا) الذي ولد وتوفي في

١) اراد يزدجرد وهو ازدشير فرخَّمهُ

القاهرة (١٢٥٧—١٣١٨=١٨٤١—١٩٠٠) ودرَّس في مدرسة القصر العيني وألَّف التآليف المشهورة في الطبّ كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنَّف غير ذلك ايضًا كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدريَّة في مآثر العائلة الخديويَّة. وفيهِ قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ :

لو نلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني ... في مدحِ من شئت الّا ناظم الدُرَرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسرى فليس الى ... شيءٍ يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان ألمَّت بيَ الاسقامُ في زمنٍ ... لم استطبَّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... الّا ونادى بهِ يا كاشف الضرِّ

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيَّات والموسيقى الشرقية (شفيق بك) ابن منصور باشا يكَن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدَّة بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممَّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

وقد كان لغير هؤلاء المصريين بعض الشهرة ايضًا في فنون شتى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفَّار الدسوقيّ) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١—١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولَّى فيهِ تعليم العربيَّة ثم نُقل الى المهندسخانة الخديويَّة واشتغل في الرياضيَّات وسعى بطبع الروضة السندسيَّة في الحسابات المثلثيَّة. وتعيَّن مدَّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريَّة. ومن تآليفهِ حاشية على المغني. وعليهِ درس العربيَّة الانكليزيُّ المستشرق لان (E. W. Lane) الشهير بمصنَّفاتهِ الشرقيَّة ولاسيما معجمهُ العربيّ الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨٤٥—١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربيَّة واعاد لها شيئًا من رونقها المطموس بما وضعهُ من الأنغام واحدثهُ من اصول الفنّ

﴿ ادباء العراق ﴾ اصاب قطر العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينل فيهِ الشهرة في الكتابة الّا القليلون. هذا الى انقطاع اخبارهم عنَّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

وممن اتَّصلت بنا منظوماتهُ (الملّا حسن الموصلي البزّاز) اشتهر في اواسط القرن

التاسع عشر وتوفي في عشره الاخير. لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمَّة تلميذه الحاج محمَّد شيث الجومرد الموصلي الذي ذيَّل الديوان بنُبـذٍ من شعرهِ. وقد اتَّسع حسن البزَّاز في قصائده بمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين. ومن شعرهِ ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلَّى علينا عارضٌ غير ماطرٍ ولكنهُ بالثلج عمَّ نواحيا
فاصبحت الخضراء بيضاء قد زهتْ وعادت رباها والبطاحُ كواسيا
وكم بسطت منهُ يدُ البردِ والشتا بساطاً على وجه البسيطة باهيا
وكم جبلٍ راسٍ يقولُ مُفاخرًا أَلم تنظروا قد عمَّم الثلجُ راسيا
فقلتُ بهِ اذ كان شاذًّا وقوعــهُ ليذكرهُ من بعدُ مَن كان باقيا
غمـامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخاً حبا مِصرَنا بردًا من الثلج زاهيا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبّهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مَثُوبةٌ وليس على العصيان منهُ عقابُ
لَطاعتُهُ عندي نعيمٌ وجنَّةٌ وعصيـانهُ قبل العذاب عذابُ

وقال يرثي اخويهُ عليًّا ومصطفى :

بكينَ حماماتُ الأَراك لغربتي ونُحنَ على فقدان ما انا فاقدُ
لقد غابَ عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انني بهم ملحقٌ يوماً وما انا خالدُ

ومن أُدبا العراقيين (ابراهيم فصيح الحيدري) كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبـة الحرمين مدَّة وتولَّى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيهـا الغثّ والسمين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١ م) .

ومنهم (الشيخ اسماعيل الموصلي) ولد في الموصل وجاء الى بغداد في ابَّان شبابهِ ودرَّس في مدرسة الصاغة عدَّة سنين حتى وفاته في ٢٨ ذي الحجَّة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) وكان حنفيَّ المذهب على الطريقة النقشبنديّة. وكان اماماً في العلوم اللدنيَّـة وبرَّز في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة. وقد اعقب جملةً من الابناء كلُّهم من طلبـة العلم اكبرهم محمَّد راغب خلف اباهُ في التدريس. ولاحمد فارس الشدياق قصيـدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفهِ منها :

كل ما لذَّهم فذلك عندي ألمٌ غير ذكر إبراهيما
عبقريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في صدرهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا ء فصيحاً بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من مَتنٍ وشرحٍ افادا واجاد المنثور والمنظوما
وقوافٍ من كل بحر اذا ما سُردت خِلتهنَّ درًّا نظيما
عن ابيهِ وجدّهِ مستفيضٌ كلَّ فضلٍ فكان ارثاً مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ:

ردَّ عني السفيهَ بالنظم والنثـ ـر فكانا لذا الرجيم رُجوما
علم الناس ابرهيمَ خليلًا وصديقاً لي ان دعوت حميما
هذه مدحتي فان كنت قصَّر تُ فاني مدحتُ بَرًّا حليما

ومنهم (عبد الله افندي العمري الموصليّ) من ادباء وطنهِ المعدودين واحد روساء علماء العراق. لهُ فصول نثرِيَّة واشعار متفرّقة لم تُجمع حتى اليوم وقد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمرى نسيبهُ حيث قال:

ليت شعري ماذا اقول بمولًى قد اقرَّتْ بفضلهِ الاعداءُ
فيهِ قرَّت عيوننا واستنارت وازدهت في ورودهِ الحضراءُ
يا اديباً سما سماء المعالي كيف ترقى رُقيَّك الادباءُ
نلتَ حدَّ الإعجازِ نظماً لهذا خرست دون نطقك الفصحاءُ
انت يا سيدي بغير رثاءٍ خُتم النظمُ فيك والانشاءُ

ورثاهُ حسن البزَّاز فقال من قصيدةٍ:

قضى الحبرُ الذي للعلم جبرٌ بهِ فزجاءُ اهل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاضَ بحرٌ وغابت من سماء المجد شمسُ
اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهيرُ بكل فضلٍ تباهى فيهِ للعلياء رأسُ
كأن الموت نقَّادٌ بصيرٌ احسَّ بما يُحاولهُ منهُ حسُّ
تفرَّد فانتقى منَّا نقيًّا تحسَّر بعدهُ عربٌ وفرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ (شهابُ الدين العلويّ) احد رجال وطنهِ المقدَّمين يعدّهُ العراقيُّون كفارس حلبة الآداب في زمانهِ. لهُ ديوان شعر لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصرهِ ويناوبهم الرسائل الادبيَّة والقصائد

الرنَّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠ : ٧٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اوَّلها:

طغيانُ دجلةَ خطبٌ من الخطوب المخلّهْ

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:

حديقةٌ أثمرتْ اوراقها حِكَمًا ... لنا ثمار بجنها امتدَّت وقد ينعَتْ
فمن يشأ يتفكَّهْ في مناقبها ... ومن يشأ يتفقَّهْ بالذي شرعتْ
طالعْ تُقابِلْكَ مرآةُ الزمان بها ... وانظرْ الى صورة الدنيا وقد نصعَتْ
كم أودعت نُبذًا للسمع قد عَذُبَتْ ... ورْدًا ومن قلب ذاك الصدر قد نبعت
على الكمالاتِ طبعُ اللطفِ أرَّخها ... لطفًا مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٥)

ولهُ قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ اوَّلها:

من قوم عيسى جانبٌ تهدَّما ● والدهرُ قد نكَّس منهُ عَلَما
خطبٌ جسيم ومصابٌ عَظُما ● بموت من ابكى عليهِ الأُمما
قد فقدوا منهُ حكيمًا حكَمًا ● وكان ذا علم بطبِّ الحُكما

وممن مدح الشيخ شهاب الموصلي صاحبُ الجوائب فقال فيهِ من ابيات:

شهاب العصر خلَّاقُ المعاني ... فهل من ذاكر للأرَّجاني
عزيز الشأن تفتخر المعاني ... بهِ فخر المعالي والمعاني
لعمرُك انَّ ما يلقيهِ قولًا ... ليحكي ما يُنمَّق بالبنانِ
فذاك الدرُّ للأسماعِ حليٌ ... وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني ... اراهُ في علاهُ على التداني
كذاك الشهبُ يُعرفُ من بعيدٍ ... وإن خفيت سناءً في مكانِ

ولا نعلم اي سنة توفي الشهاب الموصليّ. كما انَّنا لم نقف على تفاصيل اخبارهِ

ونُلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهرا في الهند احدهما السيّد ابو الطيّب صديق بن حسن القنوجيّ البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٤) في قنوج واتَّصل بخدمة بعض ملوك الهند خان بهادر وافاد مالًا كثيرًا حتى تزوَّج بملكة بهوپال في الاقليم الهندي المسمَّى دكان وجمع مكتبةً واسعةً واشتغل بالعلم ونشر عدَّة مصنَّفات زعم البعض انَّها ليست لهُ وانَّما كلَّف العلماء بتصنيفها فعزاها لنفسهِ كفتح البيان في مقاصد

القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في اصول اللغة والعَلَم الخفّاق في الاشتقاق ولفّ القماط على تصحيح بعض ما استعملَتْـهُ العامَّة من المعرَّب والدخيل والمولَّد والاغلاط وكتاب لقطة العجلان وكتاب غصن البان المُورق بمحسَّنات البيان وكتاب ابجد العلوم . وقد جمع في كتاب دعاهُ قرَّة الأَعيان ومسرَّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أُدباء الزمان . توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تحوَّل مدَّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيّد (حيدر الحلاوي) وُلد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧م) كان شاعرًا وجمع شعرهُ في ديوان طبعهُ في بُمباي لم نحصل على نسخة منهُ حتى الآن

وفي هذه الحقبة ازهر في مكَّة شيخ علمائها (احمد بن زيني المعروف بدحلان) ولد في حاضرة الحجاز وتولَّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدَّة وفي زمانهِ أُنشئت في مكَّة اوَّل مطابعها فكان السيّد دحلان متوليًا نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيَّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميَّة في جزءين كبيرين . وكان طبع في مصر قبل ذلـك كتبًا أُخرى كالسيرة النبويَّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقًا طبعهُ في مكَّة توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليهـا في رفقة الشيخ عون الرفيق لمَّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيَّة الذي رفع في امّتهِ لواء الاداب فضلًا عمَّا احرزهُ من الجد في تدبير الامور وحسن السياسة نعني بهِ الوزير الخطير (احمد جودت باشا) . وُلد في لوفجة في ولاية الطونة سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) وانكبَّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيَّـة والدنيويَّة وبرع في اللغتين الفارسيَّة والعربيَّة فضلًا عن لغتهِ التركيَّـة وليس من غايتنا ان نتقفَّى آثار المترجم في المأموريَّات التي تولَّاها والمناصب التي تقلَّب فيها في كل الدواوين منها الاحكام العدليَّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة . وانَّما نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأنًا تاريخهُ لآل عثمان في تسعـة مجلَّدات عرّب جزءهُ الاوَّل جناب عبد القادر افندي الدنا . ولهُ رسائل عربيَّـة وتعليقات . ونقل قسمًا من

مقدّمة ابن خلدون الى التركيّة وصنّف عدّة كتب مدارسيّة للاحداث ظهر بعضها في العربيّة. وكان جودت باشا احد الاتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغاً واسعاً امّا معارفهُ في اللغة التركيّة فيُعدُّ فيها اماماً وحجّةً. كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أُدباء الاسلام في تونس (الشيخ محمَّد بيرم) ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠—١٨٨٩) تقلّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة المطابع ونظارة الاوقاف وقد لعب دوراً مهمًّا في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعَضد الشورى الّا انّ آمالهُ خابت بعد فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيّة ووُلي القضاء في محكمتها الابتدائيّة. ولهُ آثار ادبيّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء اوربّا. ولهُ ردّ على رينان في ما كتبهُ عن الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيّة حاول فيها بيان طرق اصلاح الاسلام وتقرّبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أُدباء النصرانيّة في هذه المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقّنوا الآداب العربيّة في مكاتب مللهم الخاصّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون. ولو اردنا ذكرهم فردًا فردًا لاتسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برّز بينهم بمعارفهِ

وكان في مقدّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلًا عمّا خلّفوهُ من آثار قلمهم. فكان على الطائفة المارونيّة السيّد السند (البطريرك بولس مسعد) رعاها مدّة ٣٦ سنة بتُقىً واجتهاد. وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة. وكان متضلّعاً بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ التحفة الغرّاء في دوام بتوليّة العذراء وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طُبع في طاميش وسعى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرّباً الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين اساقفة الموارنة المطران (يوحنا حبيب) مطران الناصرة شرفاً (١٨١٦—١٨٩٤) ومنشئ جمعيّة المرسلين الكريميين. تولّى في لبنان القضاء زمناً على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تآليفاً. ومن مآثرهِ تعريب

اللاهوت الادبي" للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلّدين ولهُ ردّ على الشيعة الماسونيَّة وعدَّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة

وممن عُرفوا بسمو الهمَّة في تعزيز الآداب في الربع الاخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة: (السيّد يوسف مطر ١٨١٤ — ١٨٨٢) انشأ في الشهباء مكتباً لملّته واستجلب اليها مطبعةً ادّت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في المشرق ٣ : ٣٥٨) . ودرج ادراجهُ خلفهُ (السيّد بولس حكيم الحلبي" ١٨١٧—١٨٨٨) لهُ مواعظ وخطب شتّى. وكان يقول بديهاً القدود والقصائد والزجليّات والاناشيد التقويّة على اللهجة العاميّة

واناف عليهما شهرةً خلفهما السيّد (جرمانوس الشمالي) من سهيلة كسروان (١٨٢٨ — ١٨٩٥) كان مثالاً حيًّا لكلّ الفضائل الاسقفيّة. امّا شهرتهُ في الآداب العربيّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية. منها مجلّدان ضمّنهما مجموع خطبهِ وعظاتهِ ثم ديوانه المسمّى «نظم اللآلئ» وفيهِ كثير من المنظومات الجيّده وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوّلةً (٥ : ٨٥٠—٦٨٠) فنحيل اليها القرّاء. وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هناك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩ :

أحسن بمصرَ وما شاءت مواليها من لي بهادٍ الى مدحٍ يوازيها
عاينتُ اكثرَ ممَّا كُنت اسمعهُ من عزَّةِ النفس والتقوى بأهليها
محروسة صانها المولى بقدرتهِ وعينهُ لم تزل يَقظَى تراعيها
فيها مباني عمادِ المجد من قِدَمٍ تُعَدُّ اعجوبةَ الدنيا مبانيها
من فائض النيل تُسقَى مثلما شرعت من فائض العلم تَسقِي مَن ثوى فيها
تبارك الله ما اشهى خمائلها تستنشق الرَوْحَ ريَّاها فتحييها
فالبحرُ اوسطُها والبَرُّ حاط بها والسهل والوعر كلٌّ من فحاويها
سبحان من يجمع الدنيا بواحدة فتحتوي كلَّ ما تحوي اقاصيها
اهرامها الشمُّ والآثار شاهدةٌ بعزَّةِ الملك من اعصار بانيها
تُدعى بقاهرة الاعداء عن ثقةٍ ومنبعُ العلم من أسمى اساميها
وَدَّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرِّخةً وِداعَ مصرٍ فاني غير ناسيها (١٨٨٩)

وعُرف ايضاً في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة قبرس المطران (يوسف الزغبي) درس في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير ثم علَّم في كليَّة ليل من اعمال فرنسة اللغتين العربيَّة والسريانيَّة وسعى في أيَّام اسقفيَّتهِ بانشاء مدرسة قرنة شهوان سنة

١٨٨٥ فنالت بهمَّتهِ نجاحاً . ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ . توفي في اواسط كانون الاوَّل من السنة ١٨٩٠

امَّا الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري (ارسانيوس الفاخوري) وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فاتخذهُ القصَّاد الرسوليُّون كمعاون لهم في اشغالهم ولزم مدَّة اعمال القضاء في لبنان ودرَّس العلوم العربيَّة والقوانين الفقهيَّة لكثير من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوَّلة التي نشرناها في المشرق (٣ : ٦٠٦—٦١٦) وعدَّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوَّل في الصرف والنحو . وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في الشعر العربيّ . ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائدهِ في المشرق منها بديعيَّتهُ (المشرق ٤ : ٢٦) وقصيدتهُ في قبر المسيح (٣ : ٣٦٣) وغير ذلك . ومن شعرهِ في الطهارة من ابيات :

يا صاحِ عِش متسربلاً بطهارةٍ تُصبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فالله من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم مُعلَّق بكمالها

وقال مخمساً لبيتين نظمهما احد الشعراء :

أتُوق لودّ من هوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقٍ بالفؤادِ رأيتُ بنفسجاً في ظلّ وادي
وغصنُ البانِ منعكفاً عليهِ
فكلٌّ يجذبُ الثاني لحبٍ كمغناطيسَ قد كنَّا بجذبِ
وقلبهُ شاخصٌ عيناً لقلبي فقلتُ تأمَّلوا بصنيعِ ربّي
شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ

ولهُ ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٦٩ ليبيّن فيها حرّية الانسان وخلوّ ارادتهِ من الاضطرار السابق هاك اوَّلها :

الحمدُ لله القدير السرمدي حمدًا يقينًا من شرور المعتدي
خلقَنا الله على صورتهِ وشبههِ جلَّ عُلى قدرتهِ
لكي نحبَّهُ هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلِّدا

فينا اختيارًا كاملًا قد أوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيّةٌ مطلقةٌ وفيهِ في فعل ما تريدهُ المشيّهْ
قد ضلَّ مَن قال بهِ الخلافا ولا يرى رأيًا بذا مُعافى
أمامك النيرانُ والماءُ فما تختارُ منهما لهُ أمدُدْ معصما
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلّما
لولا اختيارٌ لِفعالِ فاعلِ لم يُجزَ عنها من وليِّ عادلِ

وفي هذا العُشر التاسع اي نحو سنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل القس اغناطيوس الخازن من الاسرة الخازنيّة والرهبانيّة اللبنانيّة تولّى زمناً طويلًا رئاسة دير البنات وكان معروفًا بفضلهِ وجودة قريحتهِ عارفًا بالفقه. وقد وقفنا لهُ على ديوان مخطوط يدلُ على توقّد فهمهِ وذكاء عقلهِ ضمّنهُ كثيرًا من تواريخ لبنان بين السنتين ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنّ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوَّهت اكثر قصائدها باغلاط النسّاخ. وممّا يُروى لهُ قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكو اثقال الرئاسة:

ويلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى فالرفعُ بالخفض استبانَ ما وَلى
كم بات مضطربًا لصرف ملمّةٍ كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا
تبًّا لها من مهنةٍ بل محنةٍ يُلْهى بها النسّاكُ من ربّ الملا
كم حاسدٍ جلبَت وردَّت حاسدًا والبال فيها لا يزال مُبلبلا
مملوءةٌ مرًّا ولا تحلو بها تحوي من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قبلَ كلٍّ للرئاسةِ مائلٌ قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءًا صَلى

وقال مؤرخًا وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٤:

بكت العيونُ امير عُربٍ حيدرا من بعده هجرَ القلوبُ سلاما
اذ غابَ عنها صاح كل مؤرخٍ آها ببيتِ اللمعِ صار ظلاما

وقال متفكّهًا في أقرَع اتاهُ من بعض اصحابهِ بقرعة مملوءَة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ وافاض الخمر:

قد صبَّ اقرعُ في طريقٍ قرعةً وأتى بعذرٍ يشتكي من تَعسهِ
مزيّتهُ بالقول طيبُ نفساً وسِرُّ فلكلّ شيءٍ آفةٌ من جنسهِ

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيان من غزير وقعت وفاتها في الربع الاخير من القرن السابق. الاوّل الخوري يوسف الهاني وكان يُدعى قبل كهنوتهِ منصور الهمش

تعلَّم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وعلَّم فيها العربيَّة ومن آثاره مقامتهُ الغزيريَّة التي طُبعت سنة ١٨٧٢ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وفي آخرها قصيدتهُ العامرة الابيات في لاموريسيار وجنودهِ المتطوّعين البُسلاء المعروفين بالزواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيداردو سنة ١٨٦٠ وكانوا من نخبة الشبيبة وانجال واشرف الأُسر الكاثوليكيَّة. هذا مطلعها:

كريمَ النفس قُمْ بالنفسِ فادِ فقد نَسِيَ العقُوقُ ثَدى الولادِ
عهدتُ الحرَّ يعتنِق العوالي ويدفعُ عُنقهُ عن ذي ودادِ
وان خان الدعيُّ حليبَ امٍ فذاك بنفسهِ عنها يُفادي

ومنها يصف ثورة اعداء الدين:

أثاروا ضدَّ رأس الدين حربًا جرائمهم بها كانت صَوادي
ونادوا اين من يحمي ذمارًا نرومُ تزالَـهُ في اي نادِ
فما لبث الزواوةُ ان أتوهم بأسرعَ من صدى صوت المُنادي
وصاحوا يـا لحقّ بابويّ متين الاصل مرتفعِ العمادِ
وشاقتهم كؤوس الحتف شربًا وحنّوا للمهنَّـدةِ الحدادِ
رويدًا ايّهـا الابطالُ مهلًا فسيفُ عُداتكم للـدم صادِ
حُسامٌ من جهنَّمَ قلّدوهُ نقـدُّ شفارُهُ صُمَّ الجمادِ
ألا دَعنا نُلاقي الحتف عفوًا ولا تحرِم جياعًا حُسن زادِ
بمَ الأعضاء تحيا بعد رأسٍ وكيفَ الجسمُ دون القلب هادِ
فكُفّ ملامـةَ الحُسَّادِ عنّا ونادِ على السطوح وفي المهادِ
دَعوهم ينصرون الحقَّ جهرًا على اهل الضلالة والفسادِ
دعوهمُ في الفخار لخيرِ ذُخرٍ ونَيْلِ أكالَّةِ عُقبى جهـادِ
ولا تخشوا عليهم من ضلالٍ فلاموريسِيارُ احقُّ هـادِ

الى ان قال:

فاذ شهد الزواوةُ في الرزايا ونارَ الحرب تُضرَمُ باتّقادِ
بدمّهم المزكّى أطفأوهـا وما أحلى الدماء بذا الجهادِ
فلا تحزنن عليهـم نادباتٌ خرائدُ سافراتٌ في حدادِ
فان غـابوا فأقمار توارت وليس أُفولُها حدَّ النَّفـادِ
وان فقدوا الحياةَ فقد اصابوا بدارِ الخُلدِ مجدًا بازديادِ
أتوا مولاهمُ شهـداء حقٍ وعدّوا القتل أشهى من شهادِ

وللخوري يوسف الهاني مآثر أُخرى اخصُّها كتاب منارة الطُّلَّاب في التصريف والاعراب طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية · ولهُ اناشيد متفرّقة كقولهِ على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع:

نَمْ يا حياتي بالهنا يا نور عيني والمُنى
ذوقَنْ بطَرْفٍ أنعَسٍ وسَنًا يَلَذُّ لِنُعَّسِ
في جَنْحِ ليلٍ الحندسِ فالى جفونك قد دنا

ولدي ايا زهر الرُّبى تسمو البنين كما الصَّبا
قد فُقتَ عِقدًا مُذهَبا بل عقدَ درٍّ بالسَّنا

ما سوسنٌ في جامهِ قد ذرَّ من أَكمامهِ
مع وردهِ وخُزامهِ يحكيك يا بدر المُنى

كانت وفاة الخوري يوسف الهاني نحو السنة ١٨٨٥ · امَّا وطنيُّهُ الآخر فالخوري حنَّا رعد المعروف بالعاصي ايضًا كان ذا قلم سيَّال يُحسن الكتابة نظمًا ونثرًا · ولهُ ديوان شعر مخطوط يضنُّ بهِ آلهُ ويريدون نشرهُ وشعرهُ سلس مطبوع روينا منهُ سابقًا قصيدة في مريم العذراء (المشرق ٧ : ٤٣١) · ومن جملة اقوالهِ قصيدة دعاها جَبْر الكسر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنّئ بها خلفهُ السيّد يوحنَّا الحاج سنة ١٨٩٠ :

بالأَمس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ والبومَ عمَّ الهنا والثغرُ يبتسمُ
طافت بنا الكاس من صابٍ ومن عسلٍ والحمدُ لله في الحالين ملتزمُ
لا يجملُ الله في الجُلَّى كنيستَهُ ولو احاطت بها الارزاء تلتطمُ
ازال بالحبر يوحنَّا مصائبنا فالكسْرُ مُنجَبِرٌ والجرح ملتئمُ

وهي طويلة ختمها بقولهِ:

انت المؤمَّل ان تُضحي رئاستُهُ لنا وللدين حصنًا ليس ينثلمُ
آمالنا فيك كالألحاظ شاخصةٌ لها معانٍ ولكن ما لها كَلِمُ
جئنا نهنّيك لكنَّ الهناء لنا فانَّ نعماك للابناء مغتنَمُ
فاقبل ثناءً بلا منٍّ وتهنئةٍ بها يُترجِمُ عن فحوى الفؤادِ فمُ

وكان المترجم مولعًا بفرنسا يعظّم مفاخرها ويطري بشهامة ابنائها ويشكر لدولتهم التي انقذت نصارى الشرق من نكبات المعتدين فمن ذلك عينيَّتهُ الشهيرة التي قالها سنة ١٨٦٠ بعد حوادث الشام:

كفَّ البكا وامسح عيونًا تدمعُ واحفَظْ بقيَّة مهجةٍ تتصدَّعُ
صبرًا ولا تهلك أسًى وتوجُّعًا فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرُكَ مذهلٌ او مُعضل والقلبُ حيران لذاك وموجع
قد كُنتَ آلفت المصائب ذلَّةً حتى دهتكَ مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانُ ما هذه الجماجمُ والدما ما للمنازلِ وهي قفرٌ بَلقعُ

الى ان قال على لسان الرب ملبيًا دعوة المنكوبين:

حتَّام تفترسُ الذئاب رعيَّتي فقطيعيَ المختارُ كاد يُقطَّعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافرًا بطلًا تخرُّ لهُ الجهات الاربع
صيحناوكان الى فرنسَ الصوت : يا نابوليُون . اجابنا: لا تجزعوا
انيَ لَمُنجدكم وكاشف كَربكم برضى الالهِ سواهُ فخرًا يُمنَعُ

ومنها في وصف الحملة الفرنسويَّة:

وكواسرٌ لا الهَوْلُ في اوهامها هولٌ ولا الموتُ المريع يُرَوِّعُ
لا ترهبُ الاسيافَ ان سُلَّتْ ولا تحمي الجيوشَ ولا المدافع تدفَعُ
منها الزُّؤافُ ولم تكن يومًا سوى السَّمْوتِ الزؤاف وكلُّ عاتٍ موقعُ
تلك البُحور على البُرور طمَتْ ولا سدٌّ يصدُّ ولا حجابٌ يمنعُ
ليس الملا الَّا المراكبُ والموا كبُ والقواضِبُ والقنا والأدرعُ
وهيَ السوابق والسرادق والبنا دقُ والصَّواعقُ والمنيَّة تتبَعُ
سعدًا ليومٍ بَشَّرت أعلامُـهُ انَّ الحياةَ من المنيةِ اسرعُ
لله درُّكِ يا فرنسا مركزًا للدين والدنيا اليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ فينا ولا زال الشقا المستفظَعُ

وهي طويلة ابياتها من غررٌ الاقوال تتدفَّق جودًا ورقَّةً . ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيَّةٌ قالها سنة ١٨٧١ لمَّا زار لبنان القنصل الفرنسويّ روستان مطلعها:

حبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركان لفرنسَ قام على ذُرى لبنانِ

وللخوري حنا رعد عدَّة اناشيد يتغنَّى بها النصاري الى يومنا في المجتمعات التقويَّة كقولهِ في مدح البتول:

مجدُ مريم يتعظَّمْ في المشارق والغروبْ

وقولهِ:

عليك السلامُ بلا مَلَلْ يا نجمة البحر والاملْ

وقولهُ في القربان الاقدس:

لك التسبيح والشكرانْ لك المجد يا سرَّ القربانْ

توفي الخوري يوحنَّا رعد في ١٣ ايلول من السنة ١٩٠٠

وفي السنة ١٨٨٩ فقدت الشهباء احد كهنتها الموارنة الاجلَّاء القس اغوسطينوس عازار. درس العلوم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وكان يسمَّى جرجس وبرع في اللغة العربيَّة فلمَّا عاد الى وطنهِ انقطع الى التدريس والتأليف ونَقْل الكتب الى العربيَّة وخدم الاداب نحو عشر سنين. ومن تآليفهِ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة طُبع سنة ١٨٨٦ في بيروت (١. ولهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع الَّا بعض القصائد التي نُشرت في المجاميع الادبيَّة. فمن قولهِ في رثاء يذكر الموت:

من اين يرجو المرء خلدًا اذ يرى كلًّا يزول مع الزمانِ ويُدفعُ
انَّ الحياة لدى الحقيقةِ عهدُها يمضي كلمع البرق او هو اسرعُ
كلّ لهُ يومٌ يودّع اهلَهُ فيهِ وداعًا مطلقًا ويودَّعُ
لا فرق عند الموت بين اكابرٍ واصاغرٍ حين القضاء يُلَملِعُ
ما هذه الدنيا لدى عيني سوى سفر الى ابديَّةٍ لا ترجعُ
ان رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقًا تنجعُ

ولهُ في يوبيل البابا لاون (سنة ١٨٨٧—١٨٨٨) قصيدة غرَّاء افتتحها بقولهِ:

نادى المنادي بوَحي الله ما كتبا في آية النصر انَّ الليث قد غلبا
ليث من الانس تخشى الارضُ سطوتهُ في الغرب والشرق إنْ عجمًا وان عربا
فاعجب لهُ اسدًا بالبأسِ منتصرًا بالانس مشتهرًا في الكون مرتهبا

ومنها:

رِعيًا لراعٍ رعى حقَّ الاله ولم يُبدِ التفاهلَ فيما العدلُ قد طلبا
مذ قام حقَّ قيامٍ في رسالتهِ جمَّة بلغت غاياتُها الأَرَبا
ووفَّق الدينَ والدنيا بحكمتهِ ولم يَدعْ لهما عذرًا ولا سببا
يمناهُ حاملةُ الانجيل ما برحت يسراهُ تعضدُ سادات الورى الحُسَبا
قوَّى الملوكَ على اعداء سلطتهم بكبحهِ الثورةَ الشنعاء والغضبا
وقام يجهد في العمران طاقتَهُ فردً ما كان منهُ الدهر قد سلبا
هزَّ العصا فأَراع الكُفرَ فارتعدت منها العُصاةُ فماذا لو بها ضربا

١) ولاخيهِ القس بولس كتاب الادلَّة النظرية في وحدة النفس البشريَّة

وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ :

قد حاز لاوون ما التاريخُ ينشدهُ   اسماً مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا

ولم يتأخر الاكليروس السرياني الكاثوليكيّ في نهضة الآداب العربيّة في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٧٤ توفي البطريرك (فيلبُّس عركوس) وكان متضلعاً بعدّة لغات شرقيّة وغربيّة . لهُ كتاب مخطوط عنوانهُ قوت النفس فيهِ ارشادات ومواعظ . فخلفهُ السيّد البطريرك (اغناطيوس جرجس شلحت) الحلبيّ الاصل (١٨١٨–١٨٩١) اشتهر بالعلوم الطقسيّة وعزّز الموسيقي الكنسيّة . ومن آثارهِ الطيّبة كتابان احدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيّة والآخر ضمّنهُ تاريخ الكنيسة الشرقيّة . هذا فضلًا عن عدّة كتب طقسيّة سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيّة والعربيّة

وقام من بعدهِ السيّد (اغناطيوس بهنام بنّي) الموصلي (١٨٩١–١٨٩٧) درس في رومية العظمى ونال شهادة الملفنة في اللاهوت والفلسفة . وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً اثبت فيهِ حقيقة الكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الدرّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتابٌ كلندار السّنة لابرشيّة الموصل السريانيّة . وطُبع لهُ في لندن سنة ١٨٧١ كتاب انكليزي عنوانهُ تعليم الكنيسة السريانيّة في رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

وزيّن الشام في اواخر ذلك العصر حبران جليلان من الطائفة نفسها اعني السيد (تاوُفيلس انطون قندلفت) الحلبي (١٨٣٦–١٨٩٨) الذي تعيّن مطراناً على طرابلس وسكن بيروت . ولهُ تركة علميّة واسعة منها دينيّة كالسراج الوهّاج في سنّة الزّواج والرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيّة عند الشرقيين وكتاب مواعظ دعاهُ عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلّدات اردفهُ بكتاب القلادة الدرّيّة في شرح الوصايا الالهيّة وكتاب القيثارة الشجيّة في التسابيح الالهيّة جمع فيهِ تسابيح واناشيد تقويّة أدرجها في الكنائس وكل هذه الكتب الّا الاخير نشرت بالطبع . امّا كتبهُ الادبية فمنها رواية ظريفة تُدعى الذّميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً وشذرات ادبيّة بالنثر والنظم لم يطبع . ولهُ عدّة مقامات وقصائد وروايات طُبعت في مجلّة النحلة وفي الجنان وفي بعض المجاميع فمن ذلك قولهُ في مدح احد أدباء الاستانة يوسف نعمة الله جدّ :

مالي وللدهر دَعْني انّني ثَمِلٌ من راح اهل الوفا والفهم والكَرَمِ
مَنْ جدُّهم جاد واستملت معالمهم حتى غدا فضلُهم نارًا على عَلَمِ
مِن اهل جدٍّ فتًى رام العُلى فَعَلا بالفصل والفضل والاحسان والشيمِ
سمحيٌّ رأيٍ سنيّ الفكر ذو حُذُقٍ في وصف جانبهِ قد حار كل فمِ

ولهُ مجيبًا لقدسي زاده قدري بك وكان ارسل اليه قصيدة يُعرب فيها عن اشواقه الى وطنهِ وخلانهِ في الشهباء اوّلها:

يا راقيًا يبغي ذري الشهباء ومعرّجًا للبلدة البيضاء

فوجّه المطران انطون اليهِ بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها:

يا صاعدًا أوج العلى بثناء ولِواك مُنعقدٌ على الجوزاء
وسواك يبغي المجد لكن جدُّهُ هيهات مثلك يا ذُرى الفضلاء
حسبٌ وفضلٌ قد جمعتَ كليهما مع رقّةٍ ومكارمٍ وسناء
اوليتني الإحسانَ بالتوديع في مصرٍ بخيرِ قصيدة غرّاء
فيها الحنينُ الى المواطن والحمى والى الافاضل من بني الشهباء
فلثمتها وتلوتُها ونشرتُها وحسبتها من اوجه النعماء

ومنها:

انت الملاذُ لآلِ قُدسٍ وانتَ الفخرُ للاوطانِ يا مولاني
لم تنسَ شيمتَكَ الكريمةَ دائمًا بالحل والترحال دون وفاء
فلتفتخر حلبٌ بعبد القادر م القدسي على الأقطار والانحاء

وختمها بقولهِ:

خذها لردّ صدى الوداد على الندى من ذي وفاء ودُّهُ بصفاء
واصفح بفضلك عن قصوري انني في كنفِ عفوكَ قد وجدتُ حمائي

وزاد على من سبق ذكرُهم شهرةً السيّد (اقليميس يوسف داود) ولد في الموصل من أسرة كلدانيّة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ وبعد ان درس فيها مدّةً في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير اتمّ دروسهُ في رومية وحاز السبق على كل اقرانهِ في العلوم الدينيّة والدنيويّة ثمّ انضوى الى الطائفة السريانيّة وعاد الى وطنهِ وعلّم عدّة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرّج عليهِ كثيرون عُرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل المرسلون اليهِ نظارة مطبعتهم واصلاح منشوراتها فقام بالامر احسن قيام واهتمّ بطبع تآليفَ جمّة لا تزال واسطة قلادتها. وقد اهتمّ بالاعمال الرسوليّة

اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وانشاء المدارس الى أن عهد اليهِ الكرسي الرسوليّ تدبير ابرشيَّة دمشق فلبَّى دعوتهُ مرغوماً. وآثارهُ العديدة في الفيحاء لا تزال تنطق بفضلهِ وهناك أُقيم لهُ نصف تمثال من الرخام في الدار الاسقفيَّة التي زانها بفضائلهِ وعلومهِ من السنة ١٨٧٨ الى تاريخ وفاتهِ في ٤ آب ١٨٩٠ . وقد استوفى جناب الكنت فيليب نصر الله طرّازي ذكر اعمالهِ في كتابهِ القلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفهِ المطوّل ومجموع آثارهِ العلميَّة في كل الفنون والمعارف العصريَّة تنيف على الثمانين تأليفاً او تعريباً او اصلاحاً وتنقيحاً. بينها قسم واسع في الآداب العربيَّة من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريَّة ونثريَّة ولعلَّهُ اوَّل من زوَّد المدارس الكاثوليكية بكتب تعليم منقَّحة. وتعريبهُ للاسفار المقدَّسة ينبئ بفضلهِ العميم. واما آثارهُ بالسريانيَّة فتكاد لا تُحصى. ولهُ حتى يومنا عدَّة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها وكان للسيد اقليميس داود مقامٌ جليل بين العلماء الاجانب يقدّرون قدرهُ في كل الابحاث الشرقية وقد رثاهُ كثيرون بالمراثي النفيسة ومن اجودها قول الدكتور لويس صابونجي :

وترثي دمشقُ الشام فَقْدَ عزيزها ... مع الموصل الحدباء اذ قام مشهدُ
سأبكي عليهِ ما تقطَّر مدمعي ... وراح يمامٌ في الأَراك يغرّدُ
بكتهُ طروسٌ واليراعُ ونثرُهُ ... وناح عليهِ الشعر اذ بات يُنشَدُ
بكتهُ علوم الاوَّلين بأسرها ... بدمعٍ غزيرٍ سيلهُ لا يُجمَّدُ
وراح عليهِ المجدُ يبكي تأسُّفاً ... وقلبُ المعالي بالمرائر يَفسَدُ
وراح من السريان مجمعُ شرقِنا ... يُقرّ لهُ بالفضل فيها مجدّدُ
ومجمعُ واتيكان يندبُ فَقْدَ مَن ... لديهِ تقاليد الطوائف توجَدُ

وهي طويلة منها قولهُ في قبر الفقيد :

عليك سلامُ الله ما ضاء فرقدٌ ... ودمتَ بقَطر الغيث تُسقى وتقصَدُ
سألت الهي ان يمنَّ بفضلهِ ... عليَّ بتقبيل الضريح فأحمَدُ
واغسل ذاك القبر بالدمع فرجةً ... لانَّ غليلي بالدموع يُبرَّدُ

وممَّن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف معمار باشي) الماردينيّ تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل الى اميركا سنة ١٨٨٠ وسطَّر اخبار رحلتهِ في

كتاب دعاهُ ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٨٩

وكذلك عُرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلّال) تولّى كتابة الاسرار للبطريرك جرجس شلحت زمنًا طويلًا وكان شاعرًا مجيدًا. ومن آثارهِ روايات ادبيّة كإحسان الانسان والنفح العاطر في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. ولهُ ديوان شعر غير مطبوع فمن اقواله الزهديّة:

أرى الدنيا جاهها لا يطولُ　　وزخرفُها برمّتهِ يزولُ
فعزّتها وبهجتها خيالٌ　　وزهرُ الحقل برهان دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبح يزهو　　ويفتك في المساء بهِ الذبولُ
فكيف الناس في لهوٍ حيارى　　ورأسهمُ تدورُ بهِ الشَّمولُ
ألا ليت الانامَ يَعون قولي　　ففي الاخرى لهم خيرٌ جزيلُ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر:

حبرُنا لاوونَ مَن قدرًا سما　　وتعالى سؤددًا دون مثَلْ
مَن حباهُ الله اوفى منحةٍ　　إذ رآهُ مستحقًّا للنِحَلْ
خلف المبغوطَ شمعونَ الصفا　　من مفاتيح السماوات اقتبلْ
فبغى نصرًا لحقّ الدين في　　كل حالٍ منهُ لا يهوى بدلْ
وازاح الستر عمَّا قد فشا　　من ضلال الكفر في كل محلْ
ان أقُلْ فيهِ ختامًا قد غدا　　محوَرُ الدنيا عليهِ لا جَدَلْ

توفي القس ميخائيل دلال سنة ١٨٩٤

وقد جارى الاكليروسُ الكلدانيّ اخوتَهم السريان في رفع لواء الآداب الّا ان همتهم كانت مصروفة الى لغتهم فانّ مطبعتهم في الموصل عُنيت خصوصًا بنشر الآثار الكلدانيّة. على انّ البطريرك (جرجس عبد يشوع خيّاط الموصلي) كان يُتقن اللغتين السريانيّة والعربيّة ولهُ في كلتيهما مصنَّفات. ومن تآليفهِ العربيّة مجموع بالنثر والنظم لافادة طلبة المدارس دعاهُ روضة الصبي. ولهُ فصول في التواريخ القدسيّة عرَّبهُ من تاريخ بيليز (Belèze) وذيّلهُ وطبعهُ في مطبعة الآباء الدومنيكان. توفي السيّد عبد يشوع سنة ١٨٩٩

وممّن عُني من الكلدان بنشر الآثار العربيّة القس يعقوب نعمو نشر كتابًا جليلًا للبطريرك النسطوريّ ايليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي في القرن الثالث

عشر يُدعى التراجم السنيَّة للاعياد المارونيَّة يحتوي عددًا من انفس الخطب الدينيَّة وابلغها كلّها مسجَّعة يقرّ لها بالبلاغة كل من يسمعها · وقد نشرنا في المشرق خطبًا لهُ لم نجدها في هذا المجموع

امَّا الروم الارثذكس فلا نعرف احدًا اشتهر في اكليرسهم بالآداب العربيَّة غير السيد (جراسيموس يارد) مطران صيدنايا ومعلولا وزحلة · كان مولدهُ في راشيا سنة ١٨٤٠ وبعد درسهِ في مدرسة طائفته في دمشق علَّم في مدرسة حماة ثم أُرسل الى موسكو سنة ١٨٦٨ لتدبير اونطش ملتهِ فيها فوجَّهت اليهِ الدولة الروسيَّة انظارها ودعتهُ الى تدريس اللغات الشرقيَّة في مدارسها وقد ألَّف هناك كتبًا بالروسية طُبعت على نفقة الدولة منها تاريخ فوطيوس · وفي السنة ١٨٨٣ عاد الى بلاد الشام وخدم الكرسي الانطاكي بنشاط حتى رُقي الى رتبة الاسقفيَّة سنة ١٨٨٩ فدبَّر ابرشيَّتهُ عشر سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول سنة ١٨٩٩ · ومما تركهُ من الآثار تعريب كتاب خلاص الخطأة ورواية واقرار بيلاطس وكراريس في الرتب والطقوس والاعياد الكنسية · وكان خطيبًا مصقعًا

*

(البستانيُّون) نقدّم ذكرهم على بقيَّة الادباء العالميين الذين اشتهروا في ترقية الآداب العربيَّة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر · وكان اشهرهم المعلم (بطرس البستاني) فانهُ وُلد في الدبيَّة من اقليم الخرُّوب سنة ١٨١٩ من عائلة مارونيَّة وجيهة وفي صغرهِ تلقَّى العلوم في مدرسة عين ورقة وهو يريد الانتظام في سلك الاكليروس ثم جنح الى البروتستانيَّة واخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانيَّة وعلَّم في مدرسة أعبيه لرسالتهم الاميركيَّة واظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حبَّبهُ الى اصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والدكتور ڤان ديك فاستدعوهُ الى بيروت لموازرتهم في اعمال مطبعتهم فساعدهم في عدَّة تآليف اخصّها ترجمة التوراة من العبرانيَّة الى العربيَّة وتولَّى مدَّةً منصب الترجمة في قنصليَّة اميركا ثم تفرَّغ للتأليف ووضع عددًا من الكتب المدرسيَّة في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسهِ المطوَّل المعروف بمحيط المحيط واختصرهُ في قطر المحيط فنال من السلطان عبد العزيز الوسام المجيدي من الطبقة الثالثة ومبلغًا وافرًا من المال كجائزةٍ على عملهِ · ولمَّا رأى الصحافة في سوريَّة ضيّقة النطاق عدل الى انشاء الصحف فحرَّر مع آلهِ الجنان

والجنَّة والجنينة وكان الجنان مجلَّةً تتضمَّن المباحث السياسيَّة الحرَّة والمقالات العلميَّة والتاريخيَّة والادبيَّة ثم عهد الى ابنهِ سليم مواصلة هذا العمل وابتدأ اوَّل دائرة علميَّـة ظهرت في اللغة العربية فابرز منها سبعة اجزاء قبل وفاتهِ. وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الاعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرستهُ الوطنيَّة التي نالت بهمَّتهِ نجاحاً الى ان اضطرَّتهُ اعباء الاشغال الى انتداب ابنهِ سليم الى ادارتها ثم أُقفلت بعد حين. وكانت وفاتهُ فجأة في غرَّة ايار سنة ١٨٨٣ وممن رثاهُ الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة :

يا قُطْر دائرةِ المعارفِ والحِجى	ومحيطَ فضلٍ فاض في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي	بقريضها ترثيك في انشادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ	دون المحيط يزيد في إزْيادهِ
يبكي الحسابُ عليك متَّخذًا لهُ	دمعاً يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً	والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة التالية ١٨٨٤ نشبت مخالب المنون في نجلهِ (سليم البستاني) وكان سليم يتقيَّل أباهُ في نشاطهِ وهمَّتهِ وآدابهِ وقد ساعدهُ في تحرير مجلَّة الجنان. فكتب فيهـا فصولًا واسعة وتولَّى ادارة صحيفة الجنَّة وانجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر جزءَهُ الثامن. ولم يظهر من هذا التاليف بعد ذلك الَّا ثلاثة اجزاء ولعلَّ البـاقي لن يُنشَر ابدًا. وكان الاجدر بمؤلف هذه الدائرة ان يقسم الشغل على جملة من الكتبة فيتولَّى كلٌّ منهم تحرير القسم الخاصّ بهِ فانَّ ذلك كان أضمن بانجازها فضلًا عن كونهِ أشمل لموادّها واوفى بفوائدها فانَّ هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الاوربيَّة التي يتولَّاها قومٌ من الاختصاصيين. ومنْ اكبر خَلَلها انَّ موادّها الشرقية قليلة فان مؤلفيها نقلوا خمسةً او ستَّة من الكتب العربيَّة الشائعة ولم يعنوا بالبحث عن المطالب التي تهمُّنا من تاريخ بلادنا .

ولسليم البستاني روايات قصصيَّة نشر كثيرًا منها في الجنان وروايات تمثيليَّة كرواية الاسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعيَّة السوريَّة وكان احد اعضائها الممتازين. ونشر ايضاً تاريخ فرنسا بمجلَّد كبير استعان في نشرهِ بجناب الشيخ خطَّار الدحداح. توفي سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ وكان مولدهُ في اعبيه في ٢٨ ك١ سنة ١٨٤٨ وكان في العربيَّة احد المتخرّجين على الشيخ ناصيف اليازجي

وممن شرَّفوا الأسرة البستانيَّة بآدابهم دون ان تصيبهم في دينهم شائبةٌ كالمعلّم بطرس وابنهِ سليم السيّدُ الجليل (بطرس البستاني) رئيس اساقفة صور وصيداء على الموارنة (١٨١٩—١٨٩٩) واحد تلامذة عين ورقة خلف عمّهُ المطران عبد الله البستاني منشئ مدرسة مشموشة في تدبير كرسي صور وصيدا وكان متضلّعًا بالعلوم الدينيَّة والفقهيَّة واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتَّخذهُ مدَّة السيّد البطريرك بولس مسعد لكتابة اسرارهِ الى ان سامهُ اسقفًا سنة ١٨٦٦ واستصحبَهُ الى رومية في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٧ احتفالًا بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة ١٨٧٠ لحضور المجمع الواتيكاني توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٩

ومنهم الخوري (يوسف البستاني) من تلامذة مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير حرَّر البشير مدَّة سبع سنوات واشتهر بالكتابة وعرَّب عدَّة تآليف نُشرت في مطبعتنا كتاريخ الكنيسة لِلومُند والحديث المانوس في هداية النفوس وجمع مع الخوري بطرس الزغبي كتاب نخب الملح وغرَّة المنح وذيَّلهُ بالملحوظات التاريخية والحواشي الواسعة فطُبع على الحجر. كانت وفاتهُ السنة ١٨٩٦

واشتهر كذلك سميُّهُ الخوري (يوسف جرجس البستاني) الذي عُرف بفضلهِ وفضيلتهِ وانضمَّ الى جماعة المرسلين الكريميين ففلح معهم كرم الربّ حتى انتدبهُ الطيّب الذكر السيد يوسف الدبس الى ادارة مدرسة الحكمة في بيروت واتَّخذهُ كاتبًا لاسرارهِ فقام بكل مهمَّاتهِ احسن قيام ولهُ عدَّة خطب ألقاها في النوادي العلميّة المارونيَّة طُبع بعضها ولهُ خطب أُخرى وقصائد وتآليف شتّى لم تطبع. كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٦

ومنهم ايضًا (سعيد البستاني) توفي في الحدث في ربيع سنة ١٩٠١ عن بضع واربعين سنة وكان محرّرًا لجريدة لبنان وكان سكن مدَّةً القطر المصريّ وتولّى منصبًا رفيعًا في نظارة المالية. ومن مآثرهِ الادبيَّة رواية ذات الخدر مثَّل بها احوال مصر وعاداتها على اسلوب لطيف. واشهر منها رواية سمير الامير اودعها صورة احوال لبنان وعادات امرائهِ واخلاقهم

والاسرة البستانيَّة لا تزال ممتازةً الى يومنا بمشاهير ادبائها كنجيب افندي البستاني وسليمان افندي مبعوث بيروت في المجلس الدستوريّ ومعرّب الالياذة ثم الشاعر العصري

عبد الله افندي . ولا غرو فإنهم يحقّقون معنى اسمهم فيغنون الآداب بما يغلّهُ بستانهم من الاثمار الجنيَّة

ومن مشاهير لبنان في الادب وفنون الكتابة (يوسف حبيب باخوس) الكسرواني الغزيري من الاسرة الباخوسيَّة الشائعة الفضل وُلد في ٥ ايار سنة ١٨٤٥ في غزير وفيها توفي سنة ١٨٨٢ في ريعان شبابهِ وقد ادّى للآداب العربيـة مع قصر حياتهِ خدمًا مشكورة . فانَّهُ بعد ان تلقَّن العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا قريبًا من عرامون انقطع مدَّةً للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبتهُ حكومة دولة ايطالية الى تحرير جريدة عربيَّة في كالياري من اعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وانشأ جريدة « المستقلّ » وحرَّرها سنتين . ثم حرَّر جريدة البصير في باريس خدمةً للمصالح الافرنسيَّة وقد اصابت الجريدتان بهمَّتهِ بعض النجاح لولا ان المرض احوجهُ الى مغادرة القلم للاهتمام بصحتهِ . فرجع الى وطنهِ وما نشب ان توفي . وقد نشر المشرق ترجمتهُ مطوَّلةً بقلم احد آلهِ الادباء نجيب افندي باخوس (المشرق ٥ : ١٥١ و٤٩٧) وهناك عدّة مقاطيع نثريَّة وشعريَّة تشهد لهُ بانسجام الكلام ورقَّة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها . وكذلك مرَّ لنا وصفهُ للربيع في باريس (في المشرق ٣ : ٣٤٨) ولدمار پومپاي (٣ : ٤٦٢) وقصيدتهُ في حكمة النفس (٣ : ٣٢٢) وليس في الاعادة افادة

وفي السنة ١٨٨٣ رُزئت الآداب باحد ابناء عائلة شريفة في بيروت المرحوم (سليم بن موسى بسترس) كان مولدهُ في ٢٩ آب سنة ١٨٣٩ واقبل صغيرًا على درس الآداب العربيَّة وبعض اللغات الاجنبيَّة وفي السنة ١٨٥٥ تجوَّل في انحاء اوربا وزار عواصمها وقد وصف رحلتهُ في كتاب طبعهُ في المطبعة السوريَّة دعاهُ النزهة الشهيَّة في الرحلة السليميَّة . ثم تعاطى بعد ذلك الاشغال التجاريَّة في الاسكندريَّة ثم انتقل الى انكلترَّة وسكن ليڤربول ولندن واتّسعت هناك اشغالهُ وعُرف بفضلهِ وسخاء يدهِ فتوفَّر عدد اصحابهِ بين وجوه البلاد واعيانها ونال من محاسن الامبراطور اسكندر الثاني التعطّفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصّة وكذلك الدولة العثمانية منحتهُ اوسمتها العالية الشان . وكانت وفاتهُ في لندن في ٣ شباط سنة ١٨٨٣ لكنَّ جثتهُ نُقلت الى بيروت فدُفن في ضريح عائلتهِ وقد رثاهُ كثير من الادباء نثرًا ونظمًا بنخبة الاقوال

التي جُمعت في كتاب خاصّ. فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثتهِ الى بيروت ابيات لالياس افندي نوفل:

لمَّا قضى السقمُ ان يسطو على بدني قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تثقلني
فقلتُ لا تدفنوا جسمي بغربتهِ فالشرق اقربهُ تربًا الى عدنِ
هناك فوق رباهُ خيرُ من تركتُ عيني وتحت ثراهُ خيرُ مُرتهَنِ
قد جئتكم اثرًا يا جيرتي وانا العينُ التي شخصت للاهل والوطنِ
فعند مشهد نعشي فاندبوا اسفًا صباي او عند قبري فاذكروا زمني
اودعت جسمي لديكم في الممات وكم اودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من اجلي فرحمتهُ هي الغناء لنفسي يوم يحشرني

وكان سليم دي بسترس شاعرًا بليغًا لهُ منظومات متعدّدة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني. فممَّا استحسنَّاهُ من نظمهِ قولهُ في رثاء:

لا شي غير نفوسنا يتخلَّدُ تلك البقيَّة غيرها لا يوجدُ
وسواؤها فوق البسيطة كلهُ يفنى وضمن ترابها يتوسَّدُ
روحُ إلهِ الكون ارسلها الى جسد الفنا نورًا بهِ يتوقدُ
فتقود ذاك الجسمَ في طرق الهُدى وترى لهُ الحقّ المبين وترشدُ
حتى اذا كملت مواعيدٌ لها نادى بها عودي اليَّ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجنت بهِ بحياتهِ والى السعادة تقصدُ
حتى اذا تمَّ المعادُ وقد أتى يومٌ بهِ كل الخلائق تُحشدُ
تعطي الى رب العباد حسابها في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولها من ساعةٍ ان لم تكن فيها الفضائلُ تعضدُ
وتبيت مع طغمات اجناد العلا تجثو الى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعشعَ نورُهُ وتسبّح الربّ العظيم وتحمدُ

ولهُ تهنئة في عام جديد:

أتى العام الجديدُ يزيد عامًا بتاريخ المحبَّة والودادِ
على قدر السنين اليك يُهدى تحيَّات السليم على بعادِ
اسرُّ بكل عام حيث فيهِ محبَّتنا تدومُ على اتحادِ
وان كنتُ البعيد فانَّ قلبي على طول المدى بين الايادي
او كلّهُ ينوب اليوم عني بتقديم التحيَّات الجدادِ

(المعلّم ابراهيم سركيس) هو اخو وطنيّنا الاديب خليل افندي سركيس صاحب مطبعة الآداب ومنشئ جريدة لسان الحال كان مولدهُ في اعبيه سنة ١٨٣٤

من عائلة مارونيَّة الَّا انهُ درس على المرسلين الامريكان فجنح الى مذهبهم وصار احد شيوخ الكنيسة الانجيليَّة في بيروت وعلَّم في احدى مدارسها ثم اشتغل عدَّة سنين في مطبعة الامريكان فاحكم صناعة الطباعة وتولَّى تصحيح المطبوعات ومبيع الكتب الى ان توفي في ١٠ نيسان سنة ١٨٨٥. وكان ذكي الفؤاد محبًّا للعلوم وقد نفع مواطنيهِ بعدَّة مؤلَّفات عربيَّة اخصُّها الدرّ النظيم في التاريخ القديم والدرَّة اليتيمة في الامثال القديمة وصوت النفير في اعمال اسكندر الكبير والاجوبة الوافية في علم الجغرافية واوضح الاقوال في متاف الصحَّة والصيت والمال وتحفة الاخوَين الى طلبة اللغتين (عربي وانكليزي) ولهُ تآليف اخرى دينيَّة وكان ينظم ايضاً فمن منظوماته ترانيم روحيَّة في مجموع اغاني البروتستانت. هذه ترنيمة منها في الحرب الروحيَّة:

١ هلمَّ جميعًا قريبًا بعيدْ فها صوتُ بوقٍ لاجل القتالْ
جنودُ الاعاديّ نراها تزيدْ فهاتوا سلاحًا لذاك النزالْ

قرار

مرنّمين نحن مرنّمينْ سيفكم احملوا هاجمينْ
هوذا الحربُ شديد طويلْ سيروا بقوَّات ربّ اسرائيلْ

٢ عدوّي امامي بصفّ القتالْ فأثبتُ لا عن طريقي أحيدْ
ونغمتُنا قوَّتي ذو الجلالْ فسيروا بايمان عزمٍ وطيدْ...

(اسكندر ابكاريوس) وتوفي في هذه السنة ١٨٨٥ كاتب آخر اصاب بعض الشهرة في اوربَّة فضلًا عن الشرق بمنشوراتهِ العربيَّة اعني بهِ اسكندر اغا ابكاريوس وكان ابوهُ يعقوب بن ابكار ارمنيًّا غريغوريًّا ذا شأن يسكن بيروت فلمَّا مات أرَّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٤٥ بقوله:

مضى الى الله من طابت سريرتهُ بالله وهو بعَفو الله مصحوبُ
فقُل لمن جاء بالتاريخ يطلبهُ قد صار في حضن ابراهيمَ يعقوبُ

ونشأ ابناهُ اسكندر ويوحنا على حبّ الآداب منذ حداثتهما وجال اسكندر في انحاء اوربَّة ثمَّ عاد الى بيروت واشتغل بالتأليف ثم دخل مصر وخدم اصحابها ومدحهم فاجازوهُ بتقليدهِ عدَّة مناصب. توفي اسكندر في اواخر سنة ١٨٨٥. ولهُ مصنَّفات مفيدة انبأ في تآليفها بحسن ذوقهِ وكثرة مطالعتهِ منها كتابهُ «نهاية الارب في اخبار العرب» طبعهُ اوَّلًا في مرسيلية سنة ١٨٥٢ ثم زاد عليهِ وجدَّد طبعهُ في بيروت في

المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٧. وألَّف سنة ١٨٥٨ كتاب روضة الادب في طبقات شعراء العرب قرَّظهُ كثيرون من الادباء منهم الشيخ ابو حسن الكستي حيث قال من ابيات:

لله روضةُ آداب لقد جمعت اوراقُها ثمر الاخبار والسِيَرِ
ناهيك من طبقاتٍ شاد محكمَها اسكندرٌ فاحتوت من مبدَعِ الاثرِ

ومن اثارهِ الادبيَّة كتاب نزهة النفوس وزينة الطروس. ولهُ ترجمة ابراهيم باشا دعاها المناقب الابراهيميَّة والمآثر الخديويَّة وكلُّها مسجَّعة يتخلَّلها الشعر. ومثلها ايضاً المآثر الخديويَّة ووزراء الحكومة المصريَّة نشرها في اعداد الجنان سنة ١٨٧٤. ولهُ تاريخ مخطوط في المكتبة الخديويَّة (٥: ١٧١) قدَّمهُ لمصطفى فاضل باشا وسمَّاهُ نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان. ومن شعرهِ قولهُ يهنئ الخديوي سعيد باشا لمَّا زار بيروت سنة ١٨٥٩:

شرَّفتنا فتزيَّنت اقطارنا وزهت معالمها وطاب الموردُ
وتنوَّرت بيروت حتى اصبحت من نور مجدك كوكبًا يتوقَّدُ

وقال يمدح ابراهيم باشا:

همامٌ كان في الدنيا فريدًا وركنًا في المهمَّات العظامِ
ولا زالت وقائعهُ المواضي مخلَّدةً على طول الدوامِ
وقائع لو رآها الطفل يومًا لشاب لهولها قبل الفطامِ

وقال في محمد توفيق باشا اذ كان ولي العهد:

يا من بهِ آمالنا تتعلَّقُ ونفوسنا للقائهِ تتشوَّقُ
فيك الفضائل واللطائف والتُقى والمكرماتُ وكلُّ حسنٍ يُرمَقُ
لم تجتمع فيك المحاسن انما منك المحاسنُ كلُّها تتفرَّقُ
تاهت بكم مصر السعيدة عزَّةً وغدا جبين العصر فيكم يشرقُ
لا زلت للقصَّاد احسن كعبةٍ وطريقَ رزقٍ بابهُ لا يُغلَقُ
واسلم ودُمْ في غبطةٍ وسعادةٍ ونداك مأمول وانت موفَّقُ

امَّا (يوحنا ابكاريوس) اخو اسكندر فانَّهُ عاش بعده الى سنة ١٨٨٩ وتوفي في سوق الغرب في لبنان وقد جارى اخاهُ اسكندر بتآليفهِ منها كتاب قطف الزهور من تاريخ الدهور طُبع غير مرَّة في المطبعة الامركيَّة وقد تأسَّفنا لكون مؤلفهِ ضمَّنهُ بعض الفصول التي تحطُّ من شأن الكنيسة. ولهُ كتاب نزهة الخواطر جمع فيه عدَّة

اخبار ومقاطيع ادبيَّة وقصص شائقة فطبعهُ سنة ١٨٧٧ . ومن آثاره معجم انكليزي عربي مطوَّل اختصرهُ لطلبة المدارس وقد عرَّب ايضاً للاميركان بعض كتبهم الدينيّة

(اديب اسحاق) كان من الطائفة الارمنيَّة الكاثوليكية دمشقي الاصل وُلد في اوائل سنة ١٨٥٦ في الفيحاء وتعلَّم في مدرسة مرسليها اللعازريين الفرنسويَّة والعربيَّة ثم أُغرم بالكتابة والانشاء ونظم الشعر منذ ربيع شبابهِ وقدم بيروت واجتمع بقوم من شبَّانها العصريين فنزع منزعهم واشتغل بالسياسة والتأليف ثم انتظم في سلك جمعيَّة انشأها الماسون سنة ١٨٧٣ وكان المترجم من اخصّ اعضائها العاملين وقد الغتها الحكومة مدَّة لتطرُّف اصحابها وطعنهم في الحكومة والدّين كمألوف عادتهم . ثم تولَّى تحرير جريدة التقدُّم فضمَّنها فصولًا ثوريَّة دحضتها جريدة البشير . ثم تنقَّل بعد ذلك فسافر الى فرنسة ثم عاد الى مصر وكتب في عدَّة جرائد وانشأ جريدة مصر ولمَّا حدثت الثورة العرابية انكفأ الى بيروت وسكنها مدَّة ثم بارحها الى مصر وحرَّر في جرائدها الى ان أُصيب بداء السلّ فاقفل راجعاً الى سواحل الشام ولم يلبث أن توفي في قرية الحدث قريباً من بيروت سنة ١٨٨٥ ودُفن دفناً مدنيًّا . وكان اديب اسحاق سلس القلم سريع الخاطر ذاق اللسان الَّا ان مجاهرتهُ بمعاداة الدين واتّباعهُ للتعاليم الماسونية اظلما عقلهُ وافقداهُ اصالة الرأي وسداد الفكر في امور كثيرة . وكان انشاؤهُ عصريًّا يتشبَّهُ فيهِ بانشاء كتبة الفرنج وها نحن نذكر من نثرهِ فقرةً كتبها في « الجزويت » تفكهةً للقرَّاء وبيانًا لما اقرَّ بهِ من صفاتهم وهو الدُّ اعدائهم

ما ادراك وما رهبانيَّة الجزويت ? طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف او يزيدون (اليسوعيون اليوم ستَّة عشر الفًا) . . . وهم اهل العلم والسياسة (كذا) والذكاء والاجتهاد والهمَّة والفضل والثبات والبأس لا يعارضهم في ذلك معارض ولا يُدرَك شأوهم فيهِ . يُنشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون الغوامض ويستخرجون اسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض واصلين بياض النهار وسواد الليل سعيًا في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحّشين وتمدين الاقطار وجمع آثار المعارف

ثم شوَّه هذه المحامد بما اضافهُ اليها من تُهم اعداء الجزويت جعلها على لسانهم مع كونها مضادَّة تماماً للفقرة السابقة فنقل عن اولئك الخصوم ان الجزويت « يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحلّلون القتل » الى غير ذلك من الترّهات التي تُضحك

الشكلي وابطلها الكاتب من حيث لا يدري بنسبتها الى اعداء الدين فقال:

وذلك بعض ما يدَّعيه اعداء الجزويت وما اعداؤهم بقليل فان فرقة البروتستانت وهي الوف الوف وجماعة الماسون واهل حريَّة الضمير اي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تمثَّل لهم الجزويتي في الماء لما وردوهُ وان كانوا ظماء

وكأنَّ بالكاتب احسَّ ما في نقل مثل هذه السفاسف من العار فالقى التبعة على القائلين كأنَّ الناقل لا يحتاج الى التروّي في صحّة ما ينقلهُ لاسيما بعد مدحهِ الجزويت واقرارهِ بما عرفهُ فيهم من «الفضل والهمّة والثبات وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين»:

وانَّا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضهِ ولا تبعة علينا في الحكاية وانما نحن ننقلهُ وليس على الناقل من سبيل

ولأديب اسحاق شعر حسن نختار منهُ قولهُ في وصف المرأة:

حسبَ المرأةَ قومٌ آفةً مَن يدانيها من الناس هلكْ
ورآها غيرُهُمْ أُمنيَّةً ملكَ النعمةَ فيها مَن ملَكْ
فتمنَّى معشرٌ لو نُبِذت وظلام الليل مشتدُّ الحلَكْ
وتمنَّى غيرهم لو جُعِلت في جبين الليث او قلب الفلَكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ حاكمٌ في مسلك الحقّ سلَكْ
انَّما المرأة مِرآةٌ بها كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتَها واذا أصلحتَها فهي ملَكْ

وقد جمع الاديب جرجس افندي نحَّاس منتخبات من انشاء الاديب فطبعها بكتاب دعاهُ الدرر. وللمترجم غير ذلك من التآليف لاسيما روايات عرَّبها او صنَّفها كاندروماك ورواية الباريسية الحسناء

(الياس صالح) توفي ايضاً في سنة ١٨٨٥ في اواخر شهر تشرين الاوَّل . وهو الياس بن موسى بن سمعان صالح ولد سنة ١٨٢٩ في اللاذقية وكان من طائفة الروم الارثودكس وبعد درسهِ مبادئ العلوم في وطنهِ تمكَّن بكدهِ وذكاء طبعهِ وثباتهِ من التاليف ونظم الشعر. وسافر الى مصر ومدح حضرة الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ بقصيدة مطلعها :

البِشرُ في قطر مصرٍ فاح عاطرهُ واليُمن قد نوَّرت فيهِ ازاهرهُ

يقول فيها:

ربُّ المكارم اسماعيلُ من شرُفت بهِ المعالي وزانتها مفاخرُهُ
مولًى عليٌّ اثيلُ المجد باذخهُ شديدُ عزمٍ سديد الرأي باهرُهُ
منيفُ فضلٍ وريفُ العدلِ ناشرُهُ كثير حلم غزير الجودِ زاخرُهُ
همومُ كل كئيبٍ فهو فارجها وكسرُ كل كسيرٍ فهو جابرُهُ
ركابهُ السعدُ بالاقبالِ يخدمُها وجيشهُ الله أنّى سار ناصرُهُ

كانت وفاة الياس صالح في وطنهِ وأبقى من بعدهِ آثارًا منها نظم المزامير ونبذة في تاريخ اللاذقية ولهُ ديوان شعر لم يُطبع. وكان متقنًا للغة التركية فعرَّب بعض تآليفها كالدستور الهمايوني وقوانين الدولة

وللياس المذكور سميٌّ آخر عُرف مثلهُ بالياس صالح من ملّتهِ ولعلّهُ من قرابتهِ اشتهر بعدهُ بقليل. ولد في بيروت سنة ١٨٦٩ وقيل ١٨٧٠ وتلقّى العلوم في الكليَّة الاميركانية ونبغ في العربية الّا ان الموت لم يسمح لهُ بخدمة الآداب زمنًا طويلًا فقصفتهُ المنية غصنًا رطبًا في ٢ حزيران سنة ١٨٩٥ وكان سافر الى مصر فكتب في جريدة المقطَّم ولهُ قصائد كثيرة وكان سلس النظم مبتكر المعاني يقول الشعر عفوًا وكان حرّ الافكار يجاري في ذلك بعض المحدثين. ولهُ قصيدة في الحريّة مزج فيها الغثَّ بالسمين. ومن اقوالهِ الزهديّة الحسنة ما ورد لهُ في جملة موشّح:

يا إلهي من ذنوبي والخطا مُلئَ الدلْوُ اعقد الكُرَبْ
وفدَ الشيب بفودي وخطا واحاطت بي دعاوي الكَرَبِ
يا مليكي في يدي قد سُقِطا وانا بعدُ انا لم أتُبِ
انمَّا في دم فادي الأُمَّا ارتجي تطهير كل الدنسِ
فهو عوني كلّما الخطبُ طما وادلهمَّ الهمُّ وسط الحندسِ

ومن ظريف قولهِ لغزٌ في اسمهِ (الياس صالح):

أفصح لنا يا صاحبي ولك منّا المنَنُ
ما اسم فتى تفسيرهُ قطعُ الرجاء حسَنُ

ولهُ في ذمّ النحو متفكّهًا:

ما ذا الذي يهمّني ان قامَ زيدٌ او قَعَدْ
او ان ذهبتُ ماشيًا او راكبًا نحو البلَدْ
او كان زيدٌ مبتدًا او فاعلًا سدّ المسدّ
او ان يكُنْ ذا الاسمُ يُبنى م او يَكُنْ هذا يُعَدّ
تصالح الفعلان او تنازعا طول الابدْ

في النحو لا تقهرُني الّا تفاصيل العدَدْ
وافعل التفضيل كم قد شذَّ فيهِ وشرَدْ
وغيرُ هذي عُقَدٌ تبًّا لماتيك العُقَدْ
ترى بها قواعدًا بدون معنًى وزَبَدْ
مختومةٌ جميعها بِقِيس عليهِ ما ورَدْ

وقال يصف سفينةً سافر عليها :

تلك السفينةُ بسم الله مجراها على دموعيَ مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيرانُ موقدةٌ مثلي كأنَّ هوى الاوطانِ اشجاها
سكرى تميد بمن فيها فتسكرهم وهمًا فكيف اذا ذاقوا حُميَّاها
وليس بدعٌ اذا سارت بنا مرحًا فتلك جاريةٌ يهتزُّ عطفاها
هيفاء لكنَّها بالقار قد خُضبت كالخود يُخضَب بالحنّاء كفّاها
سلطانةُ البحر اذ ترسو يحيط بها من القواربِ جندٌ من رعاياها
وان سرت نشَرت أعلامها وشدا صوت البخار لها والموج حيَّاها
طورًا تُرى في قرار اليمّ غائصةً وتارةً فوق هام السحبِ تلقاها
لم انسَ ليلة بتنا والرفاقُ بها نرى النجوم ولو شئنا مسسناها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا شيءٌ سوى الماء يغشانا ويغشاها

(انطون صقّال) هو ايضًا احد رجال النهضة الادبيَّة التي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولد في ٣ آذار سنة ١٨٢٤ وتوفي في الشهباء في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٨٥ . اقبل على الآداب صغيرًا وتعلم اللغات الشرقيَّة والاوربيَّة في مدرسة عين ورقة ثم في حلب ومالطة . وخدم في هذه الجزيرة المعارف زمنًا طويلًا ثم رافق الجنود الانكليزيَّة في حرب القريم بصفــة ترجمان اوَّل سنة ١٨٥٤ . ولهُ مراسلات نثريَّة ومنظومات شعريَّة ومقالات ادبيَّة تنوّه بفضلهِ ووفرة اطّلاعــهِ على دقائق اللغة . ولهُ ديوان شعر اكثرهُ حكم لم يُطبع . وقد نشر منهُ شيئًا نجلــهُ الاديب ميخائيل افندي صقّال في كتابهِ السَّمَر في سكّان الزهرة والقمر وهو على شكل رواية فلسفية ضمَّنهُ رؤيا خيالية شخَّص فيها والدهُ بعد وفاتهِ نازلًا من مقامهِ في الزهرة ليُعلمهُ ما يجري في العالم الآخر وقد ادَّعى فيها الكاتب بعض المدَّعيات الغريبة التي تبعد عن التصديق او قل انَّها تمويهٌ وتلفيق لولا كونها من اضغاث الاحلام . وممَّا روى في كتابهِ لوالدهِ من الشعر قصيدتهُ العينية ومنها :

تدورُ بيَ الأسواءُ لم أدرِ ما أُتِّي • وما ليَ اسعافٌ بذي الدار من عَين (١
ودهري وقد انفقتُ دينارَ حظّهِ • يطالبني بالاصل منهُ وبالعَين (٢
فيا ايُّها الدهر الخؤونُ ألا ارتدع • على انني ما بعتُك العَينَ بالعين (٣
فمين الهوى دمٌ وآخرُهُ دمٌ • ومعظمهُ ليلٌ فما فيهِ من عينِ (٤
لعمري هم الاعيانُ بالعينِ خُضَّعٌ • جُثِيًّا على عينٍ (٥ اذلّاء للعَين (٦
وفيّين في المكيال والعينُ (٧ شأنهم • يجودونَ بالارواحِ فضلًا عن العينِ (٨
يروّون في حقل الاماني بذورَها • بتسكاب دمع سال كالماء من عينِ (٩

ولهُ قولهُ:

كم اراعي النذلَ حلماً • وهو مشتدُّ الخصامْ
وأُلين القول لطفاً • وهو فظٌّ في الكلامْ
جازِ من جازاك يا م • قلبي بقطعٍ وانصرامْ
واعتزلْ من خان عهداً • واخلُ من سوء اتّهامْ

(نوفل الطرابلسيّ) هو نوفل نعمة الله نوفل ولد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ من اسرة وجيهة. ولمّا ترعرع رافق والدهُ في خدمة محمّد عليّ باشا الى مصر فدرس على اساتذتها ثم عاد الى الشام سنة ١٨٢٨ و بعد سنتين قتل والدهُ ظلماً ابراهيم باشا وكان خُدع بوشاية اعدائهِ ثم عرف غلطهُ فقدّم نوفل ابن المرحوم وقلّده عدّة مناصب في بيروت وطرابلس الى ان استقال من الخدمة وتعيَّن كترجمان لقنصليّتي المانيـة واميركا في وطنهِ. وقضى بقيّة عمرهِ في التأليف الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٨٧. ولهُ تآليف حسنـة تشهد لهُ بسعة علومهِ وتنقيبهِ. طُبع منهـا كتاب زبدة الصحائف في اصول المعارف وسوسنّة سليمان في اصول العقائد والاديان وصنّاجة الطرب في تقدُّمـات العرب وهو اعظمها فائدة. ونشر عدّة مقالات في جرائد بيروت ومجلّاتها لاسيما الجنان. وقد عرَّب عن التركية كتاب قوانين المجالس البلديّة وكتاباً في اصل ومعتقدات الأمّة الشركسية وكتاب حقوق الامم وكتاب دستور الدولة العلية في جزئين نال عليهِ جزاءً من الدولة

ومن انسباء نوفل نعمـة الله المذكور (سليم دي نوفل) ولد في طرابلس سنة ١٨٢٨ و بعد ان احرز جانباً من مبادئ اللغة والعلوم في وطنـهِ تعيَّن وكيلًا لشركة

١) واحد الاعيان للاخوة من ابّ وامّ واحدة ٢) الربا ٣) اي حاضرًا بحاضر
٤) الشمس او شعاعها ٥) نقرة الركبة ٦) النظر
٧) الميل في الميزان ٨) الدينار ٩) ينبوع الماء

البواخر الروسية ثم ترك الوكالة وسافر الى اوربّة وعاين التمدُّن العصريّ في انكلترة وفرنسة . وبعد عودته الى مسقط رأسهِ اكبَّ على الدرس والمطالعة ونقل الى العربية رواية المركيز دي فونتانج فطبعها سنة ١٨٦٠ وبقي على ذلك مدَّة الى أن انتدبتهُ الدولة الروسية باشارة قنصلها في بيروت الى تدريس العربية في كلّيّة بطرسبورج فشخص اليها مع اهلهِ واقام فيها الى سنة وفاتهِ في خريف سنة ١٩٠٢ بعد ان حصل في عاصمة الروس على عدَّة امتيازات نالها بفضلهِ وسعة معارفهِ ومصنَّفاتهِ حتى نُظم في جملة مستشاري الدولة وكان يعرف لغات متعدّدة يكتب فيها ويتكلَّم بفصاحة ولاسيما الفرنسويَّة ومن مصنَّفاتهِ بالفرنسويَّة سيرة محمَّد صاحب الشريعة الاسلامية وغير ذلك . وكان ينظم في العربية ومن شعرهِ رثاؤهُ لوطنيه وصديقهِ سليم دي بسترس السابق ذكرهُ فقال عند نقل رفاتهِ الى وطنهِ ليدفن في ضريح اسرتهِ :

العيدُ وافى يا سليمُ الى ما هذا التنائي عن الديار الى ما
ما حظُّنا فيهِ التهاني وانما اهدي اليكَ من الدموعِ سلاما
هاجت شجوني بعد موتك كلُّها واسودَّ عمري حاضرًا وأماما
اقفرتَ قلبي والديارَ كلاهما اضحى ببعدك يا سليمُ ظلاما
ابكيكَ لا اسفَ الحياة فانَّها حلمٌ تبطَّنَ جوفهُ احلاما
ابكيكَ لا اسفًا لفقد شبيبةٍ مرَّت كما خرق الشعاعُ غماما
أجلُ الزهور موقَّتٌ بصباحها وكذا الملائك لا تطيلُ مقاما
لكنَّني ابكي السماحةَ والنهى ابكي العُفاةَ اذا اتوكَ زحاما
ابكي الفقير على ضريحكَ واقفًا يذري الدموع على الخدود سجاما
ابكي اليتيم وقولهُ اين الذي كنَّا نقبّل كفَّهُ اكراما

وختمها بقولهِ :

اعجزتَ شعري يا سليمُ فلا تَلُمْ هذه دموعي فلا تسلْني كلاما

وقد عُرف من أُسرة نوفل غير المذكورَين كمريم نحَّاس نوفل المتوفَّاة في ٢ نيسان سنة ١٨٨٨ أَلَّفت كتاب معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء طُبع قسمهُ الاوَّل في مصر سنة ١٨٧٩ . وكالياس افندي نوفل من شعراء العصر المجيدين وشعره متفرّق لم يُجمع بعد . فمن ظريف قولهِ ما رثى بهِ سليم دي بسترس :

تلدُ الليلة البهيمةُ خطبًا كلَّ آنٍ ولم تزل منهُ حبلى
جاء بالبرق صعقة الرعد تدوي خبرًا منهُ امطرَ الجفنُ وَبلا

بعزيزٍ بماجد بأميرٍ قد فُجعنا ونحن بالشوق نَصْلى
قُل لوحش المنون بِكفاكَ ظالماً قد عادى جفاكَ فتكاً وقتلا
خير شهمٍ اضعتَ من خير آلٍ لو بألفٍ فديتَــهُ قلتُ قلّا

وختمها بهذا التاريخ :

ربّهُ قال يا عباديَ صبرًا مثل هذا الامين اخترت عدلا
جنّتي بالصلاح ارَّختُ تُرجى مَن اتاني سليم قلبٍ تولَّى (١٨٨٣)

(ميخائيل مشاقة) ومن المتوفّين في السنة ١٨٨٨ الدكتور ميخائيل مشاقة كان مولدهُ في رشميّا سنة ١٨٠٠ من عائلة كاثوليكيَّة ملكيَّة وكان ابوهُ من المقرَّبين الى الامير بشير الكبير فانتقل مع اهل بيتهِ الى دير القمر فلمَّا انس في ولدهِ الذكاء خرَّجهُ في مبادئ اللغة والحساب ومسك الدفاتر ثم درس الفتى على خالهِ بطرس عنحوري شيئاً من العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة والفلكيَّة ورافقهُ بعد مدَّةٍ الى دمياط واشتغل بالتجارة وكان في اوقات الفراغ يتعاطى الآداب ويدرس الرياضيَّات والموسيقى والطبّ فنال من كلّها حظّاً ورجع الى وطنهِ وخصّ نفسهُ بالطبابة والجراحة مع كونهِ لم يدرس الفنّين في مدرسة ولم يزل يمارسهما حتى امكنهُ ان يحضر دروس مدرسة القصر العيني في مصر سنة ١٨٤٥ فقدَّم فيها فحصاً احظاه بالشهادة الرسميَّة سنة ١٨٤٦ . ثم استوطن دمشق مع اهلــهِ وتعيَّن فيس قنصلًا للولايات المتحدة فيهـــا . وكان ذلك خصوصاً بمساعي المرسلين الامريكان الذين اجتذبوه الى دينهم فجاهر بالبروتستانيَّة سنة ١٨٤٨ وصوَّب السهام الى اهل دينهِ وملّتهِ فقام بينهُ و بين الكاثوليك جدالٌ طويل لم يزده الّا عناداً فبقي على مذهبهِ الجديد الى وفاتهِ في ٦ تموز من السنة ١٨٨٨ . وكان الدكتور مشاقة ذاق اللسان سهل الانشاء لكنهُ كان ركيك العبارة قليل البصيرة في التاريخ والفلسفة كثير الثقــة بنفسهِ وكان يتعقَّب آثار الملحدين كفولتار وفولناي فحذا حذوهم . ولهُ كتب مختلفة خلا الكتب الجداليَّة السابق ذكرها منها كتاب « الجواب على اقتراح الاحباب » ضمَّنهُ حوادث بلادهِ منذ اواخر القرن الثامن عشر الى زمانهِ وقد اتّسع في حوادث سنة ١٨٦٠ التي كاد يذهب هو ضحيّتها ونجا منها بأريحيَّة الامير عبد القادر وكذلــك افاض في تاريخ اسرتهِ . وهذا الكتاب قد طُبع في مصر مؤخرًا بعد ضبطهِ وتنقيح انشائهِ الضعيف على يد الاديبين ملحم عبدو واندراوس شخاشيري فسمَّياه مشهد الاعيان بحوادث سوريّا

ولبنان . ومنها رسالتهُ المعنونة الرسالة الشهابيَّة في قواعد الحان الموسيقى العربيَّة . التي نشرها في المشرق (٢ : ١٤٦ الخ) حضرة الاب لويس رنزفال وعلّق عليها الحواشي ثم طبعها على حدة مع التصاوير وله كذلك التحفة المشاقيَّة في علم الحساب . وكتاب المعين على حساب الأيام والاشهر والسنين

(ابراهيم بك كرامة) هو ابن بطرس كرامة شاعر الامير بشير الذي مرَّ لنا ذكر ترجمتهِ (ج ١ ص ٥٤-٦١) جرى صغيرًا على آثار والدهِ وبرع في العربيَّة ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر الى الاستانة وتوظَّف في جملة عمَّال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعيَّة . ومن ظريف ما مُدح بهِ ابراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيهِ لَمَّا رحل الى القسطنطينيَّة ليستلم مأموريَّتهُ :

خلتِ الديارُ فلا كرامةَ عندها ... تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُعتَفي
هيهاتِ انَّ ابن الكرامة حلَّ في ... دار الخلافة بالمقام الاشرفِ
سبحان ذي العرش المجيد فقد بدت ... في شخص ابراهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلى بنار فراقهِ قلبي ولا ... بَردٌ هناك ولا سلامَ فتنطفي
ذاك الكريمُ ابن الكرام ومَن لهُ ... الذكر الشهيرُ ومن لهُ اللطف الخفي
ورث الكرامة عن ابيهِ وجدّهِ ... لكنَّهُ بتليدها لا يكتفي
شهدتْ لهُ الاتراك بالفضل الذي ... شهدت بهِ الأعراب دون تكلُّفِ
قد نال ما هو اهلُ ما هو فوقهُ ... فأنظر لأيهما الهناءُ وأنصفِ

ثم عاد ابراهيم كرامة الى وطنهِ واعتزل الاشغال وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٨٨٨ . فقال يؤرخ ضريحهُ جناب الاديب فيليب دي طرّازي :

مثوًى غدا في حماهُ الانَ مضطجعًا ... مَن كان في قومهِ من اكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ ... في الشعر والنثر والتدبير والرشدِ
بعلمهِ عَلَمٌ قد زانهُ عَمَلٌ ... برأيهِ غُرَّةٌ في جبهة الاسدِ
بنو كرامةَ قد ناحوا عليهِ كما ... عليهِ ناحت ديار العرب من كمدِ
مضى واحرفُ تاريخٍ لنا رقمت ... حُيّيت يا قبرَ ابراهيمَ للأبدِ (١٨٨٨)

وكان ابراهيم بك كرامة مغرمًا بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصرهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلّال وكان ينظم النظم الحسن ولهُ ديوان لم يطبع فمن قولهِ بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الاستانة سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) :

نُشرت صحيفتنا السلام ونشرُها ۔ قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضنَّ بالخبر الصحيح مؤرخٌ ۔ يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمُ

ويروى لهُ في فتاة لبست ثوبًا ورديًّا :

وردِيَّةُ الخدّ بالورديّ قد خطرت ۔ تميسُ تيهًا وتثني القدَّ إعجابا
لم يكفِ قامتَهـا الهيفاء ما فعلت ۔ حتى اكتست من دمِ الطلّاب اثوابا

(الكونت رشيد الدحداح) وفي هـذه المدَّة انطفأ سراج حياة احد وجهاء اللبنانيين في فرنسة . اعني الكونت رشيد الدحداح . وليس هو اوَّل من امتـاز بين المشايخ الدَّحادحة بذكاء عقلهِ وآدابهِ في القرن التاسع عشر . فان تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرةً في دواوين الكتَّاب كالشَيخ سلّوم الدحداح واخيهِ الشيخ ناصيف كاتبي الامير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملي الامير بشير . وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلّوم مدبّر الامور في لبنـان مدَّةً (توفي سنة ١٨٦١) . وكالشيخ امين الدحداح رئيس الكتبة عند الامير حيدر ومؤلف تآليف ادبيَّة منها رسائل وحكم ومراثٍ . وكالشيخ يوسف ابنهِ من شعراء زمانهِ توفي قبل والدهِ سنة ١٨٥٠ وغيرهم من فرسان القلم

الَّا ان الشيخ رُشَيد فاق الجميع . ولد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة . وفي سنة ١٨٣٨ اختارهُ الامير امين الشهابي ابن الامير بشير كاتبًا لاسرارهِ . ثم خدم لبنان في مناصب شتَّى لولا انَّهُ وجد في وطنهِ من سوء المعـاملات واسباب العداء ما حملهُ الى ان يتغرَّب في البلاد فانتقل الى مرسيليـة سنة ١٨٤٥ في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد الى سوريَّة بعد فتحـهِ هناك محلاًّ تجاريًّا فرافقهُ الشيخ رشيد واقترن بابنتهِ وشاركهُ في الشغل الى السنة ١٨٥٢ حيث فتح محلاًّ تجاريًّا لحسابهِ مع اخيهِ سلّوم . لكنهُ بعد حين انقطع الى خدمة العلم والآداب معرضًا عن التجارة فأنشأ جريدة برجيس باريس وحظي لدى الحكومة الفرنسويَّة ثم اتَّسعت شهرتهُ بين الادباء واتَّصل بباي تونس لمَّا حضر الى باريس سنة ١٨٦٢ فمدحهُ بلاميَّتهِ التي نشرناها في المشرق (٥ : ١٥٥) وعارض فيها لاميَّة كعب بن زهير فاجازهُ عليها الباي واتَّخذهُ كترجمانهِ الخاصّ وقلّدهُ الامور الخطيرة في دولتهِ

ثم عاد الكونت رشيد الى باريس وابتنى فيها قصرًا بديعًا واقتنى قرية دينـار في

مقاطعة برطانية فاجال فيها يد العمارة وشيَّد فيها دارًا فخيمة سكنها مع اهلهِ ولم يزل في آخر حياتهِ يُعنى بالمطالعة والتأليف الى يوم وفاته في ٥ أيار سنة ١٨٨٩ . وللكونت رُشيد من الآثار الادبيَّة ما اكسبهُ اسمًا طيّبًا في الشرق والغرب معًا. فمن ذلك انَّهُ سعى بنشر معجم السيّد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بعد ان رتَّبهُ وهذَّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ . ثم طبع فيها ايضًا سنة ١٨٥٥ شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني وللسيّد عبد الغني النابلسي . وهما الشرحان اللذان اعاد طبعهما المسمَّى محمد السيوطي في المطبعة الخيريَّة في مصر سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وسكت عن اسم الكونت وانما اشار اليهِ اشارةً خفيفة لئلَّا يُعرَف متولّي العمل فدعاهُ « رشيد بن غالب المجتبي » . وكان الكونت اوَّل من نشر كتاب فقه اللغة الذي اعدنا بعد ذلك طبعهُ . ولهُ مقالات شتَّى سياسيَّة طبع بعضها على حدةٍ منها كتاب التمثال السياسي مع بيان احوال فرنسة في عهد نابوليون . ولهُ مجموعان احدهما يشتمل على اشعار حكمية جناها من كتب العرب يُدعى « طرب المسامع في الكلام الجامع » والثاني يتضمن مقالات ادبيَّة وفوائد لغويَّة يعرف بقمطرة طوامير طُبع في فيَنَّة سنة ١٨٨٠ . ولهُ غير ذلك ممَّا لم يزل مخطوطًا ونتمنَّى نشرهُ كمقالة واسعة في فنّ المناظرة دعاها « ترويح البال في القلم والمال » ولاسيما تاريخهُ الكبير الذي دعاهُ « السيَّار المشرق في بوار المشرق » وكان الكونت ينظم الشعر الجيّد كما يُستدلُّ عليهِ من قمطرتهِ ومن لاميَّتهِ التي ذكرناها . وممَّا انشدهُ في مدح نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ اذ كان في اوج عزَّتهِ ولم تُعرف غير سجاياهُ الطيّبة قولهُ من قصيدة:

الله اكبرُ مُعطٍ من يشاءُ فما … كلُّ المحاسنِ والاحسان في رَجُلِ
وليس ذا من غلوّ الشعرُ اذ ظهرت … للعين انوارهُ كالشمس في الحَمَلِ
فيهِ المجالُ وسيعٌ للمقال لذا … قد عاد بسطُ كلامي ضيّق الحِيَلِ
ذو همَّة لم يُثَبِّط عزمها خطرٌ … ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوكلِ
ولم يضعضعهُ هول الخَطب آونةً … ولم يَضق صدرهُ في حادثٍ جللِ
وبالنواصي قد اقتاد الذكاء لهُ … شهبَ الرئاسة فانقادت على عجلِ
وفي السياسة كم ابدت براعتهُ … حذقًا بهِ عادت الحُذَّاقُ في فشلِ

وختمها بقولهِ:

ابقاكَ الله يا فخر الورى فلكًا … للسِلمِ والأمن والاقبالِ والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (١٨٩٠) فُجعت الطائفة المارونيَّة بوفاة شقيقهِ السيّد نعمة الله الدحداح مطران دمشق الذي اشتهر بفضائلهِ الاسقفيَّة اكثر منهُ بآثار قلمهِ. وبهمَّتهِ نال من افضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونيَّة في رومية (١

(اسعد طراد) هو اسعد بن ميخائيل طراد من أُسرةٍ شائعة الفضل في هذه الاصقاع ومن نخبة شعراء سوريَّة. ولد في بيروت سنة ١٨٣٥ وتخرَّج في حداثتهِ في مدرسة عبيه الامركانيَّة ثمَّ تردَّد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ واجتمع بأفضل اساتذة العربيَّة في عهدهِ حتى أتقن العلوم اللغويَّة ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليهِ وكان يقولهُ بديهًا. خدم عدَّة سنين الدولة العليَّة بنشاط ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٧٢ وتعاطى في انحائها التجارة الى وفاتهِ سنة ١٨٩١. ولهُ شعر كثير متفرّق جُمع معظمهُ في ديوان بعد وفاتهِ بهمَّة بعض انسبائهِ فطُبع سنة ١٨٩٩ في الاسكندريَّة. ولهُ غير ذلك من الآثار منها مقالات ادبيَّة نشرها في الجنان. ومن شعرهِ الذي لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في موت بعض الكرام:

يا ارحمَ الناس قلبًا عند نائبةٍ ... هلَّا رحمتَ عويل الصارخ الوجلِ
دارت عليك من الاقدار وا اسفًا ... كأسٌ قلتَ بها كالشارب الثَّمِلِ
هذا الشرابُ الذي لا بُدَّ منهُ لنا ... وليس تمنعُ منهُ كثرةُ الحيلِ
وكيف يجزع اهلُ الارض من حدثٍ ... جرى على انبياء الله والرُسلِ

ولهُ في نعمة الله طراد المتوفى سنة ١٨٥٥ ولم يُروَ في ديوانهِ:

ركنٌ لبيت طرادٍ مال منهدمًا ... يومًا وابكى جميع الاهل والغُربا
حاز التقى والرضا والبرَّ في دُعةٍ ... ورغبةَ الخير والاحسانَ والأدبا
مضى الى الله مبرورًا يحقُّ لهُ ... شكر على صفحات القلب قد كُتبا
كرامةٌ كلّ تاريخٍ مجوّدها ... لنعمة الله حقُّ الشكرِ قد وجبا

وقال يرثيهِ:

لا تخشَ ياقلبُ احراقًا من الألمِ ... أما ترى دمع عيني مغرقًا بدمِ
كلٌّ بكى نعمة الله التي فقدت ... منَّا وكم في الورى باكٍ على النعمِ

---

١) اقتطفنا هذا الفصل من ترجمة مطوَّلة للشيخ الفاضل والكاتب المحقّق سليم خطَّار الدحداح اثبتها في المشرق تحت العنوان «الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ» (المشرق ٤: ٣٨٥؛ ٤٥٦؛ ٤٨٩)

وهي قصيدة طويلة وجدناها في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة. ويليها ابيات ثانية ختمها بهذا التاريخ:

لمَّا خلا من ديارٍ كان يؤنسها فحزنهُ ما خلا من قلبِ عَيلتهِ
وبتُّ انشد تاريخًا بهِ ابدًا لا اعدم الله قلبًا فيضَ نعمتهِ (١٨٥٥)

وقد اشتهر من اسرة طراد شاعر آخر وهو (جبرائيل حبيب طراد) ويسمَّى ايضًا جبران ابا خير كان درس في المدرسة الوطنية في بيروت وتمكَّن من نظم الشعر الجيّد الذي لم يُعنَ بجمعهِ. توفي في سنة ١٨٩٢ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٤ فمن شعرهِ قولهُ يرثي اسبير يدون طراد ياور السلطان عبد العزيز المتوفى سنة ١٨٧٠:

ركنٌ هوى بديار اسلامبولَ اذ رجَّت لسقطتهِ المدائنُ والقُرى
لم يَحمهِ السيفُ الصقيلُ ولا الصبا والاهلُ والصحبُ الفطاحل والذُّرى
قد كان يحمي في حماهُ كتائبًا واليوم اضحى في المقابر اقفرا
من كان لا يرضى القصور مساكنًا سكن الترابَ فبات فيهِ معفَّرا
من كان غوثًا للفقير وعاضدًا امسى أضرَّ من الفقير وافقرا
ان غاب عن ابصارنا يبقى لهُ رسمٌ بطيّ القلب دام مصوَّرا
فعليهِ نعمةُ ربّهِ وسلامُهُ وعلى ثراهُ الغيثُ يُسكَب ممطرا

ومن قولهِ في ذكر محامد الفقيد سليم دي بسترس:

على انهُ قد كان احرى بنا بأن نغبّط مَن مثل السليم نما سعدا
حصيفٌ قضى دنياهُ في خوف ربّهِ فحدّثْ ولا تطلب لأفضالهِ حدًّا
فكم غاث محتاجًا وأطعم جائعًا وعاد اخا سُقمٍ فأوسعهُ رفدا
وكم من ايادٍ جاءها ومكارمٍ فكانت بجيد الدهر من فضلهِ عقدا
علا طيب جدواهُ على الورد نفحةً وذكرُ اسمهِ بالفضل قد زيَّن المجدا
جديرٌ بانَّ الفخر يشكو فراقهُ ومنهُ رواق الفخر قد كان ممتدًّا

(جرجس زوين) وفي السنة ١٨٩٢ في ٢٨ تموز كانت وفاة كاتب آخر بليغ من أُسرة مارونية فاضلة وهو جرجس زوين. تلقَّى المذكور كل دروسهِ عندنا في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم عدل الى الكتابة والتأليف فكان اوَّل محرّر لجريدتنا البشير فاقام على تحريرها نحو سبع سنوات ثم تولَّى تحرير جريدة لسان الحال وفي آخر حياتهِ جريدة لبنان. وكان كاتبًا مجيدًا متوقد الذهن سريع الخاطر واسع الاطّلاع. وقد عرَّب عدَّة كتب طُبعت في مطبعتنا كروايتَي وردة المغرب وفريدة المغرب وكتآليف دينية

منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب رواشق الافكار لأمبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقية بازاء المجمع المسكوني الفاتيكاني. وله تآليف ردّ فيهِ على الدكتور ميخائيل مشاقة لمّا اخذ هذا يطعن بالكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الردّ القويم على ميخائيل مشاقة اللئيم. وكان جرجس زوين احد اعضاء الجمعية السوريّة لهُ فيها خطب ومقالات منها خطبة في تاريخ سوريّة

(جبرائيل الدلّال) وفي هذه السنة عينها ١٨٩٢ ذهب ضحيّة آرائهِ الدستوريّة جبرائيل الدلّال. كان سليل اسرة حلبية عريقة في الادب وكان جدّهُ عبدالله ذا عزّ وجاه وتُقى فلمّا توفي سنة ١٨٤٧ ارّخ ضريحهُ بطرس كرامة بقولهِ:

لحدٌ ثواهُ ابن دلّال التقى فغدا ... برحمة الملك القدُّوس مغمورا
قضى الحياة على نهج الصلاح وقد ... لاقى المنيَّة مبرورًا ومشكورا
ناداهُ ربٌّ غفور اذ نؤرّخهُ ... نَلْ جنّة الخلد عبد الله مسرورا

ولابيهِ نصرالله آثار ادبية منها مقالاتهُ في المال والاعمال نشرها في الجنان وكان بيتهُ اشبه بمنتدى لعلماء وطنهِ يجتمع فيهِ الشعراء والادباء فمدحهُ بعضهم بقصائد غرّاء ولنصرالله كتاب فلسفة دعاهُ اثار التدقيق في اصول التحقيق. ولد جبرائيل بن نصرالله في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ ونشأ على آداب والدهِ ودرس في مدارس المرسلين في عين‌طورا وحلب وكان مغرمًا بالعلوم العصريّة فاحرز منها حصّة حسنة وانكبَّ على الفنون العربية ودرس آثارها نثرًا ونظمًا فصار من اوسع اهل وطنهِ معرفةً بآداب العرب. وسافر غير مرّة الى الاستانة وتعلّم فيها التركية وتجوَّل في الاقطار حتى بلغ اسبانية والبورتغال وبلاد الجزائر وحطّ عصا التسيار في باريس فحرَّر مدّة صحيفة «الصدى» لسان حال السياسة الفرنسويّة وصار ترجمانًا لوزارة المعارف وتعرّف في منصبهِ بكثيرين من اهل الوجاهة القادمين الى باريس. ثم استدعاهُ الوزير خير الدين باشا لما قُلّد منصب الوزارة الى دار السلطنة لينشئ فيها صحيفة السلام لكنَّ تلك الجريدة لم تلبث ان تُلغى بعد استقالة خير الدين باشا فطلبهُ المكتب العلمي في ڤيانّا ليدرّس العربية في كلّيتها ففعل مدّة سنتين. وصنّف هناك بعض المصنّفات منها رسالة في ملخّص التاريخ العام ورسالات لغويّة. ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٨٤ بعد تغيُّبهِ عنهُ نحو عشرين سنة. فبقي مدّة يتعاطى الآداب وهناك اجتمعنا بهِ سنة ١٨٨٧ ونقلنا بعض مخطوطات مكتبتهِ. وما كنّا لنظنّ

انَّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها. وكأن صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربة عرف ما تقتضيهِ بلاده من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ في سنة ١٨٩٢ وقيل انَّهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم. وكان بين جبرائيل الدلّال وبعض مشاهير العصر وشعرائهِ مراسلات ومساجلات. ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى. وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلّال وصفناهُ في المشرق (٦ : ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ. ولهُ فيهِ قصائد غرَّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران قال في جملتها في مدح السلم والعدل:

فالسلمُ اوفى واقياً ولثروة البلدانِ اوفَرْ
والعدلُ ان عمَّ المما لك شاد علياها وعَمَّرْ
والباقياتُ الصالحا تُ على مرور الدهر تُذكَرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي لهُ هناك من جواب الى صديق:

كتبتُ اعزَّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرّ النضيد ببهجتهِ. وازرى على رخيم التغريد بلهجتهِ. واني لأحقُّ بابتدائك بما ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلًا ولكن قُدّر لك عليَّ السبق وان تكون في كل شيءٍ اوّلا فلساني عاطر بشكرك. وقلبي عامر بذكرك. غبتَ او حضرتَ مررتَ او أقمتَ. فوالله لم اذكر ايَّام اللقاءِ ولذَّتها الَّا وطارت نفسي شعاعاً. ولا تخيَّلتُ ساعات الوداع وكربتها الَّا وزادني الشوقُ التياعاً. فان تأملتُ قصر مدَّة ألفتنا هاج بي الشوق آلاماً. وان تذكَّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً. واذا فكَّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاءُ الَّا مناماً

(سليم بك تقلا) وكأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومةً على الآداب العربيَّة فتوفي في اواسط تموز رجل لبنانيّ نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نريد سليم بك تقلا. ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما وكان روميًّا ملكيًّا كاثوليكيًّا فاستنشق ريح الآداب التي نمَّ شذاها في مسقط رأسهِ من الحديقة اليازجيَّة فدرس في صغرهِ في مكتب قريتهِ ثم دخل مدرسة اعبيه الاميركانيَّة الى سنة ١٨٦٠ حيث نزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَّة على المعلّم بطرس البستانيّ وابنهِ سليم وكان في كل تقلّباتهِ مثالًا لاقرانهِ يسبقهم بذكائهِ ورغبتهِ في احراز العلوم. ولمَّا أُنشئت سنة ١٨٦٥

المدرسة البطريركيَّة في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان رصيفاً للشيخ ناصيف اليازجي وكان يلقي عليهِ مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسي في الصرف والنحو دعاهُ مدخل الطلَّاب فاتخذتهُ المدرسة دستورًا للتعليم وزادت ثقة الرؤساء بهِ فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم . ثم اجتذبتهُ مصر لِما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فامَّها ورفع الى خديويها اسماعيل باشا قصيدة رنانة مهَّدت لهُ سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياتهِ بهمَّتهِ دورًا مهمًّا مع ما صادفتهُ في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابيَّة الَّا انَّ عزم محررها لم يُغلب بتلك العوارض بل زاد نشاطاً وعانى اعمال الصحافة الى وفاتهِ فتوفّي في بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنان تغييرًا للهواء وطلباً للشفاء من المٍ اصابهُ في القلب فلم يمهلهُ رجلهُ زمنًا طويلًا ونُقلت جثَّتهُ الى موطنهِ باكرام . وكان لسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم والدول الاجنبيَّة عدة رُتب وامتيازات شرفيَّة . وهو قد ابقى من آثار قلمهِ ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدّدة في الاهرام مجموعاً فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ . فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيَّة :

تلك الاساطيلُ فوق الغمر سابحةٌ	والغمرُ منها كسهلٍ وهي كالقُلَلِ
دانت لهيبتهـا الانواء خاضعةً	فحيثما قصدتْ حلَّت بلا مهلِ
خاضت عبابَ بحار الارض آمنةً	عَصْفَ الرياح وقَصْفَ الرّمي بالكللِ
اذا شكتْ سفُنُ الخصمِ العنيدِ ظما	نُزَّالها اوردتْهـا الماء للدَّقَلِ
وان تشامخ حصنٌ دُكَّ عن أُسُسٍ	ولو تطاولَ مرفوعاً الى زُحَلِ
تهابها الجنُّ ثمَّ الانسُ من بشرٍ	والنَّسر في الجوّ مثلِ الحوتِ في الوشلِ
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرةً	بند الهلال فصِفْ ما تبتغي وقُلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك ممَّا لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيَّة وروايات معرَّبة منها رواية مِتدريات ورواية أيوب البارّ . وهذه رسالة كتبها في تهنئة :

السيّد السند اطال الله بقاءهُ . لا ادري اي الثلاثة اهنّئ ايَّاك ام الرتبة ام نفسي امَّا انت فتساميك وان كُنتَ فوق ما نلتَ واما الرتبة فبتشرُّفها لأنَّها دون من سمت اليهِ واما انا فلأني اوَّل مُخلص لك وُدّك فتهنئتي بما أفتخر بهِ لك ويا حبّذا لو كان لي مداد برقي ويراع كهربائي

أفيك بهِ حقَّك من سروري ولعلَّ ما بين قلبينا يقوم هذا المقام عني فأقول:

فان أشككْ أُراجعْ فالدليل معي وان تشككْ فراجعْ فالدليلُ معكْ

ومن ظريف قولهِ في من عذلهُ على التدخين:

عذلَ التدخينَ قومٌ قد رأوا بيدي سيكارةً اعشقها
قال دعها فهي سمٌّ ناقعٌ قلت لا والله لا اعتقها
ان تكن سمًّا فاني محرقٌ شرَّها بالنار اذ أحرقها
وعليهِ فاعذلوا او فاعذروا فعلى الحالين لا أُطلقها
ان حلالًا او حرامًا اشربها فانا الصبُّ الذي يعشقها

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ (بشاره باشا تقلا) وكان ثنيانهُ في التأليف والعمل وتولَّى شؤون الجريدة بنشاط تسع سنوات اعرب في اثنائها عن همَّة عالية وعزم شديد استحقَّ بهما اعتبار الجميع فانقادت لهُ الدنيا عفوًا ونال كأخيه الانعامات. لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي في حزيران من السنة ١٩٠١ وهو في اوَّل كهولتهِ كاخيهِ لا يتجاوز عمرهُ ٤٨ سنة

(القانونيّ نقولا نقَّاش) هو نقولا بنُ اليـاس نقاش اخو المرحوم مارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١ : ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت. وكان مولد المترجم في هذه المدينة سنة ١٨٢٥ وجرى على آثار اخيهِ في طلب العلوم ودرس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليَّة. ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتها كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليَّة وتخرَّج في العلوم الشرعيَّة على مشائخ العلماء اخصهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريَّة واشتغل وقتئذٍ بالتأليف وعرَّب عن التركيَّة عدَّة كتب قانونيَّة واضاف اليها الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحليَّة بمثابة الترجمة الرسميَّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل. ونمت شهرة المؤلف بذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريَّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيَّة فنالت بتدبيرهِ ومقالاتهِ شهرة واسعة طول

حياته. وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى انطفأ تماماً. وكان المرحوم نقولا نقَّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهراً بايمانهِ كما تشهد لهُ بعض تآليفهِ كتكريم القديسين ومجموع صلوات تقويَّة. ولهُ من الكتب الادبيَّة خطب في مواضيع شتَّى سياسيَّة واجتماعيَّة ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيراً من المعاني الحسنة والاوصاف العصريَّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول ماء نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥:

يا اهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاءُ
هذا هو الماء جارٍ فَلْترتوِ منهُ الظماءُ
ماءٌ لذيذٌ شهيٌّ رِدُوهُ فيهِ الهناءُ
بيروت ضاهت دمشقاً وزال عنها العناءُ
فقل لمن عيَّرونا وقلَّةُ الماءِ داءُ
تعالَوا الآن تلاقوا ماءً وفيهِ النماءُ
سقياً لبيروت ارّخْ في ثغرنا حلَّ ماءُ (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر:

الله اكبرُ هذا عصرُ تجديدِ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الاكوان باسمةٌ تثني على اهلهِ الغرِّ الصناديدِ
ذيَّاك ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يلهجُ في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى العليا بخفّتهِ وذاك يخرقُ اجبال الجلاميدِ
ترى السفائنَ اعلاماً مدرَّعةً إن تصدم الحصنَ أَلقى بالمقاليدِ
ما البيضُ ما السُّمرُ إن أَلقت بمدافعها كُرَاتِها الحُمْرَ من أفواهها السُّودِ
كنا نخافُ من الأَفلاك صاعقةً أضحت من اليمِّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ اخبارُنا كالبرقِ مسرعةً تكاد تسبقُ فكراً غيرَ مولودِ
اضحت قوافلنا والنارُ تحملها تسير كالطير لا كالعيس في البيدِ
والله ما فعلُ قوَّات البخار سوى ضربٍ من السحر لكن للخير محمودِ
هي الطبيعةُ جلَّ الله مبدعُها الى الوجودِ بدت من عمق مفقودِ
كلٌّ يحاولُ منها كشفَ معجزةٍ فكلُّ مَن جدَّ يلقى جلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث السنة ١٨٦٠:

لله درُّك يا حمى لبنانِ اذ اصبحتَ مغتنم الرضا الشاهاني

نُشرت معارفهُ الجليلة اذ غدا يروي حديثًا عن بني نبهانِ
وبقاعهُ ذاك العزيزُ مقامهُ اضحى عزيزًا اخصب الوديانِ
وبمتنهِ وبفرعهِ حلَّ المنى والجُرد اضحى ساحلًا لأمانِ
وبشوفهِ يُشفى العليلُ تيمُّنًا غرباهُ قُلْ بالخير يلتقيانِ
قد عُدْتَ يا عرقوبهُ عمَّا مضى وغدوتَ معروفًا بصدقِ لسانِ
وكذا المناصفُ أنصفت لمَّا صفت في خدمةٍ تهدى الى الأوطانِ
وبكسروان ترى الامانَ موطَّدًا من سيفِ كسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُوَيطع كالقطيع مطاوعًا وكذاك قاطعهُ بوصلٍ دانِ
وجُبَيلهُ وجبالهُ وسهولهُ ووعورهُ حاكت رياضَ البانِ
وبزاويتهِ (كذا) قد بني نعمَ البنا هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
تُحمى بسيفِ باترٍ بترونهُ وكذا غدت أميونهُ بأمانِ
نادى حسامُ العدلِ فيهِ هاتفًا ألقى «بشرّي» كلَّ من عاداني
يجنو بهِ وشمالهِ تلقى الهنا وبشرقهِ وبغربهِ هنَّانِ
قُمْ أيُّها الشيخُ القديمُ زمانهُ وانظرْ هضابك بهجةَ الأكوانِ
نسجَ الربيعُ بنحو هامك خوذةً كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
هامٌ تكلّلهُ الثلوجُ أكلّةً بيضاء تحكي عن جليلِ معاني
والخصبُ في اكفانهِ ووسوطهِ قُل جنَّةٌ تزدانُ بالافنانِ
حتى الصخورُ غدت رياضًا أثمرت من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
ومناهل يحيي القلوبَ ورودُها وعيونهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنَّةٌ في الارض تحكي للسما والخلق ترتع في رياضِ امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتًا دعاها التوبة ضمَّنها المعاني الزهديَّة. وقد روينا لهُ في المشرق (٥: ٦٣١) نشيدًا نظمهُ لجمعيَّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقَّاش في ٤ كانون الاول سنة ١٨٩٤ فأبَّنهُ اصقع الخطباء ورثاهُ جلُّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرَّاسٍ مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعدهِ آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيَّة. والقانونيّ جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الاسرة عينها اشتهر (سليم بن خليل) المتوفّى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريَّة سمَّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدَّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء (جرجس بن حبيب) المتوفّى في ١٧ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفتهِ لهُ بعض المصنَّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي

لم تُطبع . وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقّاش

(يوسف الشلفون) كان احد انصار النهضة الادبيَّة في الفصل الثاني من القرن التاسع عشر . وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون وكان جدُّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير الشهابيّ الكبير . اما حفيدهُ يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيَّة واللغات الاجنبيَّة واشتغل مدَّة في المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتب حروف ومصحح مطبوعات . وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فؤاد باشا معتمد الدولة العليَّة لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسويَّة . وبعد ان تقرَّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابهِ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العموميَّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدَّة مطبوعات عدَّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ — ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همَّة عظيمة فانتدبهُ اوَّل متصرّف في لبنان المرحوم داود باشا لتنظيم مطبعة في مركز المتصرّفيَّة فقام المندوب بهذه المهمَّة القيام الحسن . ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعا وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيراً التقدُّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقسّ لويس صابونجي الخوري يوسف الدبس واديب اسحاق . ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكليَّة كما فصَّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣ : ٥٠١) وقد اضرَّ بالترجم تقلُّبهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرَّة . وكان احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة وفي مطبعتهِ نُشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨ و ١٨٦٩ : وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكليَّة سنة ١٨٧٤ ودعاهُ انيس الجليس . فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها :

ضاءت بشمس سعودكَ الايّام وزهت بطلعة مجدك الاعوامُ
وسما بذاتك سفحُ لبنانُ الذي حسدَتهُ مصرُ بعزّهِ والشامُ
فكأنَّهُ فلَكٌ وانت بأُفقهِ بدرٌ لهُ دون البدورِ تمامُ
اقطارهُ بالعدلِ منك استأمنت ورعت بها الآسادُ والاغنامُ
يا ايُّها المَولى الذي عن وصفهِ وثنائهِ قد كلَّتِ الاقلامُ
قلَّدتَ قوماً تحت أمركَ منَّةً لم تُحصِ واجبَ شكرها الأرقامُ

ونسخت آيات المظالم بعدما قامت على ساقٍ بها الأقدامُ
ونصبتَ يا داودُ احكاماً بها ظهرَ اليقينُ وزالتِ الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميلُ مخلَّداً هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئاً احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات:

المرء يُعرَفُ في جميل خصالهِ ويعزُّ عند مقالهِ وفعالهِ
والشَّهمُ مَن نال العُلى في جدّهِ حتى غدا الراقونَ دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخيرِ في طلب العُلى كي يُدرك الأفلاك في اعمالهِ
ويرى اتّقاء الله خيراً يُرتجى يوماً ويَشفي قلبهُ بزُلالهِ
ويميل عن كل الانام تعفُّفاً ويرى بحبِّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا ووليَّ عهد المانية وانكلترَّة وسموّ الخديوي اسماعيل باشا فاستحقّ بذلك بعض الامتيازات الشرفيَّة لكنَّهُ توفي خاملًا

(سليم جدي) وفي السنة ١٨٩٥ عينهـا انتقل في ربيع عمرهِ شابٌّ اديب قصفتهُ المنون غصناً يافعاً نريد بهِ سليم بن نصر الله جدي من أُسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت. كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كليّتنا . وقد عرفناهُ حق معرفةٍ اذ كنَّا ندرّسهُ العربيَّة وكان في مدرستنا مع المرحوم (نجيب حبيقه) صاحب الفارس الاسود فعهدناهما طالبين يتلهَّبان شوقاً الى خدمة الاوطان فيجريان منذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان ولكليهما مآثر نثريَّة وشعريَّة لدينا منها اشياء متفرّقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدَّة قصائد وروايات . وكأنَّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلهما فاشربتهما كأس المنون المرَّة عاجلًا . الَّا ان نجيباً عاش بعد قرينهِ عشر سنوات فمات في ٢٥ ك١ سنة ١٩٠٦ . ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنَّهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهُ:

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بمعانيهِ حرَّك الجلمودا
تلك بانت للعصر مبتكرات ومن المجد ألبستك برودا
لو درى الموت انّ ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلباً كان قبل اللسان يُنشي القصيدا

ولزميلهِ نجيب مصنَّفات مدرسيَّة اخصُّها درجات الانشاء في ثلاثة اجزاء٠ ومن قولهِ وصفهُ للسفينة البطرسيَّة في يوبيل البابا لاون الثالث عشر وهو اذ ذاك تلميذنا :

عصفت على بحر الانام رياحُ حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ مصعقاتٍ أزعجت بشرًا فكادت تزهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرميًّا مُصخبًا والموجُ ثار فـاء منهُ جماحُ
والناس في غمر الخِضَمّ جميعهُم خاضوا فليس من الغمار براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجُها وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمت المُصيبة فالمنيَّة قد دنت آهًا اليس من الهلاكِ مراحُ
لكن على سطح الخِضَمّ سفينةٌ وعلى مُقدَّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلت وتطايرت لخلاصهم شكرًا لجدّك ايها الملّاحُ
فيكَ النجاة وليس غيرك يرتجى واليك كلٌّ قلبهُ ملتاحُ
ها قد تقدَّمت السفينةُ نحوهم فنجا بها قوم وفيها راحوا
لم ينأَ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحتوف فذي الفعالُ قباحُ
شاموا البروقَ فأمّلوا منها الهدى خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاعلموا من ينأَ عنها ضاع منهُ صلاحُ
جدُّوا ايا غرقى وامّوها بقو دكمُ اليها نورُها الوضّاحُ
جدُّوا فليس لكم خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا بها قبحًا لهم قالوا بأن ستُحطَّم الألواحُ
فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا املٌ لنفسٍ بالنجاة متاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ كن آمنًا بين السفينة والخِضَمّ كفاحُ
فسفينة الصياد تقهر خصمها ابدًا لانَّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد النوء صفوًا رائقًا وعن البلايا زالت الاتراحُ

(شاكر شقير) وفي خريف السنة التالية خسرت أُسرة كريمة من الروم الاورثدكس كاتبًا آخر من اسرة قديمة وهو شاكر مغامس شقير عُرف في بلاد الشام مدَّةً بتفنُّنهِ بالكتابة ونظم الشعر ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلَّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فماتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى٠ وكانت وفاتهُ في وطنهِ الشويفات والمذكور عدَّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات٠ وقد روينا عنهُ قصَّة ظريفة في المشرق (٩ : ٧٥١) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس ٠ ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة

١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئاً يُذكَر من المحسّنات · ولشاكر اخٌ اسمهُ فارس ترك ايضاً بعض المؤلفات والمنظومات وخدم الحكومة في ولاية بيروت ومتصرفيَّة لبنان · كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٨ · ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ «حقيقة الاسف» وقد تفنَّن فيهِ كثيرًا :

فتلهُّبٌ وتلهُّفٌ وتأسُّفٌ وتـأفُّفٌ وتحسُّرٌ وتحرُّقُ
كبدٌ تذوبُ وانفسٌ تشكو العنا اذنٌ تطنُّ واعينٌ تتدفَّقُ

ثم انتقل الى بحر آخر وقافية أُخرى فقال :

سليمُ الفؤادِ لهُ طلعـةٌ تحيّي الشموسَ وتزري القمَرْ
وذو هيبةٍ كأُسودِ الشَّرى وانسٍ كانسِ الغزال الأغَرْ
تخرُّ الذقونُ لـهُ سجَّدًا تسرُّ العيونُ بـهِ اذ حضَرْ
عليُّ المكان جليُّ البيانِ طليُّ اللسـانِ مليُّ البصَرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنان رقيُّ الزمـانِ بهيُّ الأثرْ

ومما قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعيَّة السوريَّة :

زهرة روضٍ كلَّما طال وقتها تزيد نموًّا بالجمالِ مُقلَّدَا
بها افتخرت بيروت حتَّى لقد سمت على كلّ مصرٍ وهي تُشبهُ فرقدا
مؤلفةٌ من كل صاحبِ غيرةٍ ذوات بنَوا للخير بيتاً مشيَّدا
كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم ويهدي الذي في الجهل ضلَّ الى الهدى
وقد البسوا بيروت حلَّة سؤدد تتيه بها اذ اصبحت منبع الندى
فكلُّ لسانٍ في ثناهم لاهجٌ يصيغ بهِ لفظاً ادرَّ منضَّدا
وكل جنانٍ حمدهُم فيهِ راسخٌ وكلّ مديحٍ في سواهم تفنَّدا
فلا زال مسعاهم بذلك ناجحًا ونالوا المنى ما الطير في الغصن غرَّدا

ومن نظم فارس قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقَّاش :

من كان بالامس نقَّاش الصحاف هدًى يُنسيك حسَّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثر انيق الوصف مندمجٍ وكل شعرٍ رشيق النظم طنَّانِ
كم حرَّر اللفظ والمعنى تصورهُ بما استرقَّ لـهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرَةٍ وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقولهِ :

مضى الى الله حيث الدارُ خالدة مستوفياً أجر اعمالٍ وايمانِ
لا يبرحِ العفوُ فيهِ فوق مضجعهِ تحت الأكنَّةِ من آسٍ وريحانِ

(امين شميّل) اسرة شُميّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد امين بن ابراهيم شُميل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقَّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانهِ. ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحاً. ثم رحل الى انكلترَّة وتعاطى فيها التجارة فاتّسعت اشغالهُ وفتح محلاً في الاسكندرية فلم يزل في تقدُّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ . الّا انَّ تلك الاحوال المشؤومة لم تفلّ شباة عزمهِ فصفَّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنَّ المحاماة فبرَّز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلّة الحقوق فكانت باكورة المجلّات الشرعية . ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونيَّة كالمباحث القضائيَّة ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية للمسألة الشرقية. وكان وضع قبل ذلك رواية سياسية دعاها الزفاف السياسي. وكان ضليعاً بالآداب حسن الكتابة نثرًا ونظماً وكان يضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيَّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنَّفاتهِ كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمُبتكَر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليفربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت. وكان لامين شميّل اولاد نجباء تهذَّبوا كلهم في كلّيتنا البيروتيَّة الا انَّ يد المنون اغتالت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سُلّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصابًا اليمًا على والدهما أضعف قواهُ وهدّ ركن حياتهِ. لكنَّهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى لبّى دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاوَّل منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان

ولأمين الشميّل أخوان آخران ضارعاهُ عقلاً وذكاء الواحد منهما ملحم كان ايضاً عالماً وشارك اخاهُ في اعمالهِ التجاريَّة وآدابهِ توفي في ١٧ شباط سنة ١٨٨٥ اي سنة وفاة نجلي امين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً وفاتهُ :

يا مُلحماً جرحت سهامُ مُصابهِ منَّا القلوبَ جراحةً لا تُلحَمُ
اسكرتَ منذ البَيْنِ آل شميّلٍ بشمولِ حزنٍ ليس يرشفها الفمُ

للمجد والعليا عليك مناحةٌ ولكلِّ فنٍّ في المعارف مأتمُ
غادرتَ مجدكَ واستويتَ من العُلى أرّخ لدى المجد الذي هو اعظمُ (١٨٨٥)

ولد مُلحم في ٥ نيسان سنة ١٨٢٦ وتقلَّب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى ادركتهُ الوفاة. ومارس الطبّ مدَّة على الطريقة الاختباريَّة القديمة. ومن آثاره الادبيَّة ارجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة ولهُ مقدَّمة طويلة على علم الحساب وكان شاعرًا مجيدًا لهُ عدَّة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي اسماعيل باشا ورثى كريمته زينب هانم برثاة افتتحها بقوله:

يوسعُ القلبَ صاحبُ الحزم صبرا يومَ بينٍ يجرّعُ الصبَّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ كلّ يومٍ تزداد بالطول قصرا

وفي آخر عمرهِ دخل ملحم حكومة لبنان وخدم وطنهُ الى سنة وفاته

امَّا الاخ الآخر فهو الدكتور شبلي شُمَيّل الشهير بكتاباتهِ ويسوءنا ان نراهُ في عداد المعادين للدين فشتَّان بينهُ وبين اخيهِ امين الذي هو القائل في العزَّة الالهيَّة وفي نفس الانسان الناطقة:

هو المهيمنُ والاكوانُ صاغرةٌ تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوَّتهِ هو الرحيمُ هو المحيي هو الصمدُ
يا مُبدعَ الكلِّ هل في ذاك من امدٍ يُبغى لديك وماذا يا ترى الأمدُ
انتَ الكريمُ وتُعطي ما نشاءُ كما تشاءُ من بحرِ جودٍ نبعهُ الزبدُ
نفختَ في منخرَي هذا المركَّب من طينٍ فأصبحَ ذا نفسٍ بها البَدَدُ
هل نالت العُجْمُ نفسًا لا تموتُ كما نلنا والَّا فما البرهانُ والسَّنَدُ
النفسُ من عالمِ الارواحِ لا عَرَضٌ يفنى ولا كائنٌ ينحلُّ او جسدُ
فارحب بها مَلَكًا من فضلِ واهبها تَنَلْ بها مُلكًا كرسيُّهُ الأبدُ
وهبتُها لك تمييزًا وقد ظهرتْ نورًا فكن مؤمنًا وويلٌ لمن جحدوا

ولامين شميّل قصائد متفرّقة لم تجمع نُشرت في مجلَّات شتى كقصيدة كنز المُنى في المقتطف (١٨٨٥ ص ٩١) وكقصيدتهِ الشرعيَّة في الجنان (١٨٨٥ ص ٢٢٨) وغير ذلك ممَّا اخذتهُ يد الضياع

(حنَّا بك اسعد الصعب) من اسرة المشايخ الموارنة ابي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان ابوهُ سرعسكر الامير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيرًا على التُّقى

وحبّ الآداب فاتّخذهُ الامير في خدمتهِ فتعلّم العلوم اللسانيّة وبرع في الخطّ العربي حتى ضُرب المثل في خطّهِ البديع . ولمّا سار الامير بشير الى مالطة اختار المترجمَ بصفة كاتب لاسرارهِ فرافقهُ الى تلك الجزيرة ثم الى الاستانة العليّة وانتهز ثمَّ الفرصة ليتعلّم عدّة لغات كالايطاليّة والفرنسويّة والتركيّة ودرس الفنون العصريّة حتى اصاب لهُ شهرةً واسعة . ولمّا عاد الى وطنهِ انتدبتهُ الحكومة الى خدمتها فخدمها في عدّة مناصب جليلة مدّة اربعين سنة وكان اوّل من حاز لقب البك بين نصارى لبنان وبرّ الشام . توفي في اواسط سنة ١٨٩٦ ولحنّا بك الصعبيّ رسالات وشروح لم تُطبع ولهُ شعر كثير تفنَّن فيهِ واجاد وقد جمعهُ في ديوان واسع طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٣ وفي صدرهِ صورة ناظمهِ . وقد ختمهُ بقصائد تركيَّة تشهد على حسن قريحتهِ في اللغة العثمانيَّة وفي شعرهِ منظومات متعدّدة تفيد تاريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٩٠ فمن ذلك قولهُ مهنّئًا دولة رستم باشا عند قدومهِ الى لبنان سنة ١٨٧٣ بقصيدة هذا مطلعها :

ما بالُ لبنانَ يُبدي النَّورَ أنوارا ... ل وجهُ رُستمَ اهدى النُّور انوارا
او تلك ألطافهُ الحسناء مُذ لمعتْ ... ازاحتِ الشمسَ للتنوير استارا

الى ان قال :

حُيِّيتَ لبنانُ كُنْ بالله مُعتصمًا ... وكُنْ شكورًا بحمد الله مكثارا
ها قد أتى السرُّ والاقبال يسعدهُ ... والضرُّ غاب مع العنقاء قد طارا
ضاءت مشارقنا لاحت بيارقنا ... طابت حدائقنا عَرْفًا وأثمارا
جادت محابرنا زادت مخابرنا ... ناغت منابرنا سجعًا وأشعارا
حسَّنْتنا سَنَنًا كمَّلْتنا سُنَنًا ... نوَّلتنا مِنَنًا شيَّدت امصارا
مكَّنتَ محرَسَنا علَّيت اروسَنا ... خوَّلتَ أنفسنا بالخلدِ أخدارا
لا زلتَ يا علَمٌ تجثو لك أُمَمٌ ... سيفٌ كذا قلمٌ مُلّكتَ احرارا

وكان قال سابقًا لمّا تعيّن داود باشا اوّل متصرّف نصرانيّ على لبنان :

لنا البُشرى لقد نلنا انتصارا ... وفزنا في سرور لن يُبارى
مليكُنا قد حبا لبنان قدرًا ... وخوَّلهُ مقامًا واقتدارا
بوالٍ من بني عيسى وزيرٍ ... وهذا الفخرُ وافانا ابتكارا
شدا باليمن تاريخ بفخرٍ ... وزيرٌ جاء نصرًا للنصارى (١٨٦٢)

ولهُ من قصيدة يوبّخ فيها الخاطئ ويستدعيهِ الى التوبة :

أَلَا أرفِقْ بنفسٍ انَّ كل نفائسٍ لديها بذي الدنيا اخسُّ الخسيسةِ
أأنت عدوّ النفس ام انت خِدنها فمن شيمة الاخوانِ صونُ الخدينةِ
اراك بلا الاشفاق تبغي عذابها وترمقها شذرًا بعينٍ غضوبةِ
فلو شامت الاعداءُ ما انت فاعلٌ لرقَّت لها رُحمًا وايَّةَ رقَّةِ
أتجهلُ ما للنفس من هولِ موقفٍ امام العلي الديَّانِ في كلّ رهبةِ
وفيهِ لإِعلان الخفايا مظاهرٌ على مشهد الابصار من كل حدقةِ
مصَافِحُها مفتوحةٌ اذ ترى بها ذنوبٌ ولم يُترَك بها قدرُ ذرَّةِ
فذرها ولا تعبأ بظلٍّ عبورُهُ يكونُ كطَرف العين في كلّ سرعةِ

ولحنًا بك عدَّة اناشيد تقويَّة في السيّد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقًا بعض شذرات. وممَّا لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سبت العازر:

لمَّا توفّي عازرُ فورًا بلحدٍ بادروا
جثمانهُ مذ غادروا في جوف رمسٍ قد غدا

اللازمة

يا عازرٌ ربُّ الفدا وافاك لا تخشَ الردى
والموتُ ولَّى مذ بدا مولًى قديرٌ مُذ بدا

وختمها بقولهِ:

فقام من جوف الضريحْ في صوتهِ العالي يصيحْ
انت العلي انتَ المسيح مستوجبٌ ان تُعبَدا

(نجيب الحدَّاد) ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ ورحل صغيرًا الى الاسكندريَّة فتلقّى في مدارسها العلوم. ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة عاد الى بيروت فأتمَّ بها دروسهُ في المدرسة البطريركيَّة وكان رضع صغيرًا افاويق الادب في قرابة الشيوخ اليازجيّ وامهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدَّة في معيَّة اخوالهِ الكرام. ولمَّا سكنت الامور في القطر المصريّ كرَّ راجعًا اليهِ وعكف على الكتابة في عدَّة جرائد انشأها وكان رئيس تحريرها او احد كتبتها الاوَّلين كلسان العرب وانيس الجليس والسلام. الَّا ان الاسقام لم تزل تنتابهُ حتى هصرت غصن حياتهِ رطبًا قبل بلوغهِ الكهولة فمات في مصر

في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ . وكان نجيب الحدَّاد متضلّعاً بالكتابة يجمع في انشائهِ بين متانة العبارة وسهولتها . ولهُ المقالات السياسيَّة الحسنة . واشتهر بانشاء الروايات او تعريبها . وقد لقي بعضُها اقبالًا ونجاحاً كرواية السِّيد للشاعر كرنيل الفرنسويّ من تعريبهِ ورواية البخيل ورواية المهدي . وكان شعرهُ اجود من نثرهِ حذا فيهِ حذو الشعراء العصريين . من ذلك قصيدتهُ في ذمّ القمار التي رويناها سابقاً في المشرق (٧ : ٦٧٣) ومن شعرهِ الطيّب قولهُ في وصف السكك الحديديَّة وقطراتها :

تخلَّ عن التشبيب بالبيضِ والسمرِ ودَعْ عنك تشبيه المحاسن بالبدرِ
وعُجْ بي الى طُرق الحديدِ ووصفها السجديد ودَعْ ما مرَّ من قِدَمِ الدهرِ
ففيها يروقُ الوصف وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعرِ
وعنها يصحُّ القول ان قيل بارقٌ يشقُّ الفلا لا عن جواد ولا مُهرِ
فطيرٌ بلا جنح وطودٌ بلا بقا وبرقٌ بلا جوّ وهادٍ بلا فكرِ
بلى هي طيرٌ والبخار جناحهُ وطود اذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكن الدخان سحابهُ وهادٍ لهُ لبٌّ توقَّدَ عن جمرِ
يسير فما يدري لسرعة سيرهِ أتجري لديهِ الارض ام فوقها يجري
وللريح حولَيهِ حفيفٌ كأنهُ حفيفُ جناح الصقر حنَّ الى الوكرِ
اذا سار ثارت فوقهُ راية من الدخان لتنبي انهُ مالك القفرِ
تمزّقها الارياح حنقاً كأنَّها تحاول في تمزيقها الاخذ بالثأرِ
لعمرك ما هذا بهادي البلاد بل هو القائد الهادي الى العزّ والنصرِ

واحسن من ذلك قصيدتهُ الغرَّاء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رُزئ الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لاسيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد ان اتّقدت اسلاك آلتها الكهربائية وامتدَّ اليهم لهيب النار :

سوق برٍّ تُباعُ فيها اللُّهى بيعاً ويُشرى الثواب فيها شراء
زيَّنتها بيض الايادي وايدي م البيضِ من محسنٍ ومن حسناء
أنفسٌ تبتغي السماء فما امسَيْن الَّا وقد بلغنَ السماء
ادركت ما تروم من جنَّة م الخلد ولكن كان الطريقُ صلاء
من رأى قبلها جحيماً يؤدّي لنعيمٍ ابناءهُ الشهداء
او رأى محسناً يجودُ على الناسِ فيلفي نار الحريقِ جزاء

أَتُرى كان ذاك مطهرَ من ما توا فيمحو عن النفوسِ الخطاء
ام هو الدهر لا يزالُ مسيئًا لكريمٍ ومكرمًا مَن اساء
يا ربوعًا كانت معاهد احسا نٍ وحسنٍ فاصبحت قفراء
وديارًا كانت منازل اينا سٍ فاضحت بلاقعًا وخلاء
وكرامًا كانوا مناهل جودٍ لفقيرٍ فاصبحوا فقراء
أمراء نادى الندى فاطاعو هُ اميرًا لهم ولبّوا نداء
وحسانٌ قد جُذن برًّا كأن م البرّ ثوبٌ يزيدهنّ بهاء
ساحة تُنبت المكارم والرأ فة والمجد والندى والاخاء
فنساء بها تباري رجالًا ورجال بها تباري النساء
اوجهٌ يشرق السَّنا من محيًّا ها فتزداد بالجميل سناء
رُحن يزهون بالبياض فما اسـ ـيَيْن إلّا كوالحًا سوداء
رِمَمًا لم تدع بها النار الّا رسم جسمٍ واعظمًا جرداء
نقمة صبّها القضاء على الا م برار ظلمًا ومن يردّ القضاء
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزّى الباكين والتّعساء

(سليمان الصوله) هو سليمان بن ابراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨١٤ وفيها قضى اوّل سني حياتهِ ولما ترعرع انتقل مع والديهِ الى مصر ونشأ فيها وتلقّن العلوم في مدارسها وكان يتردّد على اساتذة الازهر فأخذ عنهم العلوم العربيّة ونظم الشعر وقد اخبر عن نفسهِ انهُ في ايّام الشباب كان يعارض قصائد ابي فراس الحمداني ويخمّس قصائد الحلّي ويشطّر منظومات المتنبي وقد ألّف كتابًا سمّاهُ حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أُخرى راحت حرقًا او غرقًا في حوادث سنة ١٨٦٠. وتقلّد سليمان الصوله المناصب في الدواوين المصريّة وصحب ابراهيم باشا لمّا جاء لفتح الشام ثمّ استقرّ بعد ذلك في دمشق وتقدّم في خدمة الدولة العليّة وتقرّب من الامير عبد القادر الجزائريّ وبفضلهِ نجا من الموت في فتنة سنة ١٨٦٠ المشؤومة. ولمّا كانت السنة ١٨٨٤ عاد الى مصر وفيها اقام الى وفاتهِ في ١٤ ايّار سنة ١٨٩٩ عن ٨٥ سنة. ولهُ ديوان واسع في ٣٨٢ صفحة طبعهُ في مصر سنة ١٨٩٤ واعتذر في مقدّمتهِ انهُ بوضٌ من عدّ ومجموعٌ صغير بقي من ديوان كبير «غادرتهُ اللصوص. بين محروق ومقصوص. فقال وهو بهِ يتعزّى: اذا ما كان لي ابل فمعزى». ثم اضاف اليهِ ما جدّ عليهِ من النظم فطبعهُ مفضّلًا القليل المقبول على الكثير المرذول. والحق يقال انّ شعرهُ رائق منسجم ومواضيعهُ مبتكرة اقرب الى المنظومات العصريّة. ومن شعرهِ ما

قالهُ ارتجالًا يمدح يوحنَّا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنّــهِ فاحبَّ البحري ان يسمع نظمهُ:

امرتَ لك الامرُ المطاع بأن ترى فرائد شعري وهي اغزرُ من شَعْري
فوا خجلي من عقد درٍّ أصوغهُ لديك وكلُّ الدرّ بعض حصى البحرِ

ومن مدحهِ قصيدة طويلة قالها في فقيـد القطر المصري آخرًا الوزير بطرس باشا غالي منها:

رجلٌ وحسبُك انهُ الرجل الذي نجت البلادُ بهِ من الإقلالِ
احيا الندي وامات بالكمد العدى ونفى الصدى بسماحهِ الهطَّالِ
تبدو الغيوبُ لدى لواحظ حذقهِ غررًا مجرَّدةً من الإشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً سادت على الماضي بها والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطانةَ يوسفٍ فأحلَّهُ منــهُ المحلَّ العالي
وامدَّهُ بالرتبــة العظمى التي ما نالها قَبلٌ من الاقبــالِ
فافاد مجد القبط مجدًا ثانيًا مترفعًا لثبيرهِ المتعــالي
والناس حول ندى يمينهِ أرَّخت نيلُ الهنــاء يمينُ بطرس غالي

ولهُ عدَّة مراثي حسنة قالها في ابنهِ ابراهيم المتوفَّى سنة ١٨٨٣ وابنتهِ السيّدة ليلى. فما قالهُ في ليلى:

يا ليلةً غادرتْ لي ليلى بلا نفَس وغادرَتني أُقاسي حرَّ انفاسي
لولاكِ لم يدجُ نورُ الشمس في بصري ولا تبطَّن جَوفَ اللحد نبراسي
ولا جفا الراحُ راحي والكرى بصري وصار دمعي سُلَافي والجوى كاسي
اين التي كنتُ ان غابت اقولُ لها ما قالهُ شاعرٌ من آل عبَّاسِ
ما اقبح الناسَ في عيني واسمَجهم اذا نظرتُ ولم القاكِ في الناسِ
قالوا نسيتَ بها ابراهيم قلت لهم لا عشتُ ان كنت يا ناس لهُ ناسي
ولا رستْ بين ارباب العلى قدمي ان كان غيرهما في خاطري راسي

وقد روينا لهُ في المشرق (٧: ٤٣٢) ابياتًا قالهــا في مريم السيّدة البتول. ولهُ قصيدة اخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثًا من داء اصابهُ:

ايا بابَ النجاةِ وسلسبيل الـــحياةِ وسورَ ربَّاتِ الخدورِ

خذي بيدي الشقية واحضيني ونجّـيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أعدي حبوري لانهض بالسرور عن السريرِ
فانّي بين اشواك المنايا أُعذَّبُ في الاصائل والبكورِ
أيُـكسَرُ خاطري يا امَّ ربّي لديكِ وانت جابرةُ الكسيرِ
ويبلغني الجحيمُ وانتِ غوثي وادخلُ في الظلامِ وانت نوري
أجيريني اجيرني والّا فدلّيني لمن اشكو اموري
وهل يرضى حنوُّكِ بافتقاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك مَنْ بنورك جلَّ قدرًا عن التشبيه أخجل كلَّ نورِ
واعطاكِ الشفاعةَ يا سماءً تحيّرها لخلّاقِ البدورِ
سأبذلُ في امتداحكِ كل جهدي لعلَّ اللهَ يسمحُ عن قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خاتمتي اموري

وبسلامان الصوله قد خُتم القرن التاسع عشر الذي اخذنا على نفسنا تاريخ ادبائهِ . على انَّهُ في هذه الحقبة الاخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممَّن لم يبلغوا شأوهم او لم نحظ بآثرهم . وممَّن نالوا بعض الشهرة من النصارى فنذكرهم هنـا تلميحًا (الياس فرج باسيل) اشتغل مدَّة بالآداب في مطبعة الرهبان الفرنسيسيين في القدس الشريف وكان يُصلح مطبوعاتهم وقد صنَّف لهم عدَّة كتب مدرسيَّة كمبادئ القراءة لافادة الاحداث سنة ١٨٧٨ ورغبة السائل في انشاء الرسائل (١٨٦٧) ومجموعة الازهـار من رُبَى الاشعار (١٨٧٩) ولهُ دليل الزوَّار الى الاماكن المقدَّسة تكرَّر طبعهُ . ونظم ايضاً بعض المنظومات منها نشائد تقويَّة طُبعت في كتاب روضة الالحان سنة ١٨٧٠ وقد شاع بعضها بين الكاثوليك كنشيدهِ في البتول الذي اولهُ « يا بتولًا زاد فوحًا مجدكِ الزاهي البها » وكقولهِ « انَّ مدح البكر فخري والثنا فرضٌ عظيمٌ » وقولـهِ في الانفس المطهريَّة « يا الهي جُدْ بعفوٍ في نفوسٍ في لهيب »

ومنهم بطل لبنان (يوسف بك كرم) الذي ولد سنة ١٨٢٤ في اهدن من اسرة كريمة وتخرَّج في مدرسة عينطورا وتولّى في لبنان بعض المناصب الى ان حدثت بينـهُ وبين متصرّف الجبل داود باشا تلك المنازعات المشئومة التي انتهت بسفر يوسف بك الى اوربة ثم الى الاستانة حتى قضى آخر عمرهِ في نابولي وفيها توفي معتزلًا عن الاشغال السياسية منقطعًا الى خدمة ربّهِ في اوائل نيسان من السنة ١٨٨٩ . وقد ذكرناهُ هنـا لما كان عليهِ من الاقتدار في الكتـابة وقد نشر في العربيَّة والفرنسويَّة عدَّة مقالات

سياسيَّة طُبع بعضها مفردًا. وكان ينظم الشعر العربيّ. قيل انهُ في ريعان شبابهِ نظم كتاب سفر نشيد الاناشيد. ولهُ قصائد روى بعضها صاحب الجوائب كقصيدتهِ في راشد باشا التي يقول فيها :

ذا راشد البرَّين وجهُ مدينة م البحرَين ولاَّهُ العزيز على الورى
يكفي العباد بودّهِ وبجدّهِ فبنَدّهِ وجهُ الزمان تعطَّرا
اصحت لهيبتهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الامر الكبير تصغَّرا

وقد اثبتنا لهُ في المشرق (٥ : ٤٩٧) قصيدة ارسلها الى صديقهِ الاديب يوسف حبيب باخوس

ومنهم الدكتور (سليم بك الجريديني) المتوفَّى سنة ١٨٨٥ واخوهُ (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من انصار الآداب انشأا مقالات علميَّة وادبيّة نشراها في اعمال الجمعيَّة السوريَّة وفي بعض المجلات

ومنهم (الحاج يوسف فرنسيس) الذي نشأ في حاصبيًا وتوطَّن القليعة في مرجعيون وكان عالمًا بامور الخيل كما يدلُّ عليهِ كتابهُ سراج الليل في سروج الخيل. كانت وفاتهُ سنة ١٨٩٢. ولهُ شعرٌ

ومنهم ايضًا (سليم دياب) احد محرّري مجلَّة الجنان نشر فيها عدَّة فصول تاريخيَّة وقصائد توفّي سنة ١٨٩٥

ومنهم الاستاذ (فرنسيس شمعون) من تلامذة المدرسة الامركانيَّة في اعبيه كان راسخ القدم في العلوم العربيَّة متضلّعًا بالرياضيَّات ولهُ مؤلف لطيف في الحساب طُبع غير مرَّة في بيروت توفي في ١١ شباط سنة ١٨٩٩

ومنهم (حنين بن نعمة الله الخوري) من اعضاء الجمعيَّة السوريَّة لهُ في نشرتها عدَّة مقالات وعرَّب تأليف الوزير كيزو الفرنسويّ في التمدُّن الاوربي. لا نعلم سنة وفاتهِ

المستشرقون الاوربيون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقيَّة على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الاصقاع الاوربيَّة فانَّ الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويها لدرس لغات

الشرق والبحث عن آثارهِ . وكان للغة العربيَّة حظٌّ اوفى من سواها لوفرة كنوزها واتّساع نطاقها

(الفرنسويُّون) بعد ان فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وخمد نوعًا نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت الى سباقها في حلبـة الآداب . على انَّ درس الآثار الشرقيَّة غاب شيئًا على الدروس اللغويَّة . وها نحن نذكر بالتلخيص اسماء بعض الذين استحقُّوا شكر الادباء بما خلَّفوهُ من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيَّات كما فعلنـا سابقًا

فقدت مصر في اواخر كانون الاوَّل من السنة ١٨٨٠ إمام علمائها بالعاديَّات المصريَّة اوغست ماريت (A. Mariette) بعد أن اعدَّهُ لمواجهة ربّهِ احد آباء جمعيَّتنا . كان مولدهُ في ١١ شباط سنة ١٨٢١ وقدم مصر سنة ١٨٥٠ فقضى ثمَّ ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاتهُ العجيبة وتآليفهُ التي جعلتهُ في مقدَّمـة علماء زمانهِ وكان يُحسن العربيَّة و يعرف آثارها وقد عُرِّب كتابهُ تاريخ قدماء المصريين بهمَّة الشيخ عبد الله ابي السعود

وفي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٢ توفي في باريس اثريّ آخر فرنساويّ هنري دي لونپاريه (H. de Longpérier) عن ٦٦ سنةً خدم فيها العلوم الاثريَّة لاسيما النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة . وقد جُمعت آثارهُ في عدَّة مجلَّدات . وممَّا يفيـد تواريخ هذه البلاد خصوصًا كتابهُ في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشـك وبني ساسان . ولهُ كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الاسلام في المغرب والاندلس . وكان المذكور مع علمهِ كثير التحمُّس في الدين

واشهر منهما في العلوم الشرقية فرنسوا لونرمان (Fr. Lenormant) ابن شرل لونرمان السابق ذكرهُ . ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي في باريس سنة ١٨٨٣ وقد احبَّ الشرق منذ شبابهِ فتجوَّل في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينهُ المقالات الواسعة . وقد اشتهر خصوصًا بالعلوم الاثريَّة والتاريخ . ومؤلَّفاتهُ تنيف عن خمسين مجلَّدًا نخصُّ منها كتاب تاريخ امم الشرق القديمة في تسعة مجلَّدات . وكان عالمًا بآثار العرب كما تدلُّ عليهِ كتبهُ . وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنهُ دفاع المؤمن الصادق

وممَّن عُني خصوصًا بدرس العربيَّة الاستاذ شربونو(J. Aug. Cherbonneau) ولد سنة ١٨١٣ وتوفي سنة ١٨٨٢ في باريس . درس على المستشرقَين دي ساسي وكوسان

دي پرسفال ثم انتدبتهُ الدولة الفرنسويَّة لتنظيم مدارسها العربيَّة في الجزائر فاهتمَّ بالامر اهتماماً عظيماً وعلم في قسنطينة مدَّة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنّف لذلك عدَّة كتب مدرسيَّة للقرّاء وتعليم الاصول والتكلُّم ولهُ معجم كبير عربيّ وفرنساوي ونشر في المجلَّة الاسيويَّة مقالات متعدّدة في شعراء العرب وكتبتهم ونقل الى الفرنسويَّة عدّة تآليف قديمة منها رِحَل وتواريخ وقصص كرحلة العبدري وتاريخ ابن حمَّاد وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر لهُ في ذلك عدَّة آثار وفي آخر حياتهِ استدعتهُ الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية في باريس

وكان يعلّم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفتهُ المنون سنة ١٨٨٩ وهو پاڤه دي كورتيل (Pavet de Courteille) لكنَّهُ برَّز في درس اللغة التركية فاحيا كثيرًا من آثارها المدفونة . واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بمعية بربيه دي ميثار (Barbier de Meynard) الذي توفي حديثًا سنة ١٩٠٨ . ومن تصانيفهِ كتاب بالفرنسويَّة في صفة احوال البلاد العثمانية

وفي سنة وفاة شربونو توفي رجل هُمام متضلّع بمعرفة العربيَّة المسيو شرل دِفرامري (Ch. Defrémery) وُلد في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٢٢ وتوفي في ١٩ آب سنة ١٨٨٣ درس العربيَّة على كوسان دي پرسفال والفارسية على العلامة دي كاتر مار وبرع في اللغتين فاختارتهُ دولتهُ ليعلّم في مدرستها العليا . ولهُ عدَّة تآليف اخصُّها تواريخ الدول الاسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الاسماعيليين وهو اوَّل من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها الى الفرنسويَّة وساعدهُ في عملهِ المستشرق الايطالي بنيامين سنغيناتي (B. Sanguinetti) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة ١٨٣١ . ومن غريب الاتفاق انَّ الرصيفين توفيا في السنة عينها . وكان سنغيناتي اعدَّ للطبع عدَّة تآليف عربية كتراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمَّى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبية وكلها لم تُطبع . ومما نشرهُ في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة سنة ١٨٥٩ كتاب فيهِ رسوم قديمة «تدعى احكام» العتيقة لطائفة مسيحية زعم انها طائفة الموارنة

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالمًا آخر كانوا يبنون عليهِ امالًا طيّبة في خدمة الشرقيَّات وهو ستانسلاس غويار (St. Guyard) ولد سنة ١٨٤٦ ومات

منتحرًا سنة ١٨٨٤ . تعلّم عدّة لغات شرقية كالسنسكريتية والفارسية والاشوريّة وقد نشر فيها كلّها مصنّفات عديدة الّا انهُ خصّ قسمًا كبيرًا من حياتهِ القصيرة في العربية فألّف فيها تآليف جليلة اخصّها كتاباتهُ عن الباطنية والاسماعيلية المعروفين بالحشّاشين ولهُ تآليف جليل في الاعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدّةً . وكانت غلبت عليهِ السوداء فحملتهُ على قتل نفسهِ

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممّن لا يسعنا الافاضة في ذكرهم كرسال دوڤيك (M. Devic) المتوفى سنة ١٨٨٦ نشر في العربيّة كتابًا قديمًا يُدعى عجائب الهند نقلهُ الى الفرنسويّة . وقد ألحق معجم ليتره (Littré) بجدول للالفاظ الفرنسويّة المستعارة من اللغات الشرقيّة . وكريشار بوشه (R. Boucher) المولود سنة ١٨٤٣ والمتوفى في تشرين الاوّل من السنة ١٨٨٦ نشر قسمًا كبيرًا من ديوان الفرزدق عن نسخة ايّا صوفيا ونقلهُ إلى الفرنسويّة . وقد اتمّ نشر هذا الديوان جناب الاديب الالماني نزيل كلّيتنا الدكتور يوسف هال (D^r J. Hell)

ومنهم اونست رنان (E. Renan) المتوفى سنة ١٨٩٢ اشتهر خصوصًا بعاداتهِ للدين . امّا ما عُرف لهُ من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزئين وكتابهُ عن ابن رشد بالفرنسويّة . وتجوّل مدّة في سوريّة فنشر آثار سواحلها في كتابهِ بعثة فينيقية . لكن في تآليفهِ المذكورة الغثّ والسمين كما بيّنهُ قوم من العلماء

ومنهم الدكتور لوكلار (D^r Leclerc) المتوفى سنة ١٨٩٣ وهو الذي نقل الى الفرنسويّة مفردات ابن بيطار وكتب تاريخ الطبّ في الشرق نقلًا عن ابن ابي اصيبعة وغيره من كتبة العرب في اربعة اجزاء

ومنهم غستاف دوغا (G. Dugat) احد معلّمي مكتب اللغات الشرقيّة في باريس (١٨٢٤ — ١٨٩٤) لهُ تاريخ المستشرقين الاوربيين الذي لم يطبع منهُ الّا قسمين وصنّف مقالات في جغرافية بلاد الاسلام

ومنهم الاستاذ جوزف درنبورغ الموسوي (J. Derenbourg) المتوفى سنة ١٨٩٥ نشر رسائل لغويّة لابي الوليد بن جناح واشتغل مع غيرهِ من الموسويين في طبع الاسفار المقدّسة لربّي سعديا الفيّومي . وقام من بعدهِ ابنهُ هرتويك (Hartwig Derenbourg) ففاق على ابيهِ في العلوم العربيّة ونشر كثيرًا من آثارها ككتاب

سيبويه وديوان النابغة مع ترجمته وترجمة اسامة بن مُنقذ وجدَّد طبع تاريخ ابن الطقطقى المعروف بالفخري· توفي هرتويك سنة ١٩٠٨ وعمره ٦٤ سنة

ومنهم العلامة هنري سوڤار (H. Sauvaire) المتولى القنصليَّة لدولتهِ في بلادنا لهُ تآليف شرقية جليلة منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمَّد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى الفرنسويَّة الانس الجليـل في تاريخ القدس والخليـل لمجير الدين · وغير ذلك ممَّا يشهد لهُ بطول الباع في العلوم الشرقية· توفي في ايَّار من السنة ١٨٩٦ · ومنهم ايضاً الخوري جان برجس (J.-J. Bargès) الكاهن الفرنسويّ الذي علَّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيَّان للتنّيسي وتاريخ بني جلَّاب للسيد حاج محمَّد الادريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفيض المديد من اخبار النيـل السعيد للمَنوفي· وابرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الاناشيد لرَبِّي يافث بن علي البصري وميمر ساويرس بن المقفَّع في القديس مرقس الانجيليّ

ومنهم العلامـة الشهير شرل شيفر (Ch. Schefer) توفي في ٣ اذار ١٨٩٧ كان تجوَّل في حداثتهِ في الشرق وتولَّى شؤون الدولة الفرنسويَّة في الشـام والعجم وبرع في الفارسيَّة وقد نشر بالعربيـة وصف الشام لابي الحسن علي الهرويّ · وترأس مدَّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقيَّـة في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة

ونضيف الى هؤلاء الافرنسيين خمسة من آباء رهبانيَّتنـا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد· احدهم الاب لويس كساڤاريوس ابوجي (L. X. Abougit) ولد في مدينة پوي (Puy) وقصد سوريَّة بصفـة مرسل سنة ١٨٤٩ فأتقن العربية حتى امكنهُ ان يحرّر البشير ويصنف الكتب في العربية او ينقلها اليهـا من اللغات الاوربية · وقد بلغت تآليفهُ وتعريباتهُ الخمسة عشر منها كتب دينية وجدلية كردودهِ على المقتطف وتزييفهِ لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسيَّة كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربيّ شرحهُ بالفرنسويَّة وفرنساوي شرحهُ بالعربية· توفي الاب ابوجي في ١٦ تموز سنة ١٨٩٥ في غزير وكان مولدهُ سنة ١٨١٩

والثاني هو الاب فيلبُّوس كوش (Ph. Cuche) ولد في مقاطعة فرَنش كونته

سنة ١٨١٨ وتوفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥ بعد ان خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس واديرة وكمدير للمطبعة. لهُ قاموس عربي فرنسوى اصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدَّد طبعهُ الاب حنَّا بِلُّو (J. B. Belot) المترجم في المشرق (٧ : ١١٤٤) واضاف اليهِ اضافات عديدة وسمَّاه القلائد الدريَّة

والثالث هو الاب يوسف روز (J. Rose) جاء الى سوريَّة قبل كهنوتهِ فتعلَّم اللغة العربية حتى برع فيها. وكان احد المشتغلين بترجمة التوراة. ومن آثارهِ مكالمات عربية وفرنسويَّة في جزءَين ولهُ سبعة مجلَّدات مواعظ مخطوطة انشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الاوربية ولهُ معجم عربي فرنسوي لم يُطبع. توفي الاب روز في ١٠ اذار سنة ١٨٩٦ في بيروت ومولدهُ سنة ١٨٣٤

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٧ توفي في زحلة الاب يوسف هوري (J. Heury) المولود في اڤنيون سنة ١٨٢٤ جاء كمرسل الى سوريَّة سنة ١٨٥١ واشتغل فيها بالتعليم والتبشير. لهُ قاموس فرنسويّ عربيّ تكرَّر مرارًا طبعهُ لرواجهِ

وكان اشتهر قبل هؤلاء الابُ يوسف ڤان هام (J. Van Ham) الهولندي المولود سنة ١٨١٣ والمتوفى في ١٣ آب سنة ١٨٨٩ في تعنايل لهُ عدَّة تأليف في الآثار الفلسطينيَّة. وكتب مقالات واسعة في الاسفار المقدَّسة وتاريخ الاصلاح الموهوم ولهُ ردود مختلفة على مزاعم البروتستانت في بيروت طُبعت في مطبعتنا

(الالمانيُّون والنمساويُّون) كانوا بعد الفرنسويين ابعد همَّةً من سواهم في تعزيز الدروس الشرقيَّة. اشتهر منهم فردريك دياتاريشي (Fr. H. Dieterici) الذي ولد في برلين ١٨٢١ وبعد ان ساح في جهات الشرق تعيَّن كاستاذ العربية في وطنهِ سنة ١٨٥٠ وهناك توفي نحو السنة ١٨٨٨ ولهُ تآليف عربية متعدِّدة منها معجم عربي والماني وشرح الفيَّة ابن مالك والَّف كتابًا في الشعر العربي ونشر نخبًا من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبيّ. ودرس خصوصًا تآليف العرب الفلسفيَّة كالفارابي واخوان الصفا ونشرها

ومنهم الاستاذ فلايشر (H. L. Fleischer) المولود سنة ١٨٠١ والمتوفى سنة ١٨٨٨ درس اللغات الشرقية في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسڤال ثم خلف المستشرق روزنمولر في تعليمهِ في كليَّة ليبسيك. فكان في المانية احد ائمَّة الدروس

الشرقية مدَّة خمسين سنة مجاريًا لفريتاغ ولفلوغل وكان يكاتب ادباء سوريَّة وينشر كتاباتهم وقد ألَّف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لاسيما العربية ومن منشوراته تفسير القرآن للبيضاوي والمفصَّل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة مع الاستاذ هابشت (Habicht) ورسالة هرمس في زجر النفس وتآليف متعدّدة في نحو العربية

ومنهم الاستاذ غوستاف ڤيل (G. Weil) ولد في سولزبورغ سنة ١٨٠٨ وتوفي في فريبورغ برسْغاو سنة ١٨٨٩ . درَّس التاريخ الشرقي في كلّية هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الاسلامية العامَّة والخاصَّة وكلّها مطوَّلة تُعَدّ من انفس التواريخ واضبطها لاسيما تاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلّدات وتاريخ العبّاسيين في مصر في مجلَّدين

وفي تلك السنة ١٨٨٩ توفي البارون فون كريمر (Bon Alf. Kremer) الذي وُلد في ڤينّا سنة ١٨٢٨ ومات بقربها سنة ١٨٨٩ تجوَّل في مصر والشام وعلَّم العربية في حاضرة بلادهِ . الى ان أُرسل الى مصر بصفة قنصل لدولتهِ . ثم تعيَّن قنصلًا لها في بيروت سنة ١٨٧٠ حتى عهدت اليهِ حكومتهُ وزارة الخارجية ووزارات غيرها الى سنة وفاتهِ لهُ كتب متعدّدة في آداب العرب وتواريخهم واشعارهم وجغرافيّتهم وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في عجائب الامصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الاحكام السلطانيَّة للماوردي والقصيدة الحميريَّة

وجاراهم في فضلهم هنري توربكه (H. Thorbecke) المولود في مانهَيم سنة ١٨٣٧ . برَّز بين اقرانهِ في معرفة الآداب العربيَّة وعلَّمها سنين طويلة في كليَّتي هيدلبرغ وهال توفي سنة ١٨٩٠ . ومن مآثرهِ نشرهُ لكتاب الملاحن لابن دريد ودرَّة الغوَّاص للحريري . وكان مثَّل للطبع المفضَّليات فنشر منها قسماً فقط

وفي السنة ١٨٩١ فقدت المانية احد كبار اساتذتها المستشرقين وهو العلَّامة پول دي لاغرد (P. de Lagarde) المولود سنة ١٨٢٧ . اشتغل بهمَّة قعساء مدَّة نيّف وثلاثين سنة في نشر الآثار النصرانية القديمة والاسفار المقدَّسة وعلَّم في كلّيات وطنهِ وتآليفهُ كلّها تُعرب عن سعة فضلهِ وكان يُحسن اللغات الشرقية كالسريانيَّة والعبرانيَّة والقبطيَّة والعربية لهُ في كلّها آثار طيّبة . وممَّا نشر في العربية نسخ قديمة من الاناجيل ومن المزامير ومن قوانين الرسل ومن بعض التآليف الابوكريفا ونسخة من غراماطيق قديم عربي ولاتيني للراهب پترو دي ألكالا الفرنسيسي

وفي السنة ١٨٩٣ توفي الدكتور لويس سپرنغر (Al. Sprenger) الذي ولد في معاملة التيرول سنة ١٨١٣ وكان رحل الى لندن ودخل في خدمة الانكليز فسار الى الهند وتولّى ادارة مدرسة دهلي سنة ١٨٤٣ واشتغل في مطبعة كلكوتّا فنشر فيها تآليف خطيرة منها كتاب اصطلاحات الصوفيّة لعبد الرزّاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وتاريخ الغزنويّة للعتبي وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وكتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي. ثم رجع الى وطنهِ وعلّم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع الى التأليف في هيدلبرغ. ومن تآليفهِ سيرة مطوّلة لمحمّد نبيّ الاسلام في ثلاثة مجلّدات وكتاب في تعليم محمّد

وغاب كلّ هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتبٌ الماني آخر أنشبت فيهِ المنون مخالبها سنة ١٨٩٩ العلّامة هنري فرديناند وستفلد (H. F. Wüstnefeld) المولود في اعمال هانوفر سنة ١٨٠٨ م. درس اللغات الشرقيّة على اكبر اساتذة وطنهِ ثم جُعل استاذًا للعربية في غوطا. وتآليفهُ العربيّة عبارة عن مكتبة واسعة تنيف عن مائتي تأليف بين صغير وكبير وقد ادّى العلوم الشرقيّة خدمًا لا تُنسى بما نشرهُ من المصنّفات القديمة كطبقات الحفّاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وقائمة تواريخ العرب وتصانيف اطبّائهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الاسماء للنووي وكتاب الالباب في تهذيب الانساب لابي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعًا لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد لهُ واخبار قبط مصر للمقريزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للسمهودي وتواريخ مكّة في ثلثة مجلّدات وكتب عديدة غيرها مع تذييلات وحواشٍ وفهارس تدهش العقل بوفرتها. احيا الله لنا امثالهُ كثيرين

(الهولنديون) عُرف الهولنديون بانصبابهم على اللغات الشرقيّة ولاسيما العربية. وممن اشتهر بينهم في آخر القرن التاسع عشر ب. دي يونغ (Pieter de Jong) احد معلّمي كليّة اوترخت ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي سنة ١٨٩٠ اشتغل مع العلّامة دي غوي (de Goeje) في وصف مخطوطات كليّة ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبي وفصولًا شتى لبعض مؤرخي العرب

وزاد على السابق شهرةً الهولندي رينهرت دوزي (R. Dozy) الذي ولد وتوفي

في ليدن (١٨٢٠-١٨٨٣). أُولع منذ حداثتهِ بحبّ الشرق والعلوم الشرقيَّة وتعمَّق في درس العربيَّة حتى دُعي الى تدريسها في كلّيَّة بلدهِ ومنشوراتهُ العربيَّة عديدة نفيسة منها كتابهُ في ملابس العرب بالفرنسويَّة (في ٤٤٦ صفحة) ونشرهُ لتاريخ بني زيَّان ثم تخصَّص بدرس الدول الاسلاميَّة في الاندلس والمغرب فنشر عدَّة مجلَّدات في ذلك كتاريخ المعجب لعبد الواحد المرَّاكشي وتاريخ البيان المغرب لابن العذاري وجغرافيَّة الادريسي وتاريخ الاسلام في الاندلس في اربعة مجلَّدات ولهُ معجم واسع في مجلَّدين ضخمين جعلهُ ملحقاً للمعجمات العربية (١ وكتب تاريخاً مطوَّلاً في الاسلام منذ ظهوره الى ايَّامهِ وألَّف كتاباً عن الاسرائيليين في مكَّة وهلمَّ جرًّا

في ختام القرن التاسع عشر توفي الهولندي ڤات (P. J. Veth) المولود سنة ١٨١٤ والمتوفَّى في ارنهيم سنة ١٨٩٩ كان من معلّمي الشرقيَّات في كلّيَّة ليدن واشتهر خصوصاً بكتاباتهِ عن الهند والمستعمرات الهولنديَّة. ونشر في العربيَّة كتاب لبّ اللباب في تحرير الانساب لجلال الدين السيوطي

هذا وقد فقدت الآداب العربيَّة مؤخَّرًا رجلين عظيمين من علماء هولندة مات احدهما في ريعان شبابهِ هو ڤان ڤلوتن (G. van Vlouten) الذي نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيَّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحرًا. والآخر امام العربيَّة في اوربة العلّامة دي غوي المتوفى في العام المنصرم ١٩٠٩ وهو متولي طبع الطبري وتاريخ اليعقوبي والفتوحات الاسلاميَّة للبلاذري وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ومجموع جغرافيي العرب في عشرة مجلَّدات وقد ابقى لهُ في القلوب ذكرًا مخلَّدًا

(الانكليز) عُرف منهم في ختام القرن السابق ادورد پالمر (E. H. Palmer) من اساتذة كلّيَّة كمبردج المتوفَّى سنة ١٨٨٣ خلَّف كتاباً انكليزيًّا في اصول نحو العربية. ونشر ديوان بهاء الدين زهير مع ترجمتهِ الانكليزيَّة على طرز بهيّ ولهُ ايضاً ترجمة القرآن الى الانكليزيَّة

ومنهم المستشرق الشهير وليم رَيت (W. Wright) ولد في الهند الانكليزيَّة في اوائل سنة ١٨٣٠ ثم درس في اسكوتلندة وتعلم العربية في ليدن تحت نظارة

١) قد انتقد الشيخ ابراهيم اليازجي هذا التأليف في مجلة الطبيب سنة ١٨٨٤ ص ٢٨٦ و٣٠٥ و٣٤٦)

الاستاذ دوزي ثم عاد الى لندن ودرَّس العربيَّة وتولَّى نظارة المخطوطات الشرقيـة في خزانة كتبها العظمى فوصف مخطوطاتها السريانية الثمينة في قائمة لا تقلّ عن ثلاثة مجلدات ضخمة . وفي سنة ١٨٧٠ طلبتهُ كلية كمبردج ليعلّم فيها العربية فبقي في مهنتهِ الى سنة وفاتهِ في ٢٢ ايار ١٨٨٨ . ولوليم رَيت مطبوعات عربية جليلة منها الكامـل للمبرّد ومنها رحلة ابن جبير ومنتخبات من شعراء الجاهلية دعاها « جزة الحاطب وتحفة الطالب » واشتغل في استخلاص القسم التاريخي من نفح الطيب للمقري . ولـهُ كتب اخرى لغويَّة منها غراماطيق عربي بالانكليزيَّة تكرَّر طبعهُ

وفي السنة ١٨٩٠ توفي في تريستة حيث كان قنصلًا لدولتهِ السائح الشهير اللورد ريشرد برتون (Richard F. Burton) . ولد في كنتيـة نورفلك في انكلترَّة وساح في عدَّة بلاد واكتشف في افريقية سنة ١٨٥٢ بحيرة تنغنيكا . وتعيَّن مدَّةً كقنصل في دمشق ورحل الى بادية الشام والى تدمر . وكان قبلًا بلغ الى مكَّة وزار المدينـة وكتب تفاصيل سياحتهِ اليهما في مجلدين . وكانت امرأتهُ كاثوليكية فلم تزل تسعى في امر اهتدائهِ الى دينها القويم حتى أدركتْ غايتها . ولمَّا توفي زوجها اقامت لـهُ في لندن مشهدًا من الرخام على شكل خيمة عربيَّة وسكنت فيها الى موتها

وفي السنة ١٨٩٢ توفي انكليزي آخر صرف قسمًا من حياتهِ بمهنة ترجمان في سفارات دولتهِ في الاستانة وفي القاهرة وهو جمس ردهوس (J. W. Redhouse) . وكان في اوقات الفراغ يشتغل بالتاليف لاسيما في التركية . ولهُ معجمٌ عربيٌ وفارسي وانكليزي ونشر قصيدة لاميَّة العرب للشنفري مع شروح مختلفة ونقلها الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون) تعزَّزت بينهم الدروس الشرقيَّة في ختام القرن التاسع عشر وازهرت العربيَّة خصوصًا في كليَّتي بطرسبورج وموسكو وممَّن عُرف منهم وقتئذٍ برنهرد دورن (B. Dorn) كان مولدهُ في المانية سنة ١٨٠٥ ودرس اللغات الشرقيَّة على مشاهير المستشرقين . وفي سنة ١٨٢٩ استدعتهُ الدولة الروسية للتعليم في كليـة خركوف ثم في مكتبها الاسيريّ في بطرسبورج وتولَّى نظارة مكتبتها الشرقيَّة ومتحفها الامبراطوري . توفي سنة ١٨٨١ بعد ان اغنى العلم بتآليفـهِ لاسيما في تواريخ الشرق العجميّ والشرق الاسلامي كتاريخ القفقـاز والخزر والكرج واتَّسع في وصف الآثار الشرقيَّة كالنقود العربيَّة والمخطوطات الاسلاميَّة فانَّ مآثرهُ تُربي على ١٥٠ عددًا

ومنهم المعلم گرگاس (W. O. Guirgass) كان مولدهُ في روسية نحو السنة ١٨٣٥ ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بنيف في جوار بيروت. ولما عاد الى روسية قُلّد منصب التعليم في حاضرتها فاقبل عليهِ الدارسون وكان من جملتهم العلامة البارون ڤون روزن الذي نشرنا في المشرق (١١ : ١٧١) خلاصة ترجمتهِ. توفي المعلم گرگاس نحو السنة ١٨٨٤ . لهُ مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الاسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسيّ. ونشر كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعهُ بالروسية على الحجر

وممن اسفت على فقدهِ ايطالية من المستشرقين الاستاذ ميشال اماري (M. Amari) وُلد في پالرمة سنة ١٨٠٦ وتوفي في فلورنسة سنة ١٨٩٩. تعلم اللغات الشرقية في باريس وخصّ نفسهُ بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلادهِ. فكتب تاريخ المسلمين في صقلّية ونشر رحلة ابن جبير الى تلك الجزيرة وصنّف تأليفهُ الذي دعاهُ بالمكتبة الصقلّيّة وعزّزها بالكتابات والمعاهدات التجاريّة المُبرمة بين العرب والايطاليين وغير ذلك ممّا اوجب لهُ شكر المستشرقين عموماً واهل بلادهِ خصوصاً

وفقدت اسبانية في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر ثلاثة من اساتذتها المستشرقين جوزه دي لرخندي (J. de Lerchundi) مؤلف معجم عربي اسبانيّ ومجموع منتخبات عربية وفرنسوا كساڤيه سيمونت (Fr. X. Simonet) استاذ العربية في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين (Mozarabes) في الاندلس والّف بعض كتب مدارسية عربيّة ونشر اعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة ولهُ مقالات متعدّدة عن العرب نشرها في المجلات الاسبانية. وقد اجتمعنا بهِ في مؤتمر لندن ١٨٩١ فأخذنا العجب من سعة علمهِ. توفي في غرناطة في ٧ تموز سنة ١٨٩٧ . امّا الثالث فهو استاذ العربية في مدريد العلامة بسكوال كيّانغوس (Don Pasc. Gayangos y Arce) المولود في اشبيلية سنة ١٨٠٩ قدم لندن وصنّف فيها تآليف مختلفة اشتهر منها تاريخهُ للدول الاسلامية في اسبانية وترجمتهُ لتاريخ المقّري نفح الطيب في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها. توفي في لندن سنة ١٨٩٧. وكان هؤلاء اخذوا عن مستشرقَين سبقاهم عهدًا الاوّل لافوانتي القنطري (Lafuente y Al-

cantara) المولود في جهات مالقــة سنة ١٨٢٧ والمتوفى سنة ١٨٥٦ . كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربيَّة . والثاني امادور لوس ريوس (Don José Amador de Los Rios) ولد في نواحي قرطبة سنة ١٨١٨ وتوفي في اشبيلية سنة ١٨٧٨ . علَّم العربيَّة في مجريط ثم صار مديرًا لكليَّتها ونشر آثار قرطبة واشبيلية

واشتهر في اسوج هولمبــو (Chr. A. Holmboe) المولود سنة ١٧٩٧ والمتوفى سنة ١٨٨٢ كان استاذًا في عاصمة بلادهِ كرستيانية بعد ان تخرَّج في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسڤال واشتهر خصوصًا بالعلوم الكتــابيَّة واللغات الهنديَّة . وقد ترجم الى الالمانيَّة كتاب كليلة ودمنة ونشر عدَّة مقالات عن الاسلام في الهند

وفي ١٨٩٨ رُزئت دنيمرك بموت مستشرقها الشهير اوغست مِهْرِن (A. F. van Mehren) ولد سنة ١٨٢٢ واخذ العربيَّة عن فلَيْشر وعلَّم في كوبنهاغ اللغات الشرقيَّة نحو ٥٠ سنة . ألَّف كتابًا في بيان اللغــة العربيَّة ونشر كتاب عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقيّ وعدَّة تآليف للرئيس ابن سينا نشرها ونقلها الى الفرنسويَّة

امَّا (الامركيُّون) فلا نعرف منهم احدًا اشتهر بالعلوم العربيَّــة الَّا تريل بيروت الدكتور كرنيليوس فان ديك المولود في ولاية نيويرك سنــة ١٨١٨ والمتوفَّى في بيروت في ١٣ ت ٢ سنة ١٨٩٦ . قدم الى سوريَّة بصفة مرسل بروتستــاني سنة ١٨٤٠ فصار الى آخر نسمة حياتهِ قطب الرسالة الامركيَّة في هذه البلاد وقد نشر سيرتهُ الدكتور اسكندر افندي نقولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القرَّاء الى تفاصيلهــا . وفي آخرها جدول تآليفهِ البالغة نحو ٣٠ كتابًا في العلوم العصريَّة كالرياضيَّات والآثار الجويَّة والطبّ والجغرافية ولهُ كتاب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء ونقل الى العربيَّة الكتاب المقدَّس دون الكتب الثانويَّة وألَّف عدَّة كتب جدليَّة ردَّ عليها الاب ڤان هام اليسوعي وغيرهُ من آباء جمعيَّتنا فألجأوهُ الى السكوت

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر وكنَّا نوينا ان نضيف اليهِ ملحقًا في احوال الآداب في القرن العشرين لكننا آثرنا ان نرجئ العمل الى فرصة أُخرى . واكتفينا بان نقدّم للقرَّاء مثالين من الشعر العصر الجديد دعونا الأوَّل الحماسة الدستوريَّة وفيهِ كثير من شعر المحدثين في الانقلاب العثماني الاخير وضمَّنَّا الثاني اقوال مشاهير شعراء العصر في احوال السنة الدستوريَّة الأُولى . وعلى الله الاتكال

زيادات واصلاحات

ص ٧ س ٢١ (رفاعة بك الطهطاوي) تجد لهُ ترجمةً مطوَّلةً في اعداد الجوائب ٦٩٧ — ٧١٠ تأليف صالح بك مجدي

ص ١٩ س ٤ (الحاج حسين بَيْهم) لهُ ارجوزة في العلم نُشرت في السنة الاولى من اعمال الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة (ص ١٦—٢٦)

ص ٣٣ س ١—٢ « الثورة العربيَّة » والصواب « العرابيَّة »

ص ٣٩ س ٢٤ (الشيخ راجي اليازجي) وفاتهُ ليست في سنة ١٨٥٧ كما روينا عن دواني القطوف لاسكندر افندي عيسى المعلوف بل سنة ١٨٥٦ كما يظهر من تاريخهِ في بيتين قالهما حنَّا بك اسعد الصعب :

مذ سار راجي اليازجيُّ الى السما وغدا الى المولى العليّ مُناجيا
قد جاء في ذاك المورّخُ راقماً قد زار فضلك يا الهي راجيا (١٨٥٦)

ص ٤١ س ٥ (فرنسيس فتح الله المرَّاش) روى الاديب عبد المسيح الانطاكي قطعاً من شعرهِ في مجلَّة الهلال لسنتها الثانية ص ٣٩٨

ص ٤٥ س ٧ (رزق الله حسُّون) نشر مؤخرًا ترجمتهُ جناب اسكندر افندي عيسى المعلوف في عددي المقتطف الثالث والرابع من السنة الجارية ١٩١٠ ص ٢٢٤ و٣٢١

ص ٤٧ س ٢٠ « يوسف حجَّار نصر الله الدلَّال » الصواب « يوسف حجَّار احد عَمَلة نصر الله الدلَّال

ص ٥٠ س ٨ (المعلّم سعد العُضيمي) بلغنا انهُ حتى الآن حيٌّ يُرزَق

ص ٥٢ س ٩ (قيصر ابيلا) توفي في شرخ شبابهِ سنة ١٨٧٣ في صيدا فرثاهُ نقولا النقَّاش برائيَّة ختمها بهذا التاريخ :

ونعم فقدتُم قيصرًا .لكنَّما ارّخْ غدا بالله قيصرُ قيصرا

٥٩ س ٢٥ « اغناطيوس كراكتشكوفسكي » يُصلَح كراتشكوفسكي (I. Kratchkowski)

٦٠—٦١ نشرت مجلَّة الطبيب سنة ١٨٨٤ ص ٢١٦—٢٢٠ فصلًا في مدارس بيروت ولبنان فيهِ بعض المعلومات تضاف الى ما اوردنا هنا

ص ٦٢–٦٣ في المجلّة الفلسطينيّة الالمانيّة (ZDPV, XII, 124–128) قائمة الجرائد العربيّة التي كانت تطبع في الشام والجزيرة والعراق سنة ١٨٨٩

ص ٩٤–٩٥ ابيات احمد فارس في الشيخ ابراهيم لم تُروَ في مكانها وحقّها أن تُقدَّم على ذكر الشيخ اسماعيل فانّها قيلت في ابراهيم فصيح الحيدري

ص ٩٦ وممَّن فاتنا ذكرهم في ادباء العجم السيّد جمال الدين الحسينيّ الافغاني المولود سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) في بلاد الافغان والمتوفى بداء السرطان سنة ١٣١٤ (١٨٩٧) في الاستانة . كان لهُ حظّ وافرٌ في نهضة الآداب الشرقية عمومًا لكنهُ مع علمهِ بالعربيَّة وخطابتهِ فيها لم ينشر فيها الَّا بعض المقالات وقد عرَّب لهُ الشيخ محمَّد عبده رسالتهُ النفيسة في ابطال مذهب الدهريين وقدَّم عليها ترجمة المؤلف مطوَّلةً فنحيل اليها القرَّاء

ص ١٠٦ اطلب تراجم مطوَّلة لمن ذكرناهم من مشاهير الاكليروس السرياني في الكتاب الذي نُشر مؤخرًا بقلم الڤيكنت فيليب دي طرَّازي « السلاسل التاريخيَّة في اساقفة الابوشيَّات السريانيَّة » .

ص ١٢٤ س ٢٧ لم تصدر جريده السلام سنة ١٢٨٧ ولكن سنة ١٣٠٢ الموافقة لسنة ١٨٨٤–١٨٨٥ كما اصلحهُ جناب اسكندر افندي عيسى المعلوف في مجلّة حمص ص ٣٤٢ ورواهُ من قبلهِ الاديب قسطاكي الحمصي في كتاب السحر الحلال في شعر الدلّال ص ٢٢ . امَّا قول المنتقد بانَّ البيتين في الفتاة اللابسة الثوب الوردي هما لبطرس كرامة لا لابراهيم بك ابنهِ فانّا استندنا في روايتنا الى صاحب نزهة الالباب محمَّد حسني العامري (ص ٢٢٥) ولعلَّهُ مخطئ في روايتهِ لانَّ البيتين يُنسبان الى بطرس في ديوانه (ص ٣١٦)

ص ١٤٩ س ١٥ وقد فاتنا ذكر يسوعيّ آخر استحق بتآليفهِ ذكرًا خصوصيًا وهو الاب بطرس مرتين (P. P. Martin) ولد في سابوديا سنة ١٨٢٥ وتوفي في شمبري في ١٥ ايلول سنة ١٨٨٠ اشتغل مدَّة عشرين سنة في تاريخ لبنان وسوريَّة وكتابهُ فريد في جنسهِ لم يزل مخطوطًا في عشر مجلَّدات ضخمة طُبع منهُ خمسة اقسام ولهُ مقالات واسعة في حوادث سنة ١٨٦٠ واشتغل في رسالة سوريَّة نحو ٤٠ سنة

ملحق

لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر

الحماسة الدستوريّة

هذا فصلٌ كنّا نشرناهُ في المشرق (١٢ : ٨١-٩٦) بعد الاعلان الدستوريّ اودعناهُ عدّة منظومات للشعراء العصريين. وقد اثبتناهُ هنا كملحق لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر لان فيهِ اجود مثال للآداب العصرية وللاساليب الشعريّة في ايّامنا

غنيٌّ عن البيان انَّ اجود الشعر ما اختمرت بهِ مشاعر قائلهِ. لانَّ الكلام اذا ما تأثّرت منهُ النفس وانطبع في اعماق القلب تكاد الطبيعة تقذف بهِ عفوًا دون تصنُّع ولا تعمُّل البتَّة. وان سبكتَهُ وعرضتَهُ على محكّ الانتقاد وجدتهُ مصوغًا بأبلغ المعاني مفرغًا في اجود قالب من اللفظ والتعبير

على انهُ بين ضروب المنظومات ليس ما يفضلُ في ذلك الشعرَ الحماسيَّ لانهُ يعبّر عن اشرف ما في قلب الانسان من العواطف ويترجم عمَّا يكنّهُ صدرهُ من الخواطر السنيَّة والهمم السامية التي تنكّبُ عن الدنايا وتسمق بهِ الى المعالي فيذكر ما لاسلافهِ من المفاخر ويتوق الى معارضتهم بالمآثر ويناصب كل ما يحول دونهُ من العوائق في ادراك غايتهِ الجليلة حتى انهُ يضحّي في سبيلها كل نفسٍ ونفيس

وان تصفَّحتَ تواريخ الامم الغابرة ووقفت على آدابهم وجدتهم في الحماسيَّات اشعر منهم في سواها من فنون الشعر وهم يقدّمون تلك المنظومات الحماسيَّة على غيرها ويكرّرونها في مفاوضاتهم ويتغنَّون بها في اناشيدهم ويلقّنونها صغارهم حتى تصبح كقسم من حياتهم الاجتماعيَّة وعمرانهم. فهذه الالياذة لهوميروس بين اليونان ونشيد إنياذه لورجيليوس بين الرومان وشاهنامه للفردوسي بين الفرس فانها كلّها منظومات حماسيَّة تذكّر كل قوم بمفاخرهِ وتبعث في قلوب ذويهِ شواعر الحميَّة والتحمُّس

ولم يخرج العرب عن هذا الحكم وان كانت منظوماتهم الحماسيَّة قصيرةً لا

تتجاوز ابيات القصائد · وقد عُني بعض الائمّة بتأليف تلك الآثار او نُخب منها اودعوها في مجاميع عُرفت بالحماسات كحماسة تمّام التي استفاضت شهرتها وحماسة البحتري التي نحن اليوم ساعون بنشرها وحماسة البصريين وحماسة الخالديين وغير ذلك ممّا يشهد للعرب القدماء بالنخوة والاباء

ولمّا أُعلن في اواسط الصيف المنصرم بالحكومة الدستوريّة وفُكّت الاغلال التي كانت تنوء تحتها نفوس العثمانيين باستبداد السلطة الحاكمة سابقًا نشطت الارواح وانطلقت الالسن وجادت قرائح الشعراء باثمارها الطيّبة وقد نُظم من ذلك الوقت الى الآن من القصائد ما لو جُمع لأربى على كل المجاميع الحماسيّة السابقة · ولمّا كان لهذه الاقوال شأن عظيم في تاريخ الآداب العصريّة رأينا ان نُعمل فيها النظر اجمالًا ونستوقف ابصار الادباء لئلّا يندثر ذكرها وتطمس معالمها

وكان اوّل ما شعر بهِ العثمانيون يوم الاعلان بالدستور الجذل والاغتباط فسُرّي عنهم همّهم وثلج بالبشرى صدرهم واسترسل قلم الشعراء بوصف فرحهم. فقال الشاعر الوطنيّ جناب الامير شكيب ارسلان في مطلع قصيدة غرّاء :

ألا يا بني عثمانَ حسبكمُ بُشرى لقد جاد ربُّ العرش بالنعمة الكبرى
وقد فزتمُ ذا اليوم بالغاية التي عليها رجالٌ قد قضوا دونكم قهرا
اطالت عليكم بغتةً تُسرِدِ المُنَى نُحقّق بعث الله مع عسرهِ اليُسرى
اتت وحجابُ اليأس قد حال دونها كما ينشر الديّانُ مَن سكن القبرا
فمن غير وعدٍ بدّل اللهُ حالكم لتضحي لكم رحمى وتغدو لكم ذكرى
ويُعلَمَ انَّ الله لا ربَّ غيرهُ وليس سواهُ يملك النفع والضرّا
اراد تُلافي الشرق من عثراتهِ فألقى عليهِ من عنايتهِ سترا

وانشد اخوهُ الاديب احمد عادل ارسلان معارضاً حالة البلاد بالبعث والنشور :

هذه الحياةُ فاين العُدْم والعَدَمُ وذا الضياء فاين الظُلْم والظُلَمُ
لقد جلاها عن الاسلام ذو شُطَب ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ
يا بغيةً لم نزل في العمر نطلبها لا اليأسُ يُقعدنا عنها ولا السأَمُ
قد بشّرتنا بها الانباء ناقلةً أمرَ الخليفة نِعم الآمِرُ الحَكَمُ
احيا بها امّةً كادت عزائمها الى حضيضٍ من الإعياء تنهدمُ

واجاد في وصف تقلّب الاحوال جناب الاديب يوسف حيدر :

مضى عصرٌ وذا عصرٌ جديدُ بهِ صرنا نفيد ونستفيدُ

وقد ولّى زمانُ البؤس عنّا واقبل نحونا زمن سعيدُ
بدأنا وانحططنا ثم عُدنا تبارك ربّنا المبدي المعيدُ
كذاك الله يفعل في البرايا فيخفض ثم يرفع مَن يُريدُ
لحقًّا ان ذا عصرٌ حميدٌ وحقًّا انَّ هـذا اليوم عيدُ

وكما تباشروا بالنجاة وهنأ بعضهم بعضاً بنيـل الاماني كذلك صرفوا نظرهم الى الجيش العثماني وضبّاطهِ البسلاء الذين بفضلهم حصل هذا الانقلاب العظيم فشكروهم واطرأوا حزمهم ودعوا لهم بالفوز والنصر . فقال جناب الشاعر المطبوع محيي الدين افندي الخياط:

بني الشرق هل إلّا الحدادُ القواضبُ بنوكم وهل الّا الجيـادُ الشوازبُ
بنيتم فأعليتم وشيّدتم فسُدتُمُ ألا هكذا تُبنى العُلى والمراتبُ
سَلُوا صُحفَ الأنباء هل غير ما روت عن الجيش اروى الشرقَ والشرقُ ناضبُ
سرتْ نبأةٌ من جانب الجيش قد دوت مشارقُنا اهتزّت لهـا والمغاربُ
مضت حقبةٌ يا شرقُ والقوم نُزَّعٌ الى الجـانب الغربيّ والكلُّ راقبُ
فرُحمـاك يا شرقيُّ لا تغلُ واتّئد فعد فُزت بالدستور والدهر شاغبُ
ووالله ما نـدري أأحلامُ نائمٍ ألمّت بنا ام انت يا دهرُ لاعبُ

وقال الكاتب الاديب نجيب افندي مصوّر يحيّي الجنود البسلاء:

حيّاكُمُ المولى واسعد دولةً وحمى هلالًا في سماها يسطعُ
يا قادة الافكار والارواح في قلمٍ يخطُّ وفي حسامٍ يقطعُ
علّمتمونا كيف تحيا امّةٌ كادت تموت وصوتها لا يُسمعُ
علّمتمونا الاتّحاد ولم نكن نرضى بهِ بل في سواهُ نطمعُ
وأريتمونا انَّ فيكمُ مجدنا والى حماكمُ في الشدائد نسرعُ
يا جُند عثمانَ السلامُ عليكمُ فلقد دوت بكمُ الجهاتُ الاربعُ

وقال الشاعر المجيـد شبلي بك ملّاط يطنب في مديحهم ويخصُّ منهم زعماءهم وانصار تركيا الفتاة من ابيات:

ومشت جنودُ الترك فاهتزّت لها م الدنيا وضجَّ المسلمون وكبّروا
وتعاهدوا ان ينقذوا الوطن الذي بالجور منهُ الجوُّ اشعثُ اغبرُ
فتقـدّموا والله ناصرهم وقـد فازوا وكان العارُ ان يتأخّروا
فلتحيَ تركيًّا الفتـاةُ ورددوا عاش ابنُ تركيًّا وعاش العسكرُ

حملت الى الترك الحياةَ وانّهم لولا الفتاةُ وقومُهـا لم ينشَروا
خرجوا من الاكفان وانتفضوا كما يتنفَّضُ العبـدُ الذي يتحرَّر

وقال جناب الشاعر المُفلق عبد الله افندي البستاني في الموضوع :

يا رعى اللهُ مجـد كلّ همامٍ شاد بالسيف المجد للعسكريّه
هل يوازي الآسادَ غيرُ نيازي مَن حمى حوزة العُلى بالحميّه
لا يباريـهِ في الصرامة الّا صادقُ البأسِ أنورُ الالمعيّه
بنيـا للاحرار في كلّ قطرٍ شرفًا لا يزولُ بالمشرفيّـه
جاريا البَرقَ في الوميض ومرًّا مثلَ سهمَين انفذا في الرميّه
لم يُقيما على الغضاضـةِ لكن ربطا الجأشَ بالقلوب الجريّه
واستماتا مستبسلَين وشـدًّا كالدواهي بالنخوة الجاهليّه
فاستحرَ الجنودُ طرًّا وقالوا حرّ تمّوزَ هائجُ الحُرّيّه . . .
ايُّ مجدٍ يُعلي بنيهِ كمجدٍ كاد يمضي بانيهِ عنًّا ضحيّه
ايّهـا المانعو الحفيظة نلتمْ بظُبى المُرهفاتِ شكرَ البريّه
لا تزالون بالصوارم سورًا يدفع الهول عن بني سوريّه

واكثر الشعراء في قصائدهم يعودون بالنظر الى الاحوال السابقة ويعدّدون ما ألمَّ بالاوطان من النكبات وما دهم اهلها من الشدائد لاستبداد العُمّال وترفُّع ذوي الامر فيعارضون بتلك الاحوال السقيمة ما اصابوهُ اليوم بتغيُّر الامور عاقدين الرجاء بانتظام الاحكام . فممّن احسن في هذا الباب جناب الدكتور نقولا فيّاض حيث قال :

يا بني عثمانَ انتم امّـةٌ اصبحت موضوع اعجابِ الامَمْ
سيعيدُ العدلُ تاريخًا لكم طُبع المجدُ بهِ منـذُ القِدَمْ
في حمى جيشٍ عزيزٍ باسلٍ واسع الهمّة كشّافِ الغمَمْ
ضرب الظُلمَ بسيفٍ قاطعٍ شقّ منهُ النورُ اكبادَ الظُلَمْ

*

صِيحَ بالترك فكانت صيحةٌ أيقظت من ضجعةِ الموتِ الهِمَمْ
وسرى للعرش منهـا هزّةٌ فشفتْ يَلدِزَ من ذاك الصمَمْ
فرأى الشرق انقلابٌ مدهشٌ [illegible] تمنّيناهُ في الاحلام لمْ
ورأينـا دولة الماضي وقد [illegible] الموتُ عليها لا رحم

وقال الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله :

يا ايها الناس حيُّوا ذلك العَلَما وسبِّحوا مانح الحرِّيَّةِ الأمما
وقبِّلوا البندقيَّاتِ التي فضلت اقلامَنا بعد ما كانت لها خدما
وظاهِروا عصبة الاحرار انهمُ اتوا بما اعجز الإبطال والهمما
هيَّا افتحوا يا بني عثمان اعينكم تدفَّق النورُ حتَّى بدَّد الظُّلَما
تزيَّنوا بجديد من ثيابكمُ او فاخلعوا ذلك الثوب الذي قدما . .
وادعوا لمن بعث الدستور من جدث بكت عليهِ عيون العالمين دما
فقد حرمناهُ ظلماً وانقضى زمنٌ عليهِ حتَّى حسبناهُ غدا عدما
واليوم جرَّد سيفَ الحقّ صاحبُهُ وهاجم الظلمَ حتَّى فرَّ منهزما
تعانق الشيخُ والقسيسُ واصطحبا من بعد ما افترقا ضدَّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتَّحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهما . . .

ومثلهما اجاد الاديب طانيوس افندي عبده في مخمَّسهِ حيث قال :

ذلك اليوم يوم نلنا الفخارا وشمخنا بأنفنا استكبارا
يوم بات الظلام فينا خارا يوم كنَّا نرى الجميع سكارى
لا بخمرٍ بل من حميَّا الحميَّه

قد رأينا الاتراك اهل الحماسهْ أدهشوا الارض بالدها والسياسه
واستطالوا الى مقام الرئاسهْ فقضوا مأرباً اطالوا التماسهْ
دون ان يسفكوا دماءً زكيَّه

ورأينا بيروت ترقصُ تيها وبنوها يعانقون بنيها
بعد ان كانت التحيَّاتِ فيها بالمُدَى اصبحت كأنَّ ذويها
اخوةٌ بالسلام والمدنيَّه

ورأينا القلوب قبل الايادي نزعت للسلام والاتّحادِ
فغدا الآن كلّ حرّ ينادي يا لقومي نفسي فداء بلادي
فلتكن واحدًا جموع الرعيَّه

يا بني قومنا اذا ما ظفرتم فبذاك الجيش المظفَّر فزتم
وبفضل الاحرار ها قد سلمتم فاذكروا الفضل واعجبوا ما حييتم
بجلال الحميَّةِ التركيَّهْ

ومن الشعراء من ذكر اعمال الاستبداد التي تركت في النفوس اسوأ عاقبة فرثى بعضهم الاحرارَ الذين ذهبوا ضحيَّة مروءتهم وظلم الحكَّام ففدوا بدمائهم ارواح اخلافهم . قال صاحب العزَّة سعيد بك شقير :

احرارُ تركيَّةٍ انعشتمُ وطناً بكم سيبلغُ شأواً دونهُ السحبُ

فكم صبرتم على ضيم ألمَّ بكم وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموتُ يحصدكم فما رجعتم وما خارت لكم رُكَبُ
ما مات من بطلٍ الّا انبرى بطلٌ للعيش محتقرٌ في الموت مرتغبُ
في الدردنيل وفي البوسفور أعظُمكم منها بقايا عليها المجدُ مكتتبُ
علّمتم الشرق والاقطار قاطبةً انَّ العظيم لديهِ تصغرُ النُّوَبُ
ولا تنالُ المُنى والمرءُ مُقتعِدٌ في بيتهِ جزعًا انَّ المُنى تعبُ
ماتُوا فعشنا واحيوا بعدهم وطنًا فكلُّ ما نحنُ فيهِ بعضُ ما وهبوا
ولم تَمُتْ روحهم بل دبَّ ثائرُها فيَّ من أتى بعدهم كالنار تلتهبُ

وكذا استدرَّ العبرات على ضريح الموتى في سبيل الدستور جناب اسعد افندي ملحم:

اذكروهم في كلّ صقعٍ ونادِ انّهم حرَّروا رقابَ العبادِ
بعد ما جاهدوا وايَّ جهادِ اذكروا كلّ خادمٍ للبلادِ
من ثرى غانمٍ الى البستاني

رفرفي فوقهم ايا روح مِذْحَتْ انتِ مَنْ في هذا السبيل نضحَّتْ
عن عناها لولا الرَّدى ما تنحَّتْ تلك احلامُها وها اليومَ صحَّتْ
بعد عشرين حجَّةً وثمانِي

يا شهيدًا لم يمنِ غير الوفاء وطبيبًا ارداهُ وصفُ الدواء
لمريضٍ ما رام نيلَ الشفاء حولك الآن عسكرُ الشهداء
ولاروا حكم تليقُ التهاني

واذكروا ذلك الاميرَ العظيما اي صباح الدين الشريفَ الحكيما
انهُ غادر الغنى والنعيما حيثما كان سيِّدًا مخدوما
وتلاشى في خدمة الاوطان

ومنهم من عدَّد مساوئ الجواسيس وقبَّح اعمالهم الاثيمة. قال جناب عبد الله افندي البستاني:

بؤسًا لايّامٍ علينا سوَّدت دهمَ الليالي والنفوسُ جوارِ
أيّامَ ابناء المهانة عُزّزوا وبنو [المهانة] خيِّسوا بصغارِ
فعدا العيونُ على الضمائرِ غرَّةً عَدْوَ الجوادِ بحلبةِ المضمارِ
واستأنسوا في ظلّ اذيال الدجى فاستوحشوا بمطالع الاقمارِ
واستنزلوا لذَّاتهم بأذاتهم وتنعَّموا بتصرُّم الاعمارِ
يتجسَّسون من النفائس طرفةً كانت لِأنفاس النسيمِ تباري

ولكم تواروا ان يمسّوا بالأذى كلَّ امرئٍ بشُهاه زَندٌ وارِ
يتجرمون على البريء جنايةً مع انَّهُ مما جنوهُ عارِ
فكأنَّ من اخلاقهم صلد الصفا ونفوسهم فُطرت من الدينارِ

وغيرهم رشقوا بألسنة حداد جنايات المرتشين من العُمَّال . فمن ذلك قول الشاعر الفكه اسعد افندي رستم يصف دخولهُ بيروت بعد عودتهِ من اميركة :

ودخلتُ بيروت الجميلةَ تائقًا للأهل بعد تشوُّقٍ وتحسُّرِ
فأتى اليَّ مفتشًا مأمورها قال افتح الصندوقَ قلتُ لهُ اصبرِ
فغمزتهُ ووضعتُ في يدهِ مجيـديًا فقال الشكرُ يا «حضرتلري»
لقبٌ حصلتُ عليهِ مجانًا وكم لقبٌ هنا أُعطي ببذلِ الاصفرِ
هذه البلاد فقيرةٌ فألذُّ ما فيها الهوا والماء والجبن الطري
ارضٌ على فقرائها ساد البلا لا يستريح بها سوى الرجل السري
ما دامت الحكَّامُ فيها ترتشي ينجو بها الخاطي ولا ينجو البري
لا شغل للساعي الجدّ بها ولا ربحٌ هناك لبائعٍ او مشترِ
الجيش عريانٌ وحافٍ جوفهُ خالٍ ومن سنتين لم يقبض «كري»
وطنٌ تغرَّبَ اهلهُ وسيغتدي بعد القليل وليس فيهِ «دومري»
لا بدع ان سمُوَّهُ مسقط رأسنا فروؤسنا سقطت بهِ بتقهقرِ
لكنَّ هذي الحال زالت وامَّحت وتغيَّرت حالًا وايَّ تغيُّرِ

وتفكَّه آخرون بمراقبي الصحافة والمطبوعات . فقال شيخ الشعراء المصريين شوقي بك :

لنا رقيبٌ كان ما أثقلَهْ الحمدُ لله الذي رحَّلَهْ
لو ابتلى اللهُ بهِ عاشقًا مات بهِ لا بالجَوى والوَلَهْ
لو دام الصُّحف ودامت لهُ لم تنجُ منهُ الصُّحُف المُنزلَهْ
اذا رأى الباطلَ غالى بهِ وان بدا الحقُّ لهُ أبطلَهْ
لو خال «باسم الله» في مصحفٍ تُغضب «تحسينًا» محا البسملَهْ
وعزَّة الله بلا «عزَّتِ» لا تنفعُ القاري ولا خردلَهْ
جرائدُ الترك على عهدهِ كانت بلا شأنٍ ولا منزلَهْ
ان تذكر الخنجر لفظًا تُصبْ من شدَّة الذعر بهِ مقتلَهْ
وان تَصِفْ قنبلةً لم يَنمْ من هول ذكرى حادثِ القنبلَهْ

ومثلهُ في حسنهِ قول جناب عبد الله افندي البستاني في حرِّية اليراع :

سرّ الضمير بنادرةِ الافكار فأنالها ما جلَّ من اسرارِ
قد كنتُ ذا وله زمانَ ظننتُها وردتْ حياضَ حمامِها بدياري
يا طالما شاء اليراعُ بكاءها فارتاع حابس دمعهِ المدرارِ
ولَشدّ ما استوقدتْ صدري بعدها بأسًى يذيبُ جوامدَ الاحجارِ
كم عذتُ بالباري فخالوا انّني كلفٌ بمن هو للبراعة بارِ
لم اذكر الشعرى فخافة انّني في الناسِ الفظُ احرف الاشعارِ
أيدينُ لي حرُّ الكلام ومقولي عبدُ الرقيب يشدُّهُ بإسارِ
ان قلتُ وا «حربا» توهّم انّني اسعرتُ نار «الحرب» بالبتّارِ
ومن الخطوب الدُّهْم اني قائلٌ نلتُ «المراد» ومنتهى الاوطارِ
او منشد يا واهب النعمى اهدني سبل «الرشاد» ولا يغظْك عثاري
او هاتفٌ نافست باذخة الذُّرى بالمجد «يا وطني» رفيع منارِ
فلكم كتاب كان طُعم بصيرتي قد ابصرَتْهُ الناس طُعم النارِ
فاذا ابتدرتُ الى اثارة خاطري خطرت عليَّ ملمّتي ببدارِ
لكنَّ بعض اسمِي وقاني من أذى بشرٍ قد اخالوا على الاحرارِ

وزاد على فكاهة الشعراء السابقين اصحاب الشعر العامّي المعروفين بالقوّالة فنظموا في الاحوال الجديدة القرّاديات والمعنّى ومنظومات شتى نختار منها ما رأيناهُ جديرًا بالذكر لحسن ذوقهِ وجودة سبكهِ وتفنن قائليهِ . فمن ذلك مخمّس للقوّال الشهير خليل سمعان فرح الفغالي الشحروري (اطلب المشرق ٥ : ٩٥٨ و ١٠ : ٩٥٥) دعاهُ «صوت الحرّية» فقال في جملتهِ :

صوت البري من قاع ابوسفوزر العميق لمَّا وصل لله من أقوم طريق
المجد ظلّل حزب تركيا الفتاة وانتصر عهد الجديد على العتيق

المجد ظلّل حزب تركيا الفتاة والروح لبستها بعد ذاك المات
والرب اوهبها علا ونصر وحياة من بعد ما كانت حزينه بائسه
والمظالم راح بتخنقها خنيق

من بعد ما كانت حزينه بائسه ومغلله بقيود ضمن المحبسه
طلّتم علينا من مناستر لابسه ثوبًا ظهر من طيه نور ونار
وحامله منشور دستور الوثيق

ثوبًا ظهر من طيه نور ونار وحامله منشور ابهى من النهار
من فوق جبال مقدونيا لما انتشر سلونيك احرارها قالوا السلام
على فتاة فيها النجاة من كل ضيق

سلونيك احرارها قالوا السلامْ على فتاة منها اتلد عصر السلامْ
والنور في سطنبول ساد على الظلامْ والرب على البوسفور طلّ من السما
يسمع ندا من كان في قاعو غريق . . .

حينئذٍ حنّ المكون من سماه والتفت في كل من يبغي رضاه
وصار الطبيعي يقرّ بوجود الاله والبري في عطف خالقه انشمل
والظّلوم اصبح مسيرو للحريق

والبري في عطف خالقه انشملْ والظلم بالانصاف والحق انبدلْ
في قوة الرب العظيم الشعب نالْ

وجاراهُ في لطف قولهِ رصيفهُ القوَّال الياس افندي الفرّان فنظم القرّاديَّة الآتية :

كنت بأكبر بليّه بسجن العبوديّه

نادى عسكر السلطانْ كل الرعايا اخوانْ بغته بشّرني السجّانْ
باطلاق الحريّه

كلّهم سوى بالحقوقْ وصار الظالم عالخازوقْ والخاين اصبح مخنوقْ
واعوانه الجاسوسيّه

صاروا الجواسيس السودْ بساعة رحمه طعام قرودْ اسلام ونصارى ويهودْ
صاروا بالحق سويّه

صاروا اخوان واحبابْ من ختياريّه وشبابْ وما بقي احد يهابْ
من جاسوس السريّه

يا ما يتّموا اطفالْ ويا ما كسّروا اقفالْ ويا ما نهبوا اموالْ
وداسوا حقوق الرعيه

نادام كل الاولادْ جاك السمرمر يا جرادْ لينظّف منك البلادْ
بفعلك صارت مجويّه

لمّا لعب دور الشرْ نظفها نيازي وانورْ الله ينصر العسكرْ
وتحيا كل الجنديّه

تحيا تركيا الفتاة لولاها كنّا اموات وكانت كل المطبوعات
بالزوايا مخفيه . . .

يا عالم متنا وعشنا ورب السما انعشنا ما عاد حدّا يدفشنا
عالغلطه البوسفوريّه

ما عدنا نخشى الظّلّامْ وصرنا نطلق للاقلامْ ما من مراقب يتحكّمْ
ويضيم الجرنلجيّه

كان مزيّر « للاحوال » ومقطّع « للسان الحال » وكان مؤخر « للاقبال »
« والنشره الاسبوعيه »

ربّي بقلب « الثمرات » « والبشير » كل الحسرات « بيروت » تبكي بالانات
وتقول يا حسره عليّه

من ريحه انطفى « المصباح » وانتنت كل الارياح «والمنار» مانوره ناح
ناره صارت مطفيه

من جوره عا « المحبه » ربّي بقلبها غبّه زالت عن قلبها الكربه
وحمدت رب البريّه

ولاحد مهاجري اميركة قصيد في هذا المعنى وهو القوّال جرجس افندي عبد الله معلوف :

الاحرار عمّال يرجعوا عابلادنا	كل منهم كان بالغربه اسير
كانوا اسارى انما اقلامهم	من هولها شابوا الطفالى بالسرير
لا تظن الشعب خامل بالتمام	مثلما بفكرك وقايم للشخير
في التمادي كل شيء بينوجد	وما احد نال المعالي بالجعير
عندك بلبنان كل شهم بتفتخر	فيه البلاد واليه بالاصبع تشير
ظلم الحكومه غصب عنهُ بيجبره	ان يكون ذليل وجبان وحقير
حيث لو تلفظ بكلمه واحده	بيسركلوه وبينشروا عنقه نشير
كام مرّه فتّشوا ضمن البيوت	عشرين مرّه يفتّشوا بيوم القصير
عاشان ورقه او جريده عادله	للكبير بيلقطوا ثم الصغير
وبيرفعوا قرارات عليها يصادقوا	القاضي والقائمقام ثم المدير
ذاك الزمان الحمد لله قد مضى	والظلم مات وعمره اصبح دثير

ومما نظمهُ في جونية ارتجالًا القوّال ناصيف مخايل مراد العرموني قولهُ بعد مطلع القصيدة :

يا اسلام ومسيحيه اسمعوا لي ها القضيه اهل الارض بطول وعرض
يقولوا تحيا الحرّيه

(الردّة) يا اهالي كسروان صيحوا معي بفرد لسان فليحيَ آل عثمان
ركن الدوله العليه

اهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحرّيه فليحيا نيازي وانور
والجيوش الشاهانيه

اهل الارض بكاملها من اولها لآخرها تركيا الله يعمرها بجاه ربّ البريه
بطل روح الاستبداد نادوها بكل البلاد زمان الماضي ما بينعاد الظلم نجومه مخفيه
مات الظلم وتلاشى الناس غنت بماشا الله يديم انور باشا ابو الهمه القويه

ما شا الله مدينة بيروت ونصارتها ومسلمين شعبا مكيّف مبسوط وكل البشر فرحانين
فيها ما عاد حدا يموت لا بقواس ولا بسكين ولا يصير فيها طرح صوت البسطا والاشرفيه

وما اكتفى شعراؤنا بتزييف ما مضى وكشف القناع عن سيئات الاشرار بل استرسلوا في وصف الهناء الحاضر والامان الشامل واطلقوا العنان للآمال الطيّبة في انحسام الداء واستقامة العوج فمدحوا العدل وعظَّموا الاخاء وأثنوا على المساواة فكادوا يسقوننا كوثر السعادة فنثمل بسلافة الاجيال الذهبية. قال صاحب العزّة سعيد بك شقير يخاطب الجند العثماني:

اليوم نمرح احرارًا بفضلكمُ نغدو ونمسي ولا همٌّ ولا نصَبُ
قد أُطلق الحرُّ من سجنٍ أُهين بهِ وعاد للوطن المحبوب مُغترِبُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم ولا جرائد تأتينا فنرتعبُ
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا وان جلسنا فلا جاسوس يرتقبُ
ننامُ في الليل لا الاحلام تقلقنا وننهضُ الصبح لا خوفٌ ولا رعبُ
كم بين حالٍ اتتنا كلُّها طربٌ وبين حالٍ عدَتْنا كلها رهبُ

وقال اسعد افندي رستم:

يا معشر القرّاء سرُّوا وافرحوا بشرى تطيبُ بها قلوب المعشرِ
من ذا يصدّق انّنا في نعمةٍ كبرى هنا من بعد ويلٍ اكبرِ
فالعدل قد شمل الجميع بظلّهِ والناسُ بين مهلّلٍ ومكبّرِ
لمَّا رأى الاحرارُ انَّ الظلم م يفعل في الورى فعل الهواء الاصفرِ
هذا تضيع حقوقهُ ويُسامُ ذا خسفًا وذا يقضي بطعنةِ خنجرِ
منعوا الرعايا سؤلهم فتخلّصوا من كل مأمورٍ يجورُ ويفتري
والخائنون تشتّتوا فتطهَّرت اوطاننا من شرّ ذاك العنصرِ
ولقد تمدَّن اولياء امورنا حتى ليندر ان يقولوا «[illegible]»
وخلاصة الاقوال يا قرّاءنا جوُّ السياسة راق بعد تكدّرِ

ولقد اقيمُ اليوم مجلس امّـتهِ يقضي و يمضي عن هدًى وتبصُّرِ
وعلى التظلّم صار يجسر كلُّ من قبلًا عليـهِ مخافةً لم يجسرِ

حتى ختمها بقولهِ :

تحيا المساواة التي لا فرق ما بين ابنِ سرسقَ عندها والسنكري

وهذه الشواعر يجاهر بها العثمانيُّون على اختلاف ولاياتهم وتباين نزعاتهم نسمعها من الحدباء والزوراء كما يتغنَّى بها اهل الشهباء والفيحاء . قال السيّد عبـد القادر العبادي ّ البغدادي ّ :

تولَّى زمانٌ كنَّا فيـهِ نُحقَّرُ واقبـل عصرٌ صرنا فيهِ نوقَّرُ
ولاحت بافق المجد شمسُ عدالة بها قد غدا وجهُ البسيطةِ يزهرُ
ألا انَّ عصرًا جاء بالعدل مشرقًا هو العصرُ لا عصرٌ من الظلم اغبرُ
رعى الله عصرًا فيهِ للحرّ راحةٌ يقولُ فلا يخشى الانامَ ويظهرُ
يبيتُ قريرَ العين غير مفكّرٍ بما كان قبل اليومِ فيهِ مفكّرُ

وقال الشيخ معروف افندي الرصافي ّ :

أكرمْ بعصر حبانا بالمساواةِ وخصَّنـا بالتهـاني والمسرَّاتِ
عصرٌ بهِ الحرُّ مأمونٌ ومحترمٌ وكان يُرمى بانواعِ الضلالاتِ
عصرٌ بهِ العـدل وافانا باسرتهِ والظلمُ ولّى باصحاب الدناءاتِ
عصرٌ بهِ قد تآخينا فليس ترى بعـد الاخاء طريقًا للمداواتِ
عصرٌ بهِ قد امنَّا كلَّ غائلـةٍ من عصبة الشرّ ابناء السفاهاتِ
الله اكبرُ هذا العزُّ فابتكروا خير الدعاء الى ربّ السماواتِ

وقال في دمشق الاديب محمَّد شاكر ياسين :

قُلْ ولا تخشَ ملامًا او ملَلْ انَّ نجمَ الحيفِ والخوف أفَلْ

الى ان قال :

فتهنَّأ ايهـا الشرقيُّ وقُلْ بلغ الشرقيُّ غايات الأمـلْ
بلغ الشرقيَّ ما يأملـهُ والى العلياء بالجدّ وصَلْ
ايها الشرقيُّ قد بُلّغتَ ما كنتَ ترجوهُ فهل ثمَّ خلَلْ
قل لمن عاب الذي بُلّغتـهُ انَّ طيب الورد مؤذٍ بالجُعَلْ
فانبذ البغضاء والحقد ودَعْ كلَّ ما فيهِ فسادٌ وزَغَلْ
كنتَ لا تملكُ امرًا ثم قد صرتَ ذا امرٍ فلا تخشَ الزلَلْ
صرتَ حرًّا ضمنَ قانونٍ بهِ كلُّ ما يأملُهُ الشرقيُّ حصَلْ

كلّ من في الشرق اخوانٌ فلا فرقَ بين الخَلْقِ من كلّ النِحَلْ
واذا رمت افتخارًا فافتخر بالذي تأتيهِ من خير العمَلْ
قُلْ لمن كان ظلومًا غاشمًا اعتدلْ او فاعتزلْ فالعدلُ حَلْ

ولم يشاؤوا ان تنحصر تلك النعم في الرجال وحدهم بل دافعوا عن حقوق المرأة ايضًا وطلبوا تهذيبها وتحريرها. فقال حضرة الشاعر خليل افندي بطرس حلوه:

أطلقوا روحها أنيروا نُهاها قد كفاكم إذلالُها وكفاها
هي ليست من دونكم ان يكُ م الله كما قيل منكم قد براها
ان تكونوا من الثرى قد نشأتم فلقد كان ضِلعكم منشاها
أجهلتم انَّ الاضالع بالإخلاص م تحمي قلوبكم في حماها
فافتحوا عقلها ألا حرّروها نحن نَعمى اذا غوت بعماها
هل نسيتم ايّام كنتم على الثد يِ وكانت تعزّكم يمناها
هي مفتاح ذلّنا وعُلانا فارفعوها وأكرموا مثواها
ليس احلى من قلب مَرْأَةٍ فضلٍ نهتدي في طريقنا بهُداها

لكنّهم عرفوا انَّ هذا التغيير لا يأتي بنتيجة الّا اذا ثبت على اصول راهنة ودعائم وطيدة لاسيما الاتّحاد. قال جناب أيّوب افندي ثابت يلعن الانقسام:

قاتل الله كلَّ من رامَ شرًّا بأخيهِ وعاشتِ الوطنيّهْ
قسمتنا يدُ المفاسد دهرًا فانقسمنا فكان ذلك بليّهْ
يا لقومي ان تُقسَموا لا فلاحٌ انما تفلحون بالعصبيّهْ
ان ضحكنا فلنضحكنَّ كفردٍ او بكينا فنوا لنبكِ سويّهْ

وبيّن الاديب بشير الفورتي في التقدُّم التونسي فضل الاتّحاد بقولهِ:

ليس يُرجى لامّةٍ من فلاحٍ غير ان هبّ كلُّهم فردَ هبّهْ
شعراءُ الزمان كم نبّهتنا بغناها وكم خطيبٍ بخطبهْ
انَّ كسر العصاة سهلٌ ولكن كسرةُ العشر بانضمامٍ صعبهْ
نحن ان ظلَّ جمعُنا في شتاتٍ ليس يُرجى لحالنا من قلبهْ
من رمي بالدواء وهو عليلٌ كيف تقوى على شفاهُ الأطبّهْ

وكذا يحرّض جناب الشاعر نعوم بك شقير على التعاضد:

بني امّي اسودَ البرّ هيّا نموتُ اليومَ او نحيا سويّهْ
حذارِ فتنةً تسعى الينا تحرّكها مطامعُ اشعبيّهْ
حرامٌ أن تُراقَ لنا دماءٌ مزكّاةٌ وارواحٌ بريّهْ
ليعضدَ بعضُنا بعضًا ونبني امانينا على أسسٍ قويّهْ

ففي ضمّ القلوب الخيرُ بادٍ وفي تفريقها شرُّ البليّه
وُقيتم كلَّ نازلةٍ وكربٍ وأعلى شأنكم ربّ البريّه

هذه بعض الشذور الذهبيّة والاقوال الدريّة (١ نظمناها على شبه عقد يزدان بهِ جيد الآداب العصريّة ولعمري انّها لجديرة بالاسم الذي حلّيناها بهِ فدعوناها « بالحماسة الدستوريّة » اذ كلها ترمي الى غرض واحد اي الدستور الذي حظي بهِ العثمانيّون فحسبوهُ كنهاية عالم عتيق كبا زندهُ وتضعضع ركنهُ وكمفتتح عهد جديد اشرقت بهجتهُ وتلألأت غرّتهُ فكأني بهم يردّدون جميعاً بلسان واحد قول نعوم بك شقير :

لِتَهجُر بيضُنا الأغمادَ حتى نُقِرَّ العدل والدستور فينا
من الدستور لا نرضى بديلًا ولو طُحنت اضالعُنا طحينا

فكلُّ هذه الاقوال وغيرها ايضاً مما يطول ذكرهُ تُعرب عن رغبة الأمّة في خلع نير العبوديّة وعن ارتياحها الى الامن والسلام والوفاق والانضمام. وهي عواطف شرعيّة لا ينبذها الّا الذين يودّون الضغط على النفوس ويريدون ترويج نيّاتهم السيئة وغاياتهم الشخصيّة • •

ولو كان الذين قرضوا القريض ونظموا القصائد اكتفوا بان يترجموا عن هذه العواطف الشريفة لأثنى عليهم كلّ عاقل وشكر احساساتهم اللطيفة واطنب على رغبتهم في الخير العامّ ونقلَ اقوالهم العسجديّة في كل ناد ورواها على رؤوس الاشهاد وقد يسوءنا انَّ بعض هؤلاء الناظمين تجاوزوا الحدود ومالوا الى التطرّف

فمن تلك المبالغات التي لا يرضى بها العقل ويستقبحها شرع الامم المتمدّنة والهمجيّة معاً نبذ بعضهم لمبدإ الرئاسة. لا بأس ان تكون الرئاسة مقيّدة لئلّا تستبدّ ولكن اين هذا من مبدأ اهل الفوضى الذين لا يرضون برئيس ولا سلطان فيعرّضون العمران البشري لكلّ الآفات وضروب النكبات. وعليهِ لا يسعنا المصادقة على ما قالهُ في اميركة جرجس افندي عبد الله معلوف في جوابهِ على الاديب اسعد افندي جرجس مارون وهو يدّعي انهُ من المتأخرين لمدافعتهِ عن الرئاسة :

دافعت يا ابن الذكا بدون اقتدارْ عن الرياسة مع انّها اصل الخرابْ
مهما حكيت وقلت عندي بتنعذر حيثك من الجيل العتيق بتنحسب

(١ لا جرم انهُ فاتنا شيء كثير من القصائد الدستوريّة التي لم تبلغ الى يدنا او بلغتنا بعد كتابة هذا الفصل. ولعلّنا نعود اليها ونجمع منها نبذة ثانية اذا توفّرت لدينا المادّة

ثم يعدّد مساوئ البعض حاملًا على المجموع ذنب الافراد فيقول سامحهُ الله:

جبّة السوداء ودقون الكبار خربوا الجبل حتى نعق فيهِ الغرابْ
رجال الحكومه كلهم كانوا غجر ما يهمّهم غير بطنهم مثل الذيابْ

فيا لله أهكذا يُعرّف فضل مئين من الذوات من اساقفة وكهنة وشيوخ الذين سعوا في اجيال الظلم في الدفاع عن حقوق المظلومين ومساعدة البائسين. وهل نال اليوم الشعبُ كل رغائبهِ لتشدُّق بعض اهل الثورة كما قال:

والجرائد اظهرت افكارها بتقدُّمتهم صار جرنال النصيرْ !!
وانتقد في كلّ لهجه قاسيه ما بقا يهمّه مليك ولا وزيرْ

واساء بعض الشعراء ايضًا اذ نادوا بالمساواة ليس فقط في الحقوق والعدل ولكن بالرتب ايضًا وتباين الطبقات (راجع مقالتنا في المساواة في المشرق ١١: ٨٦٣) فلا يرضون لا بسيّد ولا امير ولا بعالم ولا غنيّ. وقد احسن جناب الاديب الحلبيّ ويكتور خياط اذ افحمهم بقولهِ:

عظمَ الخطبُ واعترانا البلاء ودهتنا المصيبةُ الدهماء
وبُلينا من الزمان بقومٍ هم بما يفعلونهُ اغبياء
زعموا انَّ في المساوي التساوي فبغوا كيفما احبُّوا وشاؤُوا
واستباحوا المحرَّمات ونادوا تلك حرّيةٌ وهذا اخاء
كلُّنا اليومَ سيّدٌ واميرٌ كلُّنا اليوم في العلى أكفاءُ
ليس فينا علّامةٌ يتباهى بعلومٍ بل كلُّنا علماء

أيها الناسُ قد ضللتم سبيلًا وخبطتم كأنّكم عشواء
ما التساوي ان تستوي ادنياءٌ وسراةٌ او ظلمةٌ وضياء
ما التساوي ان يساوى الجهل والعقلُ م وتعلو المناصبَ السفهاء
واذا استنسر البغاثُ بقطرٍ فعلى تلكُم البلادِ العفاء
فدعوا الفصل للحكيم وقول م الحقّ للعاقلين يا جهلاء
ليس من ينكر المساواةَ حكمًا أنّنا نحن في الحقوقِ سواء

ومنهم من اطرأوا حرّية المطابع الى حدٍّ فاحش فجعلوا الطعن بالاشخاص دينًا وشتم الكرام ديدنًا. وعليهِ قد اصاب الاديب جرجي افندي نخله سعد في تنديدهِ بالصحافة السيئة بقولهِ:

كثرت عندنا الجرائد حتى اوشكت ان تُناهز العشرينا
وكثيرٌ يسعى لنيل امتيازٍ فكأنَّ الموجود لا يكفينا . . .

ازعجوا القارئين في كل يومٍ بمواضيعَ ملَّها القارثونا
ثم ظنّوا حرّيَّة القول ان م يتّخذوا الطعن والوقيعة دينا
ما ارى في جرائد العصر الّا سفسطاتٍ تُخَطُّ حيناً فحينا
نعمْ واحدٌ يعادُ علينا قد شبعنا من سمعهِ ورَوينا
ليت شعري كم يبحثون بامرٍ ليس يدرون غثَّهُ والسمينا
أجهم يعلم السياسة والفقه وعلم الجغرافيا والفنونا . . .
ليس يكفي ان ندرس الصرف م والنحو وندري التحريك والتسكينا
انَّ فنَّ التحرير اصعبُ ممَّا ظنَّ بعضٌ وقد اساء الظنونا

واسوأ من هؤلاء اولئك الذين توسَّلوا بالدستور فاستباحوا في شعرهم ذمار الدين وانتهكوا حماهُ وبخسوا حقوق ممثّليهِ . فترى هذا ينسب الى الدين كلّ الشرور واسباب النفور والدينُ كما لا يخفى يأمر بالاخاء والتحابّ (راجع مقالتنا عن الاخاء في المشرق ١١ : ٩٣٢) . وذاك يزري بالخطباء ويتهمهم حتى انهُ آثار عليهِ خواطر الجموع . وغيرهُ يدَّعي انَّ الدين لا دخلَ لهُ في العمران وانهُ من المسائل العرضيَّة :

خلِّ قسّي وشيخكم في جدالٍ واحكِ لي في المسائل الجوهريَّه

وان ذكر الذين حُكم عليهم بالظلم في وقت الاستبداد تعجَّب أنَّهم لم يُكرَموا كآلهة مثل السيّد المسيح (زه زه) :

مات عيسى فألَّهتْهُ الوفٌ وألوفٌ ماتوا وراحوا ضحيَّه !!!

ويجعل آخر كلَّ الاديان متساويةً كلها صحيحة والله موجدها على اختلافها :

أوَلا تدري انَّ ربَّك يُعبَدْ بجميع الاديان اذ يتمجَّدْ
ذاك يدعو عيسى وهذا محمَّدْ انَّ لله في التباين مقصَدْ
فاتّقوا الله موجد الاديانِ

فعلى هذا القول يكون الله موجد دين الهنود والصين والاصنام الرجسة وكل الطواغيت ولله تعالى عمّا يقولهُ الكافرون مقصدٌ بتباين هذه الاديان . فليت شعري أيوجد كفر اعظم من هذا . فننشدكم الله ايها الشعراء صونوا قرائحكم من كل امتهانٍ . ولا تبتذلوا موهبةً جاد بها عليكم المنّان . بل اشحذوها لمدح كل جميل . ونزّهوها عن كل قبيح ذليل . فكل ما يشين الاقلام . سوف يجد الانسان تبعتهُ في آخر الايام . كما قيل :

فارغب لكفِّكَ ان تخطَّ بنانها خيرًا تخلّفهُ بدارِ غرورِ
فجميعُ فعل المرء يلقاهُ غدًا عند التقاء كتابهِ المنشورِ

*

ملحق ثانٍ

لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر

منظومات الوقائع الدستورية

وصفنا سابقًا (١٥٣—١٦٨) ما كان لاعلان الدستور في قلوب العثمانيين من حسن الموقع وكيف اورى الامر زناد قرائحهم فنظم شعراؤهم في ابراز عواطفهم تلك القصائد المطربة التي انتقينا منها بعض فرائدها في مقالة دعوناها بالحماسة الدستوريَّة لِما وجدنا بين شعر ناظميها والحماسات العربيَّة من العلاقة والائتلاف

ومذ ذاك الحين قد جرت في انحاء الدولة عمومًا وفي عاصمة تركيا خصوصًا امور خطيرة ووقائع اثيرة اهتزَّت لبعضها الالباب فرحًا وأدمت غيرها القلوب ترحًا فقامت الاقلام تتراوح بين وصف المسرَّات وتعداد المفجعات وتمثّل ما يسيل في عروق تاليها من دم الغيرة الناريَّة وعزَّة النفس والحريَّة. فرأينا ان نجمع تلك اللآلئ فننظمها في سلك واحد فانَّ في جمع شتاتها وصَوْغ سبائكها اجود مثال لتعريف الآداب العصريَّة ولبيان الترقية العقليَّة في العشر الاوَّل من القرن العشرين

وقد توفَّر عدد تلك الآثار الادبيَّة حتى انَّها لو جُمعت لتألَّف منها ديوان كبير ولعلَّ بعض الادباء يهتمّ في نشرها يومًا. وانَّما اثبتنا منها هنا نخبةً فقط بيانًا لفضل اصحابها. وقد اتَّبعنا في تدوين تلك الشذرات تاريخ الوقائع كما جرت بعد اعلان الدستور الى تاريخ هذا اليوم

١ قصائد عموميَّة في الدستور وجمعيَّة الاتحاد والترقي

انَّ كثيرًا من الشعراء وجدوا في مدح الدستور وجمعيَّة الاتحاد والترقي مجالًا واسعًا اطلقوا فيهِ العنان لطِرف قرائحهم فممَّا وقفنا عليهِ من اقوالهم بعد فصلنا السابق رائيَّة

الشاعر الوطني عبد الله افندي البستاني قال فيها واصفاً لشقاء البلاد قبل الدستور:

لا آب عصرٌ لم تكن ساعاتهُ الّا ليحسبها الأبيُّ عصورا
قد كان يبكيهِ اليراعُ اذا بكى دمعاً تنظّم في الطروس سطورا
ونفى الكرى عنهُ مخافة ان يرى رؤيا يجبُ لهولها مذعورا

الى أن قال:

فبغرّة الدستور آب ذوو النهى من كلّ صقع يبسمون ثغورا
وعنت رقاب المضلات لكل ذي رأي بهِ انقلب العسيرُ يسيرا
وتهتّكت حُجبُ الظلام وكم ابى متهتّك تحت الهلال النورا
ان يذوِ غصنُ الروض في زمنٍ خلا فبنعمة الدستور عاد نضيرا

وقال شاعر مصر الشهير احمد شوقي بك:

بشرى البريّة قاصيها ودانيها حاط الخلافة بالدستور حاميها
لمّا رآها بلا ركنٍ تداركها بعد الخليفة بالشورى وناديها

ثمَّ وصف الشورى شاكراً للسلطان عبد الحميد على رضاهُ بها:

الرأي رأي امير المؤمنين اذا حارت رجال وضلّت في مراثيها
وانما هي شورى الله جاء بها كتابهُ الحقُّ يعليها ويغليها
حقنت عند مناداة الجيوش بها دم البريّة ارضاء لباريها
ولو منعتَ أُريقت للعباد دما وطاح من مُهجِ الاجناد غاليها
ومن يَسُس دولةً قد سُسْتها زمناً تهن عليهِ من الدنيا عواديها
اني ثلاثون حولاً لم تذق سِنَةً ولا استخفّتك للّذّات داعيها
مسهّد الجفن مكدور الفؤاد بما يضني القلوب شجيّ النفس عانيها
تكاد من صحبة الدنيا وخبرتها تُنسي ظنّك بالدنيا وما فيها

وقال في المساواة واتحاد العناصر:

الدين لله من شاء الالهُ هدى لكل نفس هوًى في الدين ينهيها
ما كان مختلف الاديان داعيةً الى اختلاف البرايا او تعاديها
محبّة الله اصلٌ في مراشدها وخشية الله اسٌّ في مبانيها
وكلُّ خير يلاقي في اوامرها وكلّ شر يوقّى في نواهيها

وختم بقولهِ:

يا شعب عثمان من عُربٍ ومن تركٍ حيّاك من يبعث الموتى ويحييها
نلتَ الذي لم ينلهُ بالقنا احدٌ فاعنف «لأنورها» واحمد «نيازيها»

وجاراه قيصر بك المعلوف معتمد الدولة العثمانيّة في سان باولو يمدح ابطال الدستور بقوله:

سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند سلامٌ على سيفِ ابن بغداد في الغمدِ
سلامٌ على الابطال في ساحة الوغى سلامٌ على من باتَ منهم في اللَّحدِ

ومنها:

لك اللهُ يا جيشَ ابن عثمان ناصرٌ فانت خليقٌ بالتجلّةِ والحمدِ
نصرتَ على الظلمِ المساواةَ والاخا ولم تكترث لا بالوعيد ولا الوعدِ
جعلتَ لنا الدستور اعدلَ حاكمٍ وكنّا رهيني ظلمِ محتكمٍ فَرْدِ
اعدتَ حياةً للورى بعد اذ غدت تمدُّ البقا من جمالةِ الطالعِ النكدِ
فما كان من عيشٍ سوى الذلِّ لِلفتى وما كان غير الموت للحرّ من وردِ

وختمها بقولهِ:

سلامٌ عليكم من فتى يعشق الوفا سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند

وقال شاعر آخر من مهاجري اميركا شبل افندي ناصيف دمّوس قصيدة طويلة سمها بدار السعادة هذا مطلعها:

دارَ السعادة عاد المجدُ فابتسمي وربعُك اليوم ربعُ السعدِ والنعمِ
دارَ السعادة انت اليومَ آهلةٌ بالظافرين من الاحرار فاحتكمي
بالامسِ وجهُك بالظلمات ملتثمٌ واليومَ بالنور اضحى غير ملتثمِ

الى ان قال:

نادى نيازي فحولَ الحربِ حين بدا داءُ التقهقر يبلي الملك بالسقمِ
هبُّوا فقد مادتِ الدنيا بأمّتكم كمن أُصيبت بداء العيّ والهرمِ

ثم وصف نهضة الجيش قائلًا:

علت من الجيش ضوضاءٌ لها سكنت من شدَّةِ الخوفِ نفسُ الليث في الاجمِ
تحالفَ الجيشُ لا ينفكُّ يشهرها حربًا تسيلُ دما الابطالِ كالدِّيَمِ
او ينشروا فوق اسطنبولَ ألوية الـ ـحرّيّة البكر تُحمى في سيوفهمِ
ماجت فيالقهمْ موج الخضمِّ وقد ضجَّت مُنَسِّير من تصهالِ خيلهمِ
وصمّموا ان يكون النصرُ قائدَهم وان يسير الردى في جانبِ العلَمِ
وعندما أعلن الجيشُ المسيرَ هوت معاقلُ الظلم عن جبنٍ وعن وَجَمِ
وغادر الظالمون الملكَ وارتحلوا منهُ بخزيٍ يليهِ عارُ منهزمِ
لله من هيبة للجيش قد فعلت بالظالمين كفعلِ الصارمِ الخذِمِ
واشرقت فوقَ اسطنبول نيّرةً شمسُ التحرّرِ تمحو ظلمةَ القِدَمِ

الشاعر الوطني عبد الله افندي البستاني قال فيها واصفاً لشقاء البلاد قبل الدستور:

لا آب عصرٌ لم تكن ساعاتهُ الَّا ليحسبها الأبيُّ عصورا
قد كان يبكيهِ اليراعُ اذا بكى دمعاً تنظَّم في الطروس سطورا
ونفى الكرى عنهُ مخافة ان يرى رؤيا يهبُّ لهولها مذعورا

الى أن قال:

فبغرَّة الدستور آب ذوو النهى من كلّ صقع يبسمون ثغورا
وعنت رقاب المعضلات لكل ذي رأي بهِ انقلب العسيرُ يسيرا
وتهتَّكت حُجبُ الظلام وكم ابى متهتِّك تحت الهلال النورا
ان يذوِ غصنُ الروض في زمنٍ خلا فبنعمة الدستور عاد نضيرا

وقال شاعر مصر الشهير احمد شوقي بك:

بشرى البريَّة قاصيها ودانيها حاط الخلافة بالدستور حاميها
لمَّا رآها بلا ركنٍ تداركها بعد الخليفة بالشورى وناديها

ثمَّ وصف الشورى شاكراً للسلطان عبد الحميد على رضاهُ بها:

الرأي رأي امير المؤمنين اذا حارت رجال وضلَّت في مرائيها
وانما هي شورى الله جاء بها كتابهُ الحقُّ يعليها ويغليها
حقنت عند مناداة الجيوش بها دم البريَّة ارضاء لباريها
ولو منعتَ أُريقت للعباد دما وطاح من مُهجِ الاجناد غاليها
ومن يَسُس دولةً قد سُسْتها زمناً تهُن عليهِ من الدنيا عواديها
اتى ثلاثون حولاً لم تذق سِنَةً ولا استخفَّك للَّذَّات داعيها
مسهَّد الجفن مكدور الفؤاد بما يضني القلوب شجيّ النفس عانيها
تكاد من صحبة الدنيا وخبرتها تُسيءُ ظنَّك بالدنيا وما فيها

وقال في المساواة واتحاد العناصر:

الدين لله من شاء الالهُ هدى لكل نفس هوًى في الدين يعنيها
ما كان مختلف الاديان داعيةً الى اختلاف البرايا او تعاديها
محبَّة الله اصلٌ في مراشدها وخشية الله اسٌّ في مبانيها
وكلُّ خير يلاقي في اوامرها وكلّ شر يوقَّى في نواهيها

وختم بقولهِ:

يا شعب عثمان من عُربٍ ومن تركٍ حيَّاك من يبعث الموتى ويحييها
نلتَ الذي لم يَنلهُ بالقنا احد فاهتف «لأنورها» واحمد «نيازيها»

وجاراهُ قيصر بك المعلوف معتمد الدولة العثمانيَّة في سان باولو يمدح ابطال الدستور بقوله:

سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند ... سلامٌ على سيفِ ابن بغداد في الغمدِ
سلامٌ على الابطال في ساحة الوغى ... سلامٌ على من باتَ منهمُ في اللحدِ

ومنها:

لكَ اللهُ يا جيشَ ابن عثمان ناصرٌ ... فانت خليقٌ بالتجلَّةِ والحمدِ
نصرتَ على الظلمِ المساواةَ والاخا ... ولم تكترث لا بالوعيد ولا الوعدِ
جعلتَ لنا الدستور اعدلَ حاكمٍ ... وكنَّا رهيني ظلمِ محتكمٍ فَرْدِ
اعدتَ حياةً للورى بعد اذ غدت ... تعدُّ البقا من جملةِ الطالعِ النكدِ
فما كان من عيشٍ سوى الذلّ للفتى ... وما كان غير الموت للحرّ من وردِ

وختمها بقولهِ:

سلامٌ عليكم من فتى يعشق الوفا ... سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند

وقال شاعر آخر من مهاجري اميركا شبل افندي نصيف دموس قصيدة طويلة وسمها بدار السعادة هذا مطلعها:

دارَ السعادة عاد المجدُ فابتسمي ... وربعُك اليوم ربعُ السعدِ والنعمِ
دارَ السعادة انت اليومَ آهلةٌ ... بالظافرين من الاحرار فاحتكمي
بالامسِ وجهُك بالظلمات ملتثم ... واليومَ بالنور اضحى غير ملتثمِ

الى ان قال:

نادى نيازي فحولَ الحرب حين بدا ... داء التقهقر يبلي الملك بالسقمِ
هبُّوا فقد مادتِ الدنيا بأُمَّتكم ... كمن أُصيبت بداء العيّ والهرمِ

ثم وصف نهضة الجيش قائلًا:

علت من الجيش ضوضاء لها سكنت ... من شدَّةِ الخوفِ نفسُ الليث في الاجمِ
تحالفَ الجيشُ لا ينفكُّ يشهرها ... حربًا تسيلُ دما الابطالِ كالدِّيمِ
او ينشروا فوق اسطنبولَ أَلوية الـ ... حرية البكر تُحمى في سيوفهمِ
ماجت فيالقهم موج الخضمِ وقد ... ضجَّت مُنْتَشِيرِ من تصهالِ خيلهمِ
وحتَّموا ان يكون النصرُ قائدهم ... وان يسير الردى في جانبِ العلَمِ
وعندما أعلن الجيشُ المسيرَ هوت ... معاقلُ الظلم عن جبنٍ وعن وَجَمِ
وغادر الظالمون الملكَ وارتحلوا ... عنهُ بخزيٍ يليهِ عارُ منهزمِ
لله من هيبةٍ للجيش قد فعلت ... بالظالمين كفعلِ الصارمِ الخذمِ
واشرقت فوق اسطنبول نيّرةً ... شمسُ التحرُّر تمحو ظلمةَ القِدَمِ

فوحّدوا امّة من قبلُ مزّقها الـ ـتفريقُ في الدين والاجناسِ والقِسَمِ
تألّقت دولـة الاحرار ماحيـةً آثار دولة ظلمٍ كالحٍ قَتِمِ
فطهّرت كل إفسادٍ وقد نهضت كليثِ غابٍ على موذيهِ مقتحمِ
تبغي بأمّتها العلياء منزلـةً تنالها بصحيحِ الرأي والهممِ
لا زلتِ يا دولةَ الاحرار ثابتـةً منيعةً لا تخافي غدر مهتضمِ
فابقي لهم دولة الاحرار ساكـنةً دار السعادة في عزٍّ وفي نعمِ

وعارضهُ نزيل نيويورك سليمان افندي داود فقال قصيدة في معناها نختار منهـا الابيات الآتية:

صاح بوق الاخاء والحريّهْ والمساواة من فروق العليّـهْ
صاح بوق الانصاف والعدل حتى زعزع الارض والذُّرى العلويّهْ
وانبرى طُرْبيدُ الحقيقةِ يدوي كهزيمِ الرعود في تركيّهْ
حسِبَ الغربُ هبّة الشرق نوماً ورماها بأنهـا وهميّـةْ
كذب الغربُ انّ في الشرق قوماً بشفار الصمصام شقّوا الدجيّهْ (؟)
صبروا حقبةً وماتوا كراماً وقلالٌ اولو النفوس الابيّهْ
رحم الله كلَّ من مات حرّاً في سبيل المصالح الوطنيّهْ
أيّها البوسفورُ طوبى لارضٍ فيك فاحت روائحاً عطريّهْ
كنتَ قبلًا خلوًا من الطيبِ واليو م لقد بتّ روضةً عبقريّهْ
أغرق الظالمون فيك أناساً دون أن يأتوا منكرًا او فريّهْ
بَيد أن الاحرار هبّوا اسوداً من مُنَسْتِرْ جمعةً شرقيّهْ
فتعزَّ يا شرقُ من غابر الاز مانِ واركبْ متنَ العلاء مطيّهْ
وانظر الغرب فهو سارٍ حثيثاً ولقد اعلى في العُلَى كرسيّهْ
ها زمان القعود ولّى وقد حان زمان النهوض يا تركيّهْ

وهذه ارجوزة حيّا بها الحريّة الدكتور توفيق افندي سلوم فقال:

الحمد لله على الحريّهْ فهي اجلُّ منحةٍ سنيّهْ
كم سُفكت لاجلها دماءْ ومزّقت لنيلها احشاءْ

ومن ابياتها العامرة قولهُ:

قد زال بل قد مات الاستبدادُ والظلمُ والجورُ والاستعبادُ
وجاءنا السرورُ والهناءْ والعدلُ والسواءْ والإخاءْ
وجاءت الحريّة المزدهره وطيّبت قلوبنا المنكسره
فمرحباً بها واهـلًا مرحباً يا ما أُحيلى ذكرها واطيبا
لكنّ بعض الناس قد اساؤوا تفسيرها فخبطوا ما شاؤوا

ما الحرُّ من يرتكب الجرائما ويفعلُ المنكرَ والمآثما
ما الحرُّ من يقلّل الحياء سفاهةً ويكثر الهراء
الحرُّ ذو الضمير والوجدانِ والطاهرُ الفؤادِ واللسانِ
من لا يخاف في سبيل الحقّ لوماً ولا يقولُ غير الصدقِ
الحرُّ من يوقّر الكبيرا تأدّباً ويرحم الصغيرا
يعطي لكلّ حقّهُ من الملا ولا يضرُّ احدًا ولا ولا . . .
هذا هو المراد بالحرّيّة ليس تعدّينا على البريّه

٢ مجلس المبعوثان — الارتجاعيّون

لا تقوم الحكومة الدستوريّة الّا بشورى تتألّف من رجالٍ ذوي خبرة وتروٍ يمثلون الأمّة وينوبون عن افرادها . اما انتخاب هؤلاء النوّاب فيجري بمقتضى قوانين تختلف في كل بلد . ولا حاجة أن نثبت ما جرى في جهاتنا بعد ان روتهُ الصحف السيّارة بكل تفاصيلهِ . وقد نجز تعيين المندوبين في اوائل كانون الاوّل من العام الماضي . وفي ١٧ منهُ افتتح السلطان عبد الحميد ذلك المجلس باحتفال عظيم اشتركت فيهِ كل الولايات وتكرّرت المظاهرات الشائقة التي جرت يوم اعلان الدستور . وممّا قالهُ الشعراء في ذلك اليوم قصيدة انشدها عزتلو نعوم بك شقير يحيّي بها مجلس المبعوثان فقال :

رفاقي ردّدوا صوت المنادي الى الافراح في كل البلادِ
فهذا اليوم في الاوطان عيدٌ تسرُّ بهِ الحواضر والبوادي
وفيهِ يُشادُ للاصلاح ملكٌ على انقاض مملكة الفسادِ
وتأهل دارُ ندوتنا بأسدٍ لهم في كل مأثرة ايادي
فسرّوا وارفعوا الرايات بيضاً فقد ادركتمُ اقصى المرادِ
وحيّوا اليوم جامعة الترقّي وأعلنوا شأنها في كل ناهِ
فما يُرجى لمملكةٍ رقيٌّ ولا نصرٌ بغير الاتحادِ

وختم ابياتها الحماسيّة بقولهِ :

فهبّوا يا بني عثمان طرًّا نجاهد للعُلى خيرَ الجهادِ
وننهض كلّنا ديناً وجنساً بإجماعٍ يكفُّ يد العوادي
ونبني المجد صرحاً فوق صرحٍ ونجني العزّ بالبيضِ الحدادِ
وننصر راية الوطن المفدّى رجاء النصر من ربّ العبادِ

ورحّب جناب الشاعر البليغ وليّ الدين يكن المصري بنوّاب الدستور بقصيدة رائيّة مطلعها :

جلتِ النواظرُ للنواظرْ برحَ الخفاء عن الضمائرْ

ثم ذكر البؤس السابق :

بالامس كنا معشرًا يبكي لحالتنا المعاشرْ
تقتادنا الايدي الاثيـــمة للسجون او المقابرْ
ويصول انصارُ المليـــكِ على الاكابر والاصاغرْ

وانتقل الى وصف مجلس النوّاب بقولهِ :

لله قصرٌ شامخٌ مدُّ النواظرِ عنهُ قاصرْ
قصرٌ بهِ يعلو النسا وي رأسَ مأمورٍ وآمرْ
ضاعت مفاتيحٌ لـهُ واليومَ تفتحهُ السماهرْ
جُمعت مدارهُ فيهِ عن كلّ القبائل والعشائرْ
يتـاشورون بامرهم والله في عون المشاورْ
الآن لمّا صار مـا خلناهُ دهرًا غيرَ صائرْ
وسعى الكريمُ الى الكريـــم موءازرًا نِعم المؤازرْ
كادت بلاد الله تر قصُ حين اقبلتِ البشائرْ
لم يبقَ ظلمٌ يُتَّقى دارت على الظلم الدوائرْ

وقد احسن في هذا المعنى جناب الشيخ علي النقي زغيب من شعراء بعلبك :

الفتحُ والنصرُ والاقبالُ والظفرُ والخيرُ والفوزُ والعمران والاثرُ
مطالبٌ بعلوّ العزم يبلغهـــا اهلُ العزائمِ لا مَن بالشقا أتزروا

ومن ابياتها العامرة في وصف النوّاب:

لله درُّ رجالٍ للوغى نشروا لواء عزّ عليهِ يُعقَد الظفرُ
باعوا نفوسًا ابتْ ألّا العلى وأتوا امرًا عظيمًا لديهِ حارتِ الفكرُ
واسسوا مجلسًا للخير منعقدًا اضحى جِنان المنى يُجنى بها الثمرُ
شادوا بعسماهمُ للمجد بيت علًى اوتادهُ العدلُ والشورى لهُ دَسرُ
فيهِ رجالٌ يهاب الدهر بأسهمُ مدرَّبون على الانصاف قد فُطروا
لا يستميلهمُ مالٌ ولا غرضٌ ولا يروّعهم خطبٌ لهُ خطرُ
فالامرُ شورى ورأي الكلّ متَّبعٌ والفوزُ منهُ بدا والنصرُ مشتهرُ
والملكُ كالجسم والاعضاء تجمعهُ فان تفرّق افنت شملَهُ الغيرُ

ومسك ختامها قولهُ :

يا شهر كانونَ كم ارويتَ من ظماٍ وكم كويتَ قلوبًا ملئُهـا وغَرُ
اصبحتَ عيدالورى اذ فيك قد سعدت ايّامنا فهي تدعى في الورى غُرَرُ

وارضُنا جنَّةٌ والسَّعد أرَّخها ... يُجَبِّهـا المجدُ مخصوصٌ ومنحصرُ

ولجناب الشيخ مصطفى افندي الغلاييني في ذلك اليوم قصيدة اودعهـا مثل تلك المعاني واستهلّها بهذا البيت:

حياةُ الفتى موتٌ اذا لم يكرَّمِ ... وموتُ امرئٍ في عزِّهِ خيرُ مغنمِ

ومنها في تقريع الظَّلَمة:

اماتوا شعور الناس بالظلمِ جهرةً ... وباعوهمُ بيعَ الرغيفِ بدرهمِ
فلا حكم الَّا العدل يا ظالمَ الورى ... فبالعدلِ والدستور لا غيرَ فاحكمِ

على انَّ الدستور أُصيب بضربة أُولى لمَّا اخذ كامـل باشا يتصرَّف بالامور على هواه دون ان يرجع الى رأي مجلس النوَّاب فأدَّى ذلك الى سقوط وزارتهِ فقال شاعر بغداد معروف افندي الرصافيّ قصيدةً غرَّاء يذكر فيها تلك الاحوال:

سقتنا المعالي من سلافتها صِرفا ... وغنَّت لنا الدنيا تهنّئنا عزفا
وزفّت لنا الدستورَ احرارُ جيشنا ... فاهلًا بما زفَّت وشكرًا لمن زفَّا

الى ان قال:

تربَّعَ في صدر الوزارة كامـلٌ ... فخطَّ من النقصان في وجهها حرفا
لقد اغضب الدستورَ فعـلًا ونيَّةً ... ومَن اعلنوا الدستورَ والشعبَ والصُّحفا
قد استوضحوا للأمرِ والامرُ واضحٌ ... فأعياهُ ايضـاحُ الحقيقة فاستعفى
ولم يطلب الإمهـال الَّا لانَّهُ ... رأى عذرهُ ان لم يطُلْ سبكهُ زَيفا
كذلك مَن صاغ الكـلام ملفقًا ... تمهَّل حينًا يُكثِر الحَطَّ والحذفا
ومن قال حقًّا قالهُ عن بديهةٍ ... ويحتاجُ للتفكير مَن موَّه الخلفا
فيا ايها الصدرُ الجديد اتَّعظ بهِ ... فايَّاك ان تطغى وان تنتهي المطفا
ويا مجلس النوَّابِ سِرْ غيرَ عاثرٍ ... الى المجد لا تلقى كلالًا ولا ضعفا

ثم اخذت الامور بعد ذلك تختلّ بحيث استشفَّ الشعراء من ورائها شرًّا وخافوا ان يقوم الاستبداديُّون لمقاومة الدستور فكتب في جريدة الشام صاحب العزَّة اسعد بيكباشي اركان الحرب:

ارى خَلَل الرماد وميضَ نارٍ ... ويوشك ان يكون لها ضرامُ
اذا لم يطفها عقـلاء قومٍ ... وانْ وقودَها جُثثٌ وهامُ
ارى الويلاتِ تقحمنا شديدًا ... وتبتعدُ السكينَةُ والسـلامُ
واركان السياسة في اضطرابٍ ... ولا رأسٌ يتمُّ بهِ الوئامُ

أرى الانحاء في هرجٍ ومرجٍ   وحبلَ الأمن هدّده انفصامُ
وحالُ الناسِ تنذرنا اموراً   يكونُ وراءها الداءُ العقامُ
فان لم يعضدِ الوزراءَ حزمٌ   فلا عجبٌ اذا قعدوا وقاموا
ممالكنا تُطلُّ على شفيرٍ   اذا لم يُنجها الصيدُ الكرامُ
وصحتُ من التعجب ليت شعري   أأيقاظٌ بنوها ام نيامُ

وكثر وقتئذٍ القال والقيل وكانت جرائد الاستانة تنشر المقالات المتضاربة يدقّ كل منها على طنبورهِ فقال الشاعر العراقيّ المفلق من قصيدة:

جرائد في دار الخلافة اضرمت   لهيب خلافٍ بيننا غير خامد
فهذا الى هذي وذاك لغيرها   من الصُّحف يدعو آتياً بالشواهدِ
وما هي الّا ضجّةٌ كلُّ صائتٍ   بها مدَّ للدنيا حبالةَ صائدَ
اضاعوا علينا الحقَّ فيها تعمُّداً   وعقبى ضياع الحقّ سودُ الشدائدِ
ولم أرَ شيئاً كالجرائد عندهم   مبادئُهُ منقوضةٌ بالمقاصدِ
يقولون نحن المصلحون ولم أجدْ   لهم في مجال القولِ غير المفاسدِ
فايّاك ان تغترَّ فيهم فكلُّهم   يجرُّ الى قرصيّهِ نارَ المواقدِ
على رسلكم يا قومُ كم تسمعوننا   مقالة محقودٍ عليهِ وحاقدِ
ألا فارحموا بالصفح عن نهج صُحفكم   فقد اوردتنا اليومَ شرَّ الموارد
وما الصحفُ الّا ان تدور بنهجها   مع الحقّ انّى دار بين المعاهدِ
وأن تنشر الاقوال لا عن طاعةٍ   فتأتي بها مشحونةً بالفوائدِ
وان لا تُماني غير نشر حقائقٍ   وتنوير أفكارٍ وانهاض قاعدِ
اتبغون في تلفيقها نفع واحدٍ   وتغضون عن اضرارها الف واحدِ
لعمرك ان الصُّحْفَ مرآة اهلها   بها تتجلّى روحهم للمشاهدِ
كما هي ميزانٌ لوزنٍ رقيّهم   وديوان اخلاقٍ لهم وعوائدِ

٣ الهرسك والبشناق (البوسنه) – استقلال بلغارية

من اوّل المشاكل التي قامت في وجه تركيا بعد اعلان الدستور مسألة الهرسك والبشناق فانّ النمسا رأت الفرصة مناسبة للمجاهرة بضمّهما الى بلادها خلافاً لمعاهدة برلين فاستاء العثمانيون من ذلك وجعلوا يقاطعون البضائع النمسويّة واظهر الشعراء تحمّساً عظيماً فمن جملة ما كتبوا ابيات للشاعر المجيد شبلي افندي ملاط:

ألا من يبلغ النمسا كلاماً   نسجّلهُ ونورثهُ البنينا
بأنّ عهودها كانت سراباً   وكان ودادها «بلفا» مبينا

وكان سكوتهـا قبلًا رثاءً ... وآخر ما جنت طمعاً مشينا
وانّا لا نريد بها امتزاجاً ... ويبقى حقـدنا داءً دفينا
فلا تجد السنون الى التصافي ... سبيلًا ما تعاقبتِ السنونا
او النمسا تكفّرَ عن ذنوبٍ ... جنتهـا فاغتدت عارًا وهونا
ذنوبٌ ضجّ منها العدل شرقاً ... ورنّ الغربُ اجمعهُ رنينـا
انحسبُ جارةُ الدانوب انّا ... نُذلّ لمثلها يوماً جبينا

بيد انّ هذه الأزمة حُلّت بعد حين بتساهل تركيًا وتعويضٍ ماليّ قدّمتهُ النمسا . فقال محرّر الوفاء يوسف افندي مراد الخوري:

قد جاء في صُحف برلين العظيمة ما ... يؤكِّد الأمل الصافي بلا كدرِ
ويمل الكلّ يرجون النهاية من ... امرٍ غدا شاغلًا للعقـل والفكرِ
حكومةُ المجرِ والنمسا التي لعبت ... دورًا مهمًّا وكانت نجمـة النظرِ
قد استعدّت الى حسم الخلاف بمـا ... فيهِ السلامُ ودفعُ الخوف والضررِ
تُريد تعويض تركيًا التي طلبت ... مالًا كثيرًا ولم تعمد الى الضجرِ
عشرون مليون دولارٍ هو القدَر المـطلوب منها وهذا صادقُ الخبرِ
لانهـا امتلكت صقعَينِ خارقةً ... عهدًا ببرلين لا ينفكُّ ذا صورِ
ولم تكن قبلُ ترضى الدفع جانحةً ... الى التريُّث جنبَ الصارمِ الذكرِ
لكن رأت انّ تركيًا تناقشهـا ... مرَّ الحسابِ بصدرٍ (١) قُدَّ من حجرِ
فاذعنت للمطاليب التي ذكرت ... وكان فوز عظيمٌ باهرِ الأثرِ

وكذلك بلغارية استفزّتها نشوة الحرّية فأعلنت باستقلالهـا . امّا الدولة العثمانية فتصدّت لمطامعها ونادت بحقوقها ولم تزل تطالبها بها حتى راضتهـا بلغارية بمبالغ وافرة فانقشعت تلك السحابة بعد ان تفاقم الامر وكاد يبلغ السيل الزُّبى . وكان اشار الى الامر الشاعر السابق بقولهِ:

كذاك بلغاريا لا شكّ دافعةٌ ... مالًا بهِ حسمُ ذاك المُشكلِ العَسِرِ
وحلّ بعضِ قضايا اصبحت ضرماً ... في الشرقِ للحرب والاهوالِ والعبرِ
لذاك عمّا قريبٍ سوف تنظرُ في ... مرابعِ الشرق سِلماً غـير منتظرِ
وتُغمَد البيضُ في تلك الجفونِ بلا ... سفـكِ الدما واغتيال الحرب للبشرِ

ثم قال بعد ذلك ينوّه باتّفاق الدولتين:

انّ بلغاريا استقلّت وصـارت ... تبتغي بذل الاصفرِ الرنّانِ

(١) اي الصدر الاعظم كامل باشا

رضيت تركيًا بهذا واست لا ترى في الرضاء معنى الهوانِ
وانقضى ذلك الخصام بسلمٍ رضيتهُ السيوفُ في الاجفانِ
يا إله السلام وطّد على الار ض سلامًا معزّز الاركانِ

٤ حوادث نيسان — الثورة في الاستانة والولايات — ظفر الاحرار

دخل نيسان والناس في انتظار لا يدرون ما ستؤول اليه امور الاستانة وقد كثرت فيها الاحزاب وتألّفت الجمعيات الارتجاعيَّة القائمة في وجه الدستور كالجمعيَّة المحمَّديَّة والاتحاد المحمدي . وكان للسلطان عبد الحميد في هذه الاحزاب يدٌ محجوبة وراء قصر يلدز فبُثَّت العيون ونُشرت الاوراق الثوريَّة متستّرةً في طيّ الشرع والدين وانضوى قسم من الجنود الثائرين الى الحزب الاستبداديّ فاحيوا معالم الفتنة في دار السلام واصبحت العاصمة كدار حرب كادت تدور فيها الدوائر على الدستور وذويه وقُتل كثير من الضباط وذهب وطنيُّنا واحد طلبة كليتنا سابقًا الامير محمد ارسلان مبعوث اللاذقيَّة ضحيَّة شهامتهِ فافتدى كلٌّ هؤلاء الدستورَ بدمهم وقد رثى شعراؤنا جناب الامير بقصائد رنَّانة منها قول الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد افندي الشرتوني من ابيات :

هل للعلاء سوى الثياب السودِ ام للوفا الّا بكا المنجودِ
اطفت يد الشغب الاثيمة شعلةً كانت ضياء في الخطوب السودِ
حرموا البلادَ محمَّدَ ابن المصطفى غوث اللهيفِ ومنقذ المجهودِ
فلذاك تركيا الفتاة حزينةٌ كالامّ قد مُنيت بقتل وحيدِ
لُعن الفسادُ وكلُّ مَنْ يسعى بهِ جعل الالهُ رجالهُ كثمودِ
صبرًا بني رسلانَ ليس فقيدكم يمضي كزرعٍ اخضرٍ محصودِ
فعلى الدمِ المسفوح تنبتُ مزيَّةٌ تُلقي الضلال على ضريحٍ عميدِ
ويصيب دستورَ العدالة غلبةٌ فيموت شانئُـهُ ممات حسودِ
هذا العزاءُ عن الامير محمد ليس العزا بالمشهد المشهودِ

وقال نسيم افندي العازار يصف شهامة الامير في موتهِ :

قدم الشهمُ والضواري قيامٌ في اياديهم الهلاكُ مصوَّبْ
لم تَرُعْهُ تلك الذئابُ وأنّى يرهبُ الليث مَن يُجرِّد احدب
فانبرى يخرقُ الجموعَ أنوفًا ثابت الجأش والجبينُ مقطَّب
فأتى المجلسَ العليَّ ولكن نُشب الحرُّ في الهوى سوءُ منشب

فرماهُ وا لهفتاهُ عليهِ بسنان الصفاح مَنْ لم يخَف رَبْ
فهوى هادئًا وخرَّ صريعًا ذلك الشاب في دماهُ مخضَّبْ
انمَّا قال قبل ان فارقتهُ روحهُ وا لمقالُ في الصدر يُكتَبْ
هاانذا قد قضيتُ فرضي فاقضوا يا رفاقي فرضًا اعزَّ واصعب
نَمْ هنيئًا يا من قضيتَ كريمًا وعلى فقدك الورى يتلهَّبْ
انَّ تلك الدماء تُثأرُ يومًا وعلى الظالمين قد تتغلَّبْ

على ان الأحرار لم يرضوا بالرجوع القهقرى فما كان من زعمائهم كأنور ونيازي وشوكت الّا ان ضمُّوا القوى وشمّروا عن ساعد الجدّ فزحفوا الى الاستانة لنصرة انصار الدستور وتأييد الحرّيّة فانشد في ذلك محرّر الميزان اسطفان افندي غلبوني قصيدتهُ التي مطلعها :

ظروف الزمانِ ألا أقصري وعهدًا برمناهُ لا تخفري
أرى العسكر الحرَّ في زحفةٍ فسيري دوامًا مع العسكرِ
ولا تترُكي مُظام القتل يلقى م انتصارًا على البطلِ الانورِ
ألا لا انالَ الالهُ مرامًا لأعداء دستورنا المزهرِ
ألا ليكن نصر ربك للجيش م عسكر احرارنا المظفرِ
ألا حقّق الله هذا الرجاء بتأييد عصر العلي النيّرِ

وقال جناب معروف افندي الرصافي ابياتًا غررًا عارض فيها المعلّقة الكلثوميّة :

لقد سمعوا من الوطن الانينا فضجُّوا بالبُكاءِ لهُ حنينا
ونادام لنصرتهِ فقاموا جميعًا للدفاع مسلّمينا
وثاروا من مضاربهم اسودًا بصوت الاتحاد مزمجرينا
شبابٌ كالصوارمِ في مضاء يُروْنَ وكالشموسِ منوَّرينا
لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هودٍ هناك ومسلمينا
هي الاوطان تجعل في بنيها اخاء في محبّتها رصينا
وتتركهم أولي أُنف كبار يرون حياة ذي ذلّ جنونا
وانَّ الموت خيرٌ من حياة يظلّ المرء فيها مستكينا
مشوا والوالداتُ مشيّعاتٌ خرجنَ وراءهم والوالدونا
يقلنَ وهنَّ من فرحٍ بواكٍ وهم من حزنهم متبسّمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعودوا للديار مظفّرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدُّوا وراموا كيدنا وتخوّنونا
فان لم تنقذوا الاوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا . . .

وكم قد قلنا من قولٍ شجيٍ لهم فترَكتهم متهيّجينا
ومذ حان الوداعُ دنونَ منهم فقبّلن الصوارمَ والجفونا
وما أنسى التي برزت وقالت وقد افنوا لرؤيتها العيونا
ألا يا راحلين لحربِ قوم لئام ضيّعوا الوطنَ الثمينا
خذوني للوغى معكم خذوني ممرّضةً لجرحاكم حنونا
وان لم تفعلوا فخذوا ردائي بهِ شدُّوا الجروحَ اذا دمينا

ومنها في وصف الظفر :

اتينا دار قسطنطين صبحاً وقد فُتحت لهم فتحاً مبينا
وظلَّ الجيشُ جيش الله يشفي بحدّ سيوفهِ الداء الدفينا
فاهرق انفس الطاغين حتى سقاهم من عدالتهِ المنونا
وردَّ الخائنين الى جزاء احلَّهم المقابر والسجونا
وحطُّوا قصر يلدزَ عن سماهُ لهُ فانحطَّ اسفل سافلينا

وكان امل الاستبداديين ان تنتشر الثورة انتشار الوباء وتشبّ شبوب النار في انحاء المملكة وكانوا لهذه الغاية ارسلوا سرًّا الى كل ولاية يأمرون اهلها بإثارة الفتن لكنَّ تلك الاوامر لم تلاق اذنًا صاغية الَّا في ولاية آطنه وما جاورها الى نواحي انطاكية حيث قُتل الوف من الارمن وتجدَّد من الفظائع في التنكيل بهم ما احيا ذكر مذابح سنة ١٨٩٥ في الاستانة ودياربكر ومعمورة العزيز وسوَّد بصفحة جديدة تاريخ تركيَّة . وقد وجد الشعراء الاحرار في تلك النكبة الهائلة مجالًا واسعًا لبثّ لوعات قلوبهم وابداء شواعرهم . فقال نعوم افندي مكرزل منشئ الهدى يمثّل ارمينيا منطرحةً كالثكلى على قاعدة الصليب :

سجدتْ تناجي ربّها بدموعها والنارُ بين فؤادها وضلوعها
غيداء من عود الصليب توقّعت أن يرأب المصلوبُ بعض صدوعها
أنّت كأنَّ الصريعَ مضرَّجاً بدمائهِ من بعد لثمِ رضيعها
زوجان من قبل الفراق تعانقا للموت في قتلٍ وفي توديعها
نشرت ذوائبها حِدادًا بعدهُ ورثتْه كالورقاء في ترجيعها
هذا السوادُ على المصيبةِ شاهدٌ من ثوبها من عينها من رُوعها
فُصل الخطاب بشفرة التركي اذ قطرت دمًا مسلولةً بربوعها
فمن الصليبِ دمٌ يسيل ممازجًا تلك الدماء نجيعها بنجيعها

ارمينيا أبكي بالدموعِ سخينةً فالنوزُ عند سخينها وهموعها

والشمس تسمحُ للظلام بوقفةٍ سوداء بين غروبها وطلوعها
لا تيأسي فالله يكشف ظلمةً تتألّق الانوارُ بعد وقوعها

وهو القائل:

اذا كنت يوم الحرب بالسيف فاتحا فلا تكُ يوم السلم بالسيف ذابحا
ولا تكُ والدستورُ اضحى فخارنا على ذلك الطغيان للدم سافحا
فقد ملأت اشلاؤنا كلَّ حفرةٍ واطفالنا والامَّهات البطائحا
عُراةٌ على ذاك العراء تنثَّرت عصائب ايتامٍ تبمنَ النوائحا
كأنَّ غلاة الترك قد صافحوا الألى يعادونهم حتى يسلُّوا الصفائحا
فما استمرأوا الَّا الدماء سوائلًا ولا استهنأوا الَّا اللحومَ شرائحا
ومن لم يكن عن قدرةٍ متسامحًا فلا يرجونَّ اللهَ للذنب صافحا

وممَّن رثى لضحايا الارمن من شعراء المسلمين سعادتلو وليّ الدين بك يكن وله قصيدة غرَّاء امتدحها الأُدباء اوَّلها «ارحمي يا قلوب هذه الضحايا» ولم نحصل منها على نسخة لننقل منها بعض غُررها . ومثلها حسنًا قصيدة لصاحب العزَّة نعوم بك شقير دعاها النجدة هذا مطلعها:

من لي بمعرفة الاثيم الجاني الجالبِ الويلات للاوطانِ
من ذا الذي اجرى الدماء جداولًا وأثارَ حربًا في بني عثمانِ
مَن افسد الاصلاح في ابَّانهِ وتهدَّد الآمالَ بالحرمانِ
أترى هو الجهلُ الملمُّ بأرضنا ام هل وراء الجهلِ سرٌّ ثانِ
ام هل وراءهما تعدُّد جنسنا وتضاربُ النزَعات والاديانِ
ام هل هنالك للسياسة من يدٍ ام انَّهُ هذي سنَّةُ العمرانِ
لله اشكو يا ضحايا آدنا لله اشكو قسوةَ الانسانِ
اشكو فظائع فتنةٍ في امةٍ سفكتْ دم الاقرانِ بالاقرانِ
وقضت على اجى المدائن والقرى حرقًا بمن فيها من السكَّانِ

ثم عدَّد ما جرى هناك من ضروب المآثم وختمها بابيات جميلة استمطر فيها جود المحسنين واهل المروءة لسدّ حاجات الالوف من المنكوبين بعد مذابح آطنه وحرق مساكنهم وختمها بقولهِ:

طوبى لجند المحسنين فانهم ظفروا ببغيتهم من الرحمانِ
لهم السعادة في الحياة وبعدها لهم الخلودُ بجنَّة الرضوانِ

ومن القصائد المشعرة بعواطف قائلها وغيرتهِ الناريَّة قول حبيب افندي فارس زين:

ارمينيا ! . . . نزل القضا بفنائها فقضى على ارمينيا بفنائها
رضخت امام السيف خائرة القوى والسيفُ لم يحفظ عهود ولائها
هُرقت دماء فتيهـا وفتاتهـا مُزجت دموعُ شقائها بدمائهـا
ضجَّت ونادت تستغيثُ وتشتكي هل سامعٌ يرثي لحرّ ندائها؟ . . .
فالسيف يلعبُ في رقاب رجالهـا والنارُ تلعبُ في صروح علائهـا
والموت بينهما يروّعها وقد ضاقت مساحتُها على اشلائهـا
ارمينيـا لا ذنب جاءتهُ سوى دين ابن مريم ملتجى ابنائهـا
فبكت على عود الصليب واعولت تستنجدُ العالي بقطع رجائهـا

وقال الشاعر ميخائيل افندي رستم من تخميس :

يا هل ترى والعصرُ عصرُ تمدُّنِ كيف استحلَّ التركُ قتلَ الارمنِ
ألِغَيرةٍ في الدين عند المؤمنِ أم كان اكراماً لـذاك المُفْتنِ
نيرونَ او عبد الحميد الثاني
اسفاهُ قد حرقوا المدائنَ والقُرى ما ضرَّ لو كانت لهم نار القِرى
لجميلهـم كان الجمادُ تأثَّرا لا للمذابح حيثما ابتلَّ الثرى
بدم القتيل وادمع الجوعانِ
فـالى متى لا تُصلَح الاحوالُ ويزول من تلك الرُّبَى البلبالُ
حقّ التساوي والاخاء يُنالُ من بعد ما تتعاقبُ الاجيالُ
يوم القيام بحضرة الديَّانِ

وكأنَّ صوت دماء اولئك القتلى تصاعد كصوت هابيلٍ الى عرشهِ تعالى فضرب الله ذلك المجرم العظيم الذي كان سبب تلك المجازر واقام لهُ خير خافٍ

• عبد الحميد الثاني — والسلطان رشاد محمَّد الخامس

كان اليوم السابع والعشرون من نيسان يوماً مشهوداً في الاستانة العليَّة فيهِ خُلع سلطان وبويع سلطان . خُلع بفتوى شيخ الاسلام ذلـك الرجل المقدام الذي لم يزل بسطوتهِ وشدَّة مراسهِ يصارع الدهر حتى اذ قيل انهُ فاز بالمرغوب وقع صريعاً بطعنـةٍ قطرتهُ فكادت تذهب بحياتهِ وسلطتهِ معاً ثم نُقل سجيناً الى سلانيك . فكان لهذا الامر الجلل دوي عظيم بلغ صـداهُ اقاصي المعمور وقد استرسل الشعراء في وصف تلك الواقعة . فقال امير شعراء العراق معروف افندي الرصافي :

هوى عبد الحميد بهِ هويّاً الى درك الملوك الظالمينا

فأُنزل عن سرير الملك خلعاً وأُفرد لا نديمَ ولا قرينا
وسيق الى سلانيكَ احتباساً لهُ كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحةُ مستبدٍّ غدا بديار احرارٍ سجينا
يراهم حول مسكنهِ سياجاً ويعجزُ ان يُنيم لهم عيونا
وموتُ الموت خيرٌ من مقامٍ لهُ بين الذين سقوهُ هونا

وقال شاعر مصر حافظ افندي ابراهيم الذي طالما مدح عبد الحميد وقت عزَّتهِ يصف خلعهُ:

لا رعى الله عهدها من جدودٍ كيف امسيتَ يا ابن عبد الحميدِ
مُشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنودِ

ثم قابل بينهُ وبين نابوليون الكبير بعد نفيهِ الى جزيرة سنت هيلين:

يا اسيرًا في «سنْتَ هيلين» رحِّب باسيرٍ في «سالَنيك» جديدِ
قُل لهُ كيف زال ملكك لم يَعْـصمك اعدادُ عُدَّةٍ او عديدِ
لم تَصُنْكَ الجنودُ تفديك بالار واح والمالِ يا غرام الجنودِ
قُل لهُ كيف كنت كيف ملكت م الارضَ كيف انفردتَ بالتمجيدِ
فثللتَ العروش عرشاً فعرشاً وصبغتَ الصعيد بعد الصعيدِ
كلَّما نلت غايةً لم تنلها همَّةُ الدهر قلتَ: هل من مزيدِ
ضاقت الارضُ عن مداك فأرسلـتَ بطرْفٍ الى السماء عنيدِ
قُل لهُ جلَّ من لهُ الملك لا ملـكَ لغير المهيمن المعبودِ

ومنها في بكاء عبد الحميد لما طلبوا منهُ ان يعتزل:

أَصحيحٌ بكيتَ لمَّا اتى الوفـدُ ونابتك رعشةُ الرعديدِ
ونسيتَ الإباء والمجدَ والسؤ ددَ والعزَّ يا كريم الجدودِ
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن علَّها نزوةُ الفؤاد الجليدِ
علَّها دمعةُ الوداع لذاك المـلكَ او ذكرةٌ لتلك العهودِ
غسَّل الدمعُ عنك حوبة ماضيـكَ فوقَّاك شرَّ يوم الوعيدِ

وقال امام الأدب ونابغة شعراء مصر سعادة احمد شوقي يصف تلك الحادثة:

سَل يلدزًا ذات القصورْ هل جاءها نبأُ البدورْ
لو تستطيعُ اجابةً لبَثَتْك بالدمع الغزيرْ
اخنى عليها ما انا خَ على الخورنق والسديرْ
ودها «الجزيرةَ» بعدهُم اسماعيل والملك الكبيرْ

ذهب الجميعُ فلا القصو رُ تُرى ولا اهلُ القصورْ
فلكٌ يدور سعودهُ ونحوسهُ بيد المديرْ

ومنها يخاطب عبد الحميد:

عبدَ الحميد حسابُ مثـلكَ في يدِ الملك الغفورْ
سدتَ الثلاثين الطوا لَ ولسنَ بالحكم القصيرْ
تنهى وتأمر مـا بدا لك في الكبير وفي الصغيرْ
كم سبَّحوا لك في الروا حِ وألَّهوك لدى البكورْ
خفضوا الرؤوس ووتَّروا بالذلِّ اقواسَ الظهورْ
ماذا دهاك من الامو رِ وكنت داهية الامورْ
دخلوا السريرَ عليكَ م يحتكمون في رب السريرْ
أعظِمْ بهم من آسريــنَ وبالخليفةِ من اسيرْ

وقال يصف بسالة شوكت باشا فاتح الاستانة:

يا شوكتَ الإسلام بل يا فاتح البلد العسيرْ
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرورْ
فقنصت صيَّاد الاسود وصدتَ قنَّاصَ النسورْ
واخذت يلدز عنوةً وملكت عنقاء الثغورْ

وسابق احمدَ شوقي شاعرٌ آخر مصري وهو وليُّ الدين بك يكن فنظم في بحر القصيدة السابقة وقافيتها وجاراها في معانيها وبلاغتها. وقصيدتهُ طويلة نختار منها قولهُ في عبد الحميد:

إنَّ الزمان يغرُّ ثمَّ م يُذيق عاقبة الغرورْ
فمشى الزمان اليك بالا م حزانِ من بعد السرورْ
قد كنت ذا القصر الكبير م فصرت ذا البيت الصغيرْ
وربيتَ في مجد الامير م ولم تَمُت موت الاميرْ
لمَّا سلبتَ الحكمَ قلتَ م «الحكم لله القديرْ»
هل كنت ترضى اوَّلًا ما قلتَ في الزمن الاخيرْ
ورآك جندُك ضارعًا لهمُ ضراعات الاسيرْ
انَّ الثلاثين التي مرَّت بنا مرَّ العصورْ
وهبتك تجربة الامو رِ فعشت في جهل الامورْ
ووردتَ عارية الخلا قةِ بعد ذلك للمعيرْ
من كان يدعوك الخبيرَ م فلستَ عندي بالخبيرْ

وكان من فرسان هذه الحلبة الشاعر الحكيم اسماعيل باشا صبري فقال معارضاً لرصافه وملمحاً الى براكين صقلية وزلزال مسينة :

يا ناظر الترك قد فارت مراجلهم — بين الدروب وفي عرض الميادين
قل للبراكين كفّي نحن في شغل — ذا اليوم عنك ببركان البراكين
هل الجبال الرواسي عندها خبرٌ — بما تصدّع من شمّ العرانين
وهل رأى النسر شيئاً في السماء حكى — ما هزّ يلدز من بأس الشواهين
قالوا لقد خرّ من صرح العلى وهوى — ذو السلطتين وربّ الكاف والنون
أهون بها صيحة في الكون قاصفة — تزلزل الارض من حين الى حين

ثم قال يخاطب العظيم الساقط :

عبدَ الحميد سيُحصى ما صنعت غداً — بين الأنام ويُلقى في الموازين
ان يرجح الخيرُ نعمَ الخيرُ من عمل — دخلتَ في زمرة الغُرّ الميامين
او يغلب الشرُّ لا كانت عصائبهُ — عُددتَ في صرحه اقوى الاساطين
ان لم تكن لا ثناك الله عن أمد — شيخ السلاطين كُن شيخَ الفراعين
انّا عهدناك لا ترضى اذا استبقت — صِيدُ الملوك الى الغايات بالدون
يا طلسَم المُلك امسى حلُّ عقدته — سرَّ الملائك او سرَّ الشياطين
لا يرهقنّك حكمُ الناسِ فهو غداً — مستأنفٌ عند سلطان السلاطين

وقال جناب ادوار افندي مرقص من قصيدة يصف خلع عبد الحميد :

الى صاحب التاج الرفيع مقامهُ — الى ابن السلاطين المهيب مواكبه
الى مالك الأعناق غير مدافع — الى حاجز الارزاق لا من يحاسبه
الى الواسع النُّعمى الى الهائل الدها — الى شاغل الدنيا فليست تغاضبه
اتى الوفد عالي الهام والصوت عابساً — يقول : اخلع الملك الذي انت ناكبه
وكان وراء الوفد جيشٌ وامةٌ — وجرأةُ يأبى معجزاتٌ عجائبهُ
فأذعن جبّارُ الملوك وأرعدت — فرائصهُ واستأذن الجفنَ ساربه
وحيّاً بكلتا راحتيه تضرُّعاً — ليُبقي لهُ ذلَّ الحياة معاقبه
وكان زمان ان اشار باصبع — فتلك حياةٌ او هو الموت جالبه
فما بالهُ اذ هدّموا عزَّ ملكهِ — اضاع اختياراً عزَّ نفسٍ تصاحبه

وقال المسمى و.خ في مرآة الغرب من قصيدة :

مضى عبد الحميد الى مكانٍ — رمت فيهِ أمُّ قشعم الرحالا
مضى ولهُ بفعل الشرّ ذكرٌ — محا ذكر الأُلى كانوا مثالا

مليكٌ قد تسربل بالمخازي | وعمَّ الارض غدرًا واحتيالا
اميرَ المؤمنين دعوهُ زورًا | فكان الذئبَ لم يعرف حلالا
اتى كل المحارم والدنايا | وخان الدينَ عمدًا والرجالا
واسهر موجعًا طَرْفَ الليالي | فعادت من فعائلهِ حبالى
عدوَّ الدين والاسلام هلَّا | علمتَ بانَّ في الدنيا زوالا

ومن القصائد الحسنة التي تليت في ذلك قول بشاره افندي عبدالله الخوري :

تِلَّلَ الشرق حاذري ان تميدي | سقطَ العرشُ عرش عبد الحميدِ
فهوى ربهُ وكانت على رجـلَيْهِ تهوي قبلًا وجوهُ الصِيدِ
سُنَّةٌ للزمان عزٌّ وذلٌ | قُسمـا بين سيّدٍ ومسودِ
صاحبَ التاج اين انت من التا | جِ ومن صولجانـك المفقودِ
صاحب العرش اين انت من العر | شِ وقد كان محكم التوطيدِ
صاحب الدولة التي كنتَ منها | في مقام المهيمنِ المعبودِ
اين تلك الشفاه تلثمُ رجليْـك وتدعو للملك بالتأييدِ
والرؤوس المطأطئاتُ الى الار | ضِ قيامًا بواجبات السجودِ
والارادات اين تلك الارادا | تُ المبيداتُ كلَّ حرٍّ شهيدِ
ذهبتْ مثلما ذهبتَ وبادت | مثلما بِدتَ يا ابن عبد المجيدِ

ومنها :

ايهِ عبدَ الحميد حدّثْ عن الدهـرِ وحدّث عن يومك المشهودِ
عبرةٌ انت للورى رسمتْهـا | اصبعُ الله في كتاب الوجودِ

ومثلهُ لميخائيل افندي رستم من ابيات يصف زحفة جيش سلانيك وعزل السلطان :

اذا بجيوشٍ من سلانيكَ اقبلتْ | وشوكتْ باشا في الكفاحِ مجرَّبُ
احاط وذاك الجيشَ من حولُ يلدزٍ | وقد فكَّر السفّاحُ من اين يهربُ
فألقوا عليهِ القبض بعد اتفاقهم | على خلعهِ والشيخ فتواهُ يكتبُ
وحجّتُهـم كانت عليهِ بانّهُ | ملايينَ اموال الرعيّةِ يسلبُ
ألا وابو الاحرار من صوب مكّةٍ | ينادي: بخنقي انت انت المسبّبُ
وصوتُ دمِ الابرار لا زال صارخًا | امـام السما والارض انك مذنبُ
مظالم نيرونَ التي قد اعدّهـا | بنا مثلما عذّبْتَنـا ستعذَّبُ
ويُجذَر في البسفور من تضحياتهِ | حدوثُ ارتطامٍ كلَّما مرَّ مركبُ
وتحت امتحانٍ كيمويّ فثلثهُ | ميـاهٌ وثلثـاهُ دمٌ فتعجّبوا
فكم دسَّ للاحرار سمَّ افترائهِ | كأفعى ومن عاداتهـا تتقلّبُ

كفرعون قسّى قلبهُ فاذا بـهِ من الصخر والصوّان اقسى واصلبُ
فجوزي بما جازى وهذي حقيقةٌ جزائيَّـة والله نعم المؤدّبُ

ولشاعر لبنان شبلي افندي الملّاط قولهُ :

تباركتِ الفتوى بخلعِ مملّكٍ تناهت من الدنيا اليها المدائحُ
عليها من الشرع الشريف شمائلٌ ومن سُوَر القرآنِ ما الدينُ شارح
تهادى بها الاسلامُ تيهًا لانّها مشاعلُ من نور الهدى ومصابحُ
بكى عندها عبد الحميد وطالما توالت عليهِ من ذويها النصائحُ
فاذعن مغلوبًا وسلّم كارهًا وطابت من الشورى العيون القرائحُ

ومنها :

فُطمتَ على سفحِ الدماء وشاهدي ابوك الذي قد قال انك سافحُ
وأنك ان وُلّيت ملكًا يكن بهِ لشعبك يومًا جندلٌ وصفائحُ
فذق من طعام السجن ثم أَبِنْ لنا أحلوٌ طعامُ السجن ام هو مالحُ
وكفّر عن الماضي وما أَثمت بهِ يداك لعلَّ الله في الحشر صافحُ

واذ كان ملك الملوك يخذل ذلك الجبّار بعد عتوّهِ وينزلهُ عن كرسيّه الى الحضيض والسفال رقّى على عرش آل عثمان اميرًا دهمتهُ باستبداد اخيهِ كوارث الحدثان فعركتهُ سنين طوالًا عرك الاديم ولمّا عرفت قدرهُ سالمتهُ ودعتهُ الى ملـك آبائهِ فنودي بالامير رشاد سلطانًا باسم محمد خان الخامس ولمّا جلس على اريكة الخلافة ترطّبت ألسن الرعايا بالدعاء وانتظمت درر الشعرِ في اسلاك قصائد المهنّئين فقال حافظ افندي ابراهيم :

حيِّ عهد الرشاد يا شرقُ وابلغ ما تمنّيتَ من زمان بعيدِ
قد تولّى محمّد الخامس الملـكَ فأعظِمْ بتاجهِ المعقودِ
طأطئي للجلالِ يا امم الأر ضِ سجودا هذا مقامُ السجودِ
علم الله انّ عهـد رشادٍ خيرُ فألٍ بردّ عهد الرشيدِ

وقال شوقي باسم اهل مصر :

المؤمنون بمصر يهـدون السلام الى الاميرْ
ويبايعونك يا محمّـدُ في الضمائرِ والصدورْ
قد أمّلوا لهلالهم حظّ الاهلّة في المسيرْ
فأبلغ بهِ اوج الكما لِ بقوّةِ الله النصيرْ
انت الكبيرُ يقلّدو نك سيف عثمان الكبيرْ
بشرى الامامِ محمّدٍ بخلافة الله القديرْ

بشرى الخلافة بالاما م العادل النزهِ الجدير
الباعث الدستور في الإِ م سلام من حفر القبور
اودى معاوية به وبعثتهُ قبل النشور
فعلى الخلافة منكما نورٌ تلألأ فوق نور

وقال سيادة ايليا مطران صور وصيداء على الروم الارثذكس :

بحول الله تمَّ لنا المرادُ وأولانا الامانيَّ الرشادُ
بشائر ملكهِ في الكون رنَّت مثانيها لها طربَ الجمادُ
وقد جلس محمَّد في نفوس م الرعايا والرشادُ لها عمادُ
ومن يمنى العلي ارّخ تقيهِ بنو عثمان فيهِ لهم رشادُ

وقال الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف يوم تنصيب جلالتهِ من قصيدة نشرت في جريدة العصر الجديد التي كان يحررها بدمشق :

تولّى عرش عثمانٍ رشادُ فقرَّ الشعب طرًّا والبلادُ
وعزَّ الامن من بعد اضطراب وعمَّ شعوبَ تركيا اتحادُ
رعى الرحمان دستورًا مملّى لهُ في ارضنا رُفع العمادُ
ووفّق ملكنا نصرًا ونجحًا وسار بظلّهِ فينا السدادُ
ألا يا ايها الملكُ المفدّى اليك تشوّقت هذي العبادُ
وفيك توسّمت خيرًا ويُمنًا فانت بناءُ ماثلها المشادُ
أنل هذي الرعيَّة حسن أمنٍ يدومُ لهُ بسلطتك امتدادُ
وعزّز مجلس النواب قدرًا بهِ يدنو لأمتنا المرادُ
وأرهِفْ حدَّ سيف الجند حتى يطولَ الامن ما طال النجادُ

وقد أرّخ جلوسهُ السلطاني بقولهِ :

ألا يا شعب عثمانٍ تهنأْ فقد والاك في نَصْرٍ مُرادُكْ
وفي يوم الثلاثا أرّخوهُ أُقيم بعرش عثمانٍ رشادُكْ

وقال يوسف افندي مراد الخوري في جريدة الوفاء :

ثبتَ العرش فاعتلاهُ محمَّدْ بين عهدٍ مضى وعهدٍ تجدَّدْ
وانقضت دولة التقهقر لمَّا صدمَ الجيشُ مجدَ يلدز فاخمدْ
فنرى في محمَّد خير ملكٍ يخدمُ الدستور الشريف المشيَّدْ
ورأينا خلافةً قيل فيها عاد مجدُ الاسلام والعودُ احمدْ ...
هذه الدولة التي هالت الغر بَ قديمًا فهالها وتشدَّدْ
خاضها الدهر فاستكانت ولكن حانَ ان يرهب الذي يتهدَّدْ

كن على عرشها الرفيع مليكاً مُصلحاً بل مقوّماً ما تأوّدْ
فبك الآمال الكبار أُنيطت وبك الدستور الشريف تأيّدْ
وجنودٌ من حول عرشك سورٌ ومياهُ عن حوضها الدهرُ يرتدّ
ومقامٌ يستنزل النجمَ طوعاً ونفوسٌ عليك وقفٌ مؤبدْ
ورجالٌ هم مخلصون وما قد قيل عنهم الّا الحديث الممجّدْ
هتفوا مذ نلتَ الخلافةَ شرعاً ثبت العرشُ فاعتلاهُ محمّدْ

وقال حبيب افندي زين مترجماً عن امانيّ الشعب في سلطانه الجديد:

أيا من علا عرش السلاطين سائداً فقرّرهُ جيشُ ابن عثمان سيّدا
أزلْ من بنيك الخائنين فطالما عفتْهم فمالوا كالسنابل حُصّدا
وبِل غيرَ مامورٍ الى بقعةٍ جرتْ دماءُ بنيها وهي تبغيك منجدا
هو الشعب نحو العرش احدق داعياً بنصرك فانصرهُ ومدَّ لهُ يدا
وحقّقْ امانيَّ الملا بمحمّدٍ وقاك مقيل العاثرين من الردى

وقال كامل افندي فضّول في معناهُ:

يا ذا الجلالِ محمّدٌ ورشاد أمّتنا الغيورْ
حقّقْ اماني أمّةٍ لم تثنها عنك الدهورْ
فتحيط عرشك عصبةٌ أُسدٌ ولكن لا تخورْ
فشموس ملكك مذ بدت منها الى الاوطان نورْ
لغمامةِ الظلم نفتْ مع كل ارباب الفجورْ

وقال آخر:

محمّدُ انت اليوم سلطان دولةٍ تحاولُ بالدستور ان تلحق الدُّوَلْ
ارادك احرارُ الفتاة لعرشها على املٍ سامٍ فحقّق لنا الأملْ
وجدّد لتركيا زمانَ ازدهارها وأرجع لنا مجداً ترى نجمَهُ أفَلْ
أسلطاننا الحرَّ المكرَّم انَّ من حواليكَ ابطالاً بهم مجدنا كملْ
يُلبّون ما ترجو فيمّم الى العلى بنا دون إبطاءٍ فيُحمد مَن عدلْ
محمّدُ سِرْ للمجد بالدولة التي بناها لك الاحرارُ منّا بعلوِ الأسلْ
اضاع لنا عبد الحميد كرامةً ونرجو لها عودًا لتفضُلَ من فضلْ
فكن يا امير العرشِ انت معيدها برأيِ ذوي رأيٍ يصبون من المطَلْ

وقال علي افندي عبد الله الحساميّ بقولهِ:

هذا الزمان صفا وقد نلنا المنا بجلوسِ مولانا الرشاد الاكبرِ
بمحمّدٍ سلطاننا وملاذنا فخر الورى في برّها والابحرِ

خاقاننا اضحى خليفتنا الذي يرعى الانام بحكمةٍ وتدبُّرِ
حقّ علينا يا اكارم ان نجو دَ لشخصهِ بالنفسِ دون تأخُّرِ
يا ربَّنا انصرْ بالملائك ذخرنا وأدِمْ ملاذ الملكِ حتى المحشرِ

وقال بشاره افندي عبد الله الخوري مهنئاً :

دُفنت اعصرُ المظالم يا شر قُ فرحّب بعصرك المـولودِ
وابتسم للفلاح فـالتاجُ معقو دٌ على مفرقِ الفتى المعـدودِ
زال عصرُ السجود يا اممَ الار ضِ فهذا عصر الاخاء الوطيدِ
طمحت هذه النفوس الى المجـدِ فلا تمنعوا سبيـل الورودِ
دونك السيف يا محمدُ واسمُ الـعرشَ فالعرش عِرْبَضٌ للاسودِ
لا بلغنا ذرى المعالى اذا لم يعلُ عصرُ الرشادِ عصرَ الرشيدِ

٦ عيد العام الدستوري — خوف ورجاء

ترى انَّ الشعر قد مثّل وقائع السنة الدستوريَّة الاولى احسن تمثيـل ولما مرَّ على هذا الانقلاب تمام العام عاد الشعراء فنظموا القصائد يذكرون فيها الدستور ويعدّدون حسناتهِ وربما ألمّوا ببعض نقائصهِ . قال وطنيُّنا محمَّد افندي شاكر ياسين من قصيدة دعاها السرور العام لمرور العام :

كوكبُ العدل علينا سطعا وغمام الظلم عنَّا انقشعا
وبشير الفوز بالبشرى سعى ورسول الحق للشورى دعا

الى ان قال :

إدرك الملكُ رشادًا حينما لرشادٍ فيهِ حقًّا بويعا
ملكٌ جدَّد ذكرى جدّهِ فرجونا الخيرَ فيهِ اجمعا

ومنها :

سنةٌ يا شرقُ مرَّت فحلَتْ بعد ان مرَّت وساءت مرجعا
فسلِ المحكوم ماذا صنعا وسلِ الحاكم ماذا استصنعا
قد رضينا بدلًا عن هرسكٍ وعن البُسنا بمالٍ دُفعا
غير انَّا عن كريدٍ لا نرى بدلًا الّا الظُّبا والمدفعـا

وقال صاحب الرغائب جناب حكمت شريف من منظومة طويلة غرَّاء :

يا عيدُ انَّك اكبرُ الاعيادِ لمَّا اتيت بحكمةٍ ورشـادِ

احييتَ اوطاناً بها لعبَ البلى دوراً عظيماً دار باستبدادِ
وبعثتَ دستوراً بهِ نرقى الى مجدٍ اثيلٍ شامخٍ بسدادِ
بمحمَّدٍ نلنا الرشادَ وحسبنا فالفعلُ محمودٌ مدى الآمادِ
ها «شوكت» الاوطان عادت في الملا والبدر «أنور» في سما الاسعادِ
و«نيازِ» كم رمت العداةَ بسهمها عن قوسِ عدلٍ حُفَّ بالارشادِ

ومنها في تذكار الشهر الدستوري :

يا شهر تموز المبارك سرمدًا بين البلادِ على اختلافِ عبادِ
قد كانت القدماء تعبدُ ذكرهُ تموز شهر الخير والاسعادِ
ها اننا في عاشرٍ لك دائماً اعيادنا موصولةُ الاعيادِ
فلنشكرنَّك دائماً بلساننا وعيوننا وجوارحٍ وفؤادِ

واحسن الشاعر المطبوع حافظ افندي ابراهيم حيث قال :

مضى العامُ ميمون الشهور مباركاً تُعَدَّد آثارٌ لهُ وتُسطَّرُ
مضى غير مذمومٍ فان يذكروا لهُ هناتٍ فطبعُ الدهر يصفو ويكدرُ
وان قيل أودى بالالوفِ اجاجهم مجيبٌ لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسانُ امرئٍ باساءةٍ فأربى عليها فالاساءةُ تُغفَرُ
ففيهِ أفاقَ النائمون وقد اتت عليهم كأهل الكهف في النوم أعصرُ

وبعد هذا العيد بأيام لمَّا عزمت الدول على استرجاع جنودها من كريت ابتدأت حركة اهل الجزيرة اذ نشروا الراية اليونانية على قلعتها فقال الشيخ امين ناصر الدين على لسان غادة كريت تدعو الأمة العثمانيَّة ومجلس نوَّابها لانقاذها من يد العدوّ :

ايملكني اليونانُ والتركُ تنظرُ وللعُرْب اسيافٌ بها الغيدُ تخفرُ
وحول فروقٍ من قنا الخطِّ غابةٌ تظلُّ بها أُسد الكتائب تزأرُ
وفيها سريرُ الملك حُفَّ جنبهُ ومجلسُ نوَّابِ البلاد الموقَّرُ
بني العُرب والاتراك اين حميَّةٌ يروع المدى منها اللظى المتسعِّرُ
واين نفوسٌ ما فتئنَ الى العلى طوامحَ فيهنَّ الإباءُ الموفَّرُ
واين مَواضٍ تنتضيها أكفُّكم فيبدو عليهنَّ الحِمامُ المصوَّرُ
واين الجواري تمخرُ اليمَّ هُيَّماً بجيشٍ حشاها بالبُخار فتزفرُ
تميسُ باثواب الحديد كأنَّما حسانٌ عليهنَّ الحرير المحبَّرُ
أ أُسبى ولي منكم حماةٌ وللورى عيونٌ الى شعب ابن عثمانَ تنظرُ
أبى الله ان ترضى التخاذُلَ أمَّةٌ لها في العُلى يُتلى رقيمٌ مسطَّرُ

ثم انتقل الى جواب العثماني فيسكّن روع الغادة ويذكّر اليونان بما اصابهم من الخذلان في حربهم الاخيرة فقال:

رويدكِ يا حسناء انّا لَأمّةٌ دماء بنيها الصيدِ دونكِ تهدرُ
صلابُ قناة لا تلين لغامزٍ أباةُ هوانٍ عهدُنا ليس يُخفَرُ
نعانقُ في الحرب المنايا كأنّها أوانس في غضّ الحدائقِ تخطرُ
ونُزجي الجواري المنشآت مُقلَّةً مدافعَ منهنَّ الردى يتفجّرُ
اذا نظمتنا والاعادي معاركٌ فهامهمُ بالمشرفيّات تنثرُ
سنحميكِ يا حسناء من كل معتدٍ ببأسٍ له خدُّ العزيز يُصعّرُ
فشيمتُنا صونُ العذارى وشأنُنا صدامُ الاعادي كلّما ثار عثيَرُ
أظنَّ بنو اليونانِ انَّ سيوفنا تثلّمنَ ام أُخفِي علينا التأخرُ
ألم يذكروا ما كان بالأمسِ بيننا على حين خُضنا الموتَ والموت يزخرُ
صدمناهمُ تحت العجاجة صدمةً كما راع اسرابَ الظباء غضنفرُ
وكانت لنا معهم وقائع لم تزلْ احاديثها في الخافقين تكرّرُ . . .
فهلّا بني اليونان هل تحسبوننا نسينا اقتحام الحرب والجوُّ اكدرُ
أفاتكمُ انَّ الشجاعة خِلّةٌ تميّزنا عن غيرنا حين نُذكَرُ
وانَّ نفوس الصِّيد تصغُر في الوغى اذا صاح جيش الترك « الله اكبرُ »
عُرفنا بصبرٍ في السياسةِ ثابتٍ ولكنّنا في ساحة الحربِ اصبرُ
نودُّ بقاء السلم حتى تسومنا هوانًا فنبغي الحربَ والله ينصرُ
تمنّيتمُ وقتًا توالت خطوبهُ لادراك امرٍ نيلهُ يتعذّرُ
وخلتم توالي الظلم اورث شعبنا خمولًا واصبحنا على الهونِ نصبرُ
وقد يحجبُ النارَ الرمادُ وانّما اذا الريحُ هبّت فوقها تتسعّرُ
قهرناكمُ والملك قد كانَ ذاويًا فكيف وروضُ الملك فينانُ اخضرُ
فما ضمَّ اكريتٍ بسهلٍ فدونَهُ صدامُ الرزايا والهلاك المقرّرُ
سلكتم سبيلَ الغيِّ دون تبصّرٍ ولم تعلموا انَّ الصواب التبصّرُ

فمن هذه الامثلة الشعرية التي انتقيناها يتحقّق القرّاء ما صار اليهِ الشعر العصري من المتانة وبلاغة المعاني فكأنَّ النظام الدستوري اورثهُ حياةً جديدةً فلم يَعُد الشعراء يكتفون كما في السابق بتنميق العبارة وزخرف الكلام واشكال البديع لكنّهم يطبعون في أذهانهم الاحداث الجارية الى ان تندمج في قلوبهم فيتدفّق الشعر منها تدفّقًا فيسيل من معين. ولا عجب لانَّ الشعر من الشعور فاذا امتلأَ القلب فاض الفم من ملئهِ واضحى اللسان خير ترجمان عمّا يحويهِ الجنان

فهرس

أعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

الادباء المسلمون

ابراهيم باشا (الخديوي) ٢٧، ١١٦، ١٤٤
ابو السعود (افندي الكاتب) ١٨
ابو النجاة سالم (ابو حاجب) ٢٢
ابو النصر (عليّ الشاعر) ١٣–١٦
ابو يوسف الازهري (الشيخ عليّ) ٩٣
الابياريّ (الشيخ عبد الهادي) ٨٨
الاحدب (الشيخ ابراهيم) ٢٢، ٦٣، ٧٣–٧٣، ٨٨
احمد باشا (باي تونس) ٨٠
احمد بن ابي ضياف (ابو العبّاس الوزير) ٢٢
الاخرس (السيّد عبد الغفّار) ٨–١٠، ١٢
ارسلان (الامير محمّد) ١٩
اسماعيل باشا (الخديوي) ١٧، ٢٧، ٥١، ٨٦، ٨٨
١١٩، ١٤٠
اسماعيل الموصلي (الشيخ) ٩٤
الاسير (الشيخ يوسف) ٧٠–٧٢، ١٢٢
الاطرقجيّ (عبد الحميد) ١٣
الافغاني (السيّد جمال الدين) ١٥٢[2]
اكنسوس (ابو عبدالله محمّد المرّاكشي) ٣١–٣٢
الألوسي (السيّد نعمان) ٩
الألوسي (عبد الله) ١٢–١٣
« (عبد الباقي) ١٢–١٣
الانبابيّ (الشيخ محمّد) ٨٥
الانسيّ (الحاج عمر) ١١–١٢
الانطاكي (الحاج مصطفى) ٨
الباجي (الشيخ ابو عبدالله محمّد) ٢٣
البربير (مصباح) ٢٢
البزّاز (الملّا حسن الموصلي) ٩٢–٩٤، ٩٥
البندنيجي (الشيخ عيسى) ١٣
بيرم (الشيخ محمّد التونسيّ) ٩٨
بيهم (الحاج حسين) ١٩–٢٠، ٨٣، ١٥٢[1]
« (السيّد عمر) ١٩
التطوانيّ (محمّد بن الحسن) ٢٢
توفيق باشا (الخديوي) ١٤، ٨٦، ٨٠، ١١٦٨
ثابت (محمّد الصادق) ٢٢
جلال (محمّد عثمان) ٩١–٩٢
جودت باشا (احمد) ٩٧–٩٨
الجوهرد (الحاج محمّد شيث) ٩٤
الجزائري (سليمان) ٥٧
حسن افندي الطرابلسي ٢٣
حسين باشا ١٧
حمزة (افندي فتح الله) ٢٣
الحكيم (محمّد علي باشا) ٩٢
حمزة (السيد محمود الحسيني) ٨٢–٨٣
الحوت (الشيخ محمّد) ١٩
الحيدري (ابراهيم فصيح) ٩٤
خالد (الشيخ عبد الله) ١٩
خير الدين باشا (الوزير) ٢٢
داود باشا (والي بغداد) ٩
دحلان (الشيخ احمد زيني) ٦١، ٩٧
درّي باشا (الدكتور) ٩٢–٩٣

الدسوقي (الشيخ ابراهيم) ٩٣
راشد باشا ١٤٦[1]
راغب (الشيخ محمد الموصلي) ٩٤
رضوان (مصطفى) ٢٢
زورق (ابو عبد الله محمد المربي) ٢٢
سعيد باشا (الخديوي) ٢٧، ٧٤، ٩٣
الشدياق (احمد فارس) ٧٢، ٧٩-٨١، ٨٨
〃 (سليم) ٨٠
الشطي (عبد السلام) ٧٦-٧٧
شفيق بك بن منصور يكن ٩٣
شهاب الدين العلوي ٩٥-٩٦
صالح (الشيخ التميمي) ١٢
صفوت (محمود اغا الزيلع) ١٦
الطهطاوي (رفاعة بك) ٤، ٧-٨، ١٦، ١٥٣[1]
عباس (جلالة الخديوي) ٢٨، ٩١
عباس (الشيخ احمد الازهري) ٦٣
عبد العزيز (السلطان) ١٥، ١٩-٢٠، ٢٦-٢٧، ٨٩
عبد القادر (الامير الجزائري) ٧٢، ٨٣-٨٤
عثمان باشا ٩٧
العروسي (ابو راشد يونس) ٢٢
〃 (الشيخ مصطفى) ٨٥
العزازي (الشيخ خليل) ٢٣
العطار (بنو) ٧١
عليش (الشيخ) ٨٥
العمري (احمد عزت باشا) ٩، ٢٤
〃 (عبد الله افندي) ٩٥
〃 (عبد الباقي الفاروقي) ٩-١٠، ٩٥
عون الرفيق (الشيخ) ٩٧
فكري (امين باشا) ٨٧
〃 (عبد الله باشا) ٢٢، ٨٥-٨٦، ٨٩، ٩١
فيض الله افندي ٧٩
القباني (السيد عبد القادر) ٦
قدسي زاده قدري بك ١٠٧
القصاب (محمد سليم) ٨١-٨٢، ٨٣
كامل باشا ٣٠
كريم (احمد الحنفي) ٢٢
الكستي (الشيخ قاسم ابو الحسن) ١٠، ٧٣-٧٦
اللاذقي (الشيخ ابو الحسن عبد الفتاح) ٧٨
الليثي (الشيخ علي) ٨٨-٨٩
مبارك (علي باشا) ١٧، ٦٦، ٨٧-٨٨
مجدي بك صالح ١٦-١٨، ١٥٣[1]
محمد علي باشا الخديوي ١٨، ٦٦، ٦٧
محمد بن ادريس (الوزير) ٢١
محمود باشا الفلكي ٩٣
مختار باشا (محمد) ٩٢
مدحت باشا ٨٣
المرصفي (الشيخ حسين ابن احمد) ٨٥
المهدي (الشيخ محمد العباسي) ٨٥
المولى حسن (سلطان مراكش) ٢١
المولى عبد الرحمان (سلطان مراكش) ٢١
الموقت (الشيخ محمد الطرابلسي) ٢٢
الميقاتي (الشيخ محمد) ٧٧
ناصر الدين شاه ١٣٠
النحاس (السيد عبد الرحمان) ٢٣
نديم (السيد عبد الله) ٩٠-٩١

الادباء النصارى

ابكاريوس (اسكندر اغا) ١١٥-١١٦
〃 (شاهين بك) ٦
〃 (يعقوب) ١١٥
〃 (يوحنا) ١١٥-١١٧
ابيلا (قيصر) ٥٣، ١٥٣[1]
اديب اسحاق ١١٧-١١٨
الاسود (ابراهيم بك) ٦٣
الياس ماري (الاخ اليسوعي)

باخوس (يوسف حبيب) ١١٢
البارودي (الدكتور اسكندر) ٦٣
باز (اسعد) ٥٣
البتلوني (شاكر) ٣٦
البحري (يوحنا بك) ١٤٥[1]
البدوي (خليل) ٦٣
البستاني (المطران بطرس) ١١٢
« (المعلم بطرس) ٦،٦٣،١١٠–١١١،١٣٠
« (سعيد) ١١٢
« (سليم) ٦،١١١
« (سليمان) ١١٢
« (المطران عبد الله) ١١٢
« (المعلم عبد الله) ٦٦،١١٢
« (نجيب) ١١٢
« (الخوري يوسف) ١١٢
« (الخوري يوسف جرجس) ١١٢
بسترس (سليم دي) ١١٣–١١٥،١٢٢،١٢٨،
١٣٨
بشير (الامير المالطي الكبير) ٣٥،٣٨–٣٩
بنّي (البطريرك اغناطيوس جنام) ١٠٦
بولاد (القس انطون الراهب المخلّصي) ٤٨
تقلا (سليم بك) ١٣٠–١٣٢
« (بشاره باشا) ١٣٢
جباره (الارشمندريت غبريل) ٥٤
جدي (سليم) ٣٦
جراسيموس (مطران الروم في حلب) ٤٠
الجريديني (اسكندر وسليم بك) ١٤٦[1]
الجلخ (الدكتور يوسف) ٣٨،٤٠
الحاج (البطريرك يوحنّا) ١٠٣
حبيب (المطران يوحنّا) ٦،٩٨–٩٩
حبيقه (نجيب) ٦٦،١٣٦
حجّار (يوسف) ٤٧
الحدّاد (نجيب) ١٤٣–١٤٤
حسّون (رزق الله) ٤٥–٤٨
حكيم (المطران بولس) ٩٩
حنانيا منيّر (الراهب الشويري) ٣٤
حنين الخوري ١٤٦[1]
حيدر (الامير اللمعي) ٥٣،١٠١
الخازن (القس اغناطيوس) ١٠١
خضراء (رزق الله) ٦
خياط (البطريرك جرجس عبد يشوع) ١٠٩
داود باشا (متصرّف لبنان) ١٣٥،١٤١
داود (المطران يوسف اقليميس) ٧،٩٧،١٠٧،
١٠٧–١٠٨
الدبس (المطران يوسف) ٥
الدحداح (الشيخ امين) ٥٣،١٢٥
« (الشيخ خطّار) ١١١
« (الكنت رشيد) ٥٣،١٣٥–١٣٧
« (الشيوخ سلّوم وناصيف ومنصور
١٣٥
« (المطران نعمة الله) ١٣٧
« (الشيخ يوسف) ١٢٥
الدلّال (جبرائيل) ١٣٩–١٣٠
« (عبد الله ونصر الله) ١٣٩
« (الخوري ميخائيل) ١٠٩
دياب (سليم) ١٤٦[1]
رستم باشا (متصرّف لبنان) ١٤٠
رعد (الخوري حنّا العاصي) ١٠٣–١٠٥
الزغبي (المطران يوسف) ٩٩–١٠٠
الزلزل (الدكتور بشاره) ٦٣
زوين (جرجس) ١٣٨–١٣٩
سرسق (السيّدة املي) ٦٣
سركيس (المعلم ابراهيم) ١١٤–١١٥
« (خليل) ١١٤
« (سليم) ٣٩
شاول (غالب) ٥٣

السدياق (بشاره) ٤٣
الشرتوني (الشيخ سعيد) ٦٣,٣٦
شقير (شاكر) ١٣٥-١٣٦
« (فارس) ١٣٨
شاحت (البطريرك اغناطيوس جرجس) ١٠٦
الشالفون (يوسف) ١٣٥,٦٣,٦-١٣٦
الشمالي (المطران جرمانوس) ٩٩
شمعون (فرنسيس) ١٤٦[1]
شميل (ابراهيم) ١٣٩
« (امين) ١٣٩-١٤٠
« (ارثور وفردريك) ١٣٩
« (شبلي) ١٤٠
« (ملحم) ١٤٠
صابونجي (الدكتور لويس) ١٠٨
صالح (الياس) ١١٩-١٢٠
« (الياس بن موسى) ١١٨
صروف (يعقوب) ٦
الصعب (حنّا بك اسعد) ١٤٠
صقّال (انطون) ١٣٠-١٣١
الصوله (سليمان) ١٤٤-١٤٥[2]
طراد (اسعد) ١٣٧-١٣٨
« (جبرائيل حبيب) ١٣٨
« (جرجس اسحق) ٥١-٥٢
« (نعمة الله) ٤٢
طرّازي (الكنت فيليب) ١٠٨, ١٢٤
عازار (القس اوغسطينوس) ١٠٥
العاصي (الخوري حنا) اطلب رعد
عبده (المطران امبروسيوس) ٥٣
العجيمي (القس يوحنا) ٤٨
عركوس (البطريرك فيلبس) ١٠٦
العضيمي (المعلم سعد) ٥٠
عنحوري (بطرس) ١٣٣, ١٥٢[2]
عون (المطران طوبيا) ٥, ٥١
عيسى (الخوري جرجس الراهب الشويري) ٤٩-٦٠
غالي (بطرس باشا) ١٤٥[1]
غريغوريوس (غبطة السيّد يوسف) ٦
الفاخوري (الخوري ارسانيوس) ١٠٠-١٠١
فرج (الياس باسيل) ١٤٥[2]
فرنسيس (الحاج يوسف) ١٤٦[1]
فكّاك (المطران ملاتيوس) ٣٤
قندلفت (تاوفيلس انطون) ١٠٦
كستفليس (آل) ٧٨
كرامة (ابراهيم بك) ١٢٤-١٣٥, ١٥٢[2]
« (بطرس) ٤٧,١٣٩
كرم (يوسف بك) ١٤٥[2]-١٤٦[1]
لاون الثالث عشر ١٠٥-١٠٦,١٠٩,١٣٧
متّي (القس الشابي) ٣٥
مدوّر (سليم) ٦
المرّاش (آل) ٤٠
« (بطرس الشهيد) ٤٠
« (عبد الله) ٤٣-٤٤
« (فتح الله) ٤٠
« (فرنسيس) ٤١-٤٣,٤٤
« (ماريانا) ٤٤
مسعد (البطريرك بولس) ٤١,٩٨,١٠٣
مشاقه (الدكتور ميخائيل) ١٣٣-١٣٤
مطر (المطران يوسف) ٩٩
مظلوم (البطريرك مكسيموس) ٢٧-٢٨, ٣٣, ٤٠,٤٨,٤٩
معلوف (عيسى اسكندر) ٢٧,٣٩, ١٥٢[2]
عمار باشي (الخوري يوسف) ١٠٨
نعمو (القس يعقوب) ١٠٩
النقّاش (سليم) ١٣٤
« (جرجس) ١٣٤
« (مارون) ١٣,٦٥,١٣٣

النقّاش (نقولا) ٦٣، ١٢٣–١٢٥، ١٢٨
〃 (يوسف) ١٢٤
نمر (فارس) ٦
نوفل (الياس) ١١٤، ١٢٢–١٢٣
〃 (سليم دي) ١٢١–١٢٣
〃 (مريم نحّاس) ١٢٣
〃 (نعمة الله نوفل) ١٢١
الهاني (الخوري يوسف منصور الحمش) ١٠١–١٠٣
يارد (المطران جراسيموس) ١١٠
اليازجي (بنو) ٢٤
〃 (الشيخ ابراهيم) ٥، ٢٤، ٣٥–٣٩، ٦٣
〃 (الشيخ حبيب) ٢٨، ٣١، ٣٣
〃 (الشيخ خليل) ٣٣–٣٥، ٤٩، ١١١، ١٣٩
〃 (الشيخ راجي) ٣٩–٤٠، ١٥٣[1]
〃 (الشيخ عبد الله) ٢٤
〃 (الشيخ ملحم) ٤٠
〃 (الشيخ ناصيف) ١١، ٢٣–٣١، ٤٣، ٤٩، ١١١، ١٣١
〃 (السيدة وردة) ٣٩

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربيّة

ابوجي (الاب لويس اليسوعي) ١٤٨[1]
اماري (ميشال) ١٥١[1]
ايڤلد (ه.) ٥٨
پاڤسكي (ج.) ٥٨
پاڤه (دي كورتيل) ١٤٨[1]
پالمر (ادورد) ١٥٠[1]
بُختر (اليوس) ٥٤
برازين (ا. ن.) ٥٩
بربيه (دي مينار) ١٤٨[1]
برتون (ر. ف.) ١٥٠[2]
برجس (الخوري جلن) ١٤٨[1]
پرسڤال (كوسان دي) ٥٤
برغرين ٥٨
برنيه (الاب يوسف اليسوعي) ٦٤
بُست (جرج) ٦٠
بلن (م.) ٥٥
بلو (الاب يوحنّا اليسوعي) ٤٦، ١٤٨[2]
بوتجانوف ٥٨
بورغاد (الخوري ف.) ٥٦–٥٧
بولدبراف (الكسيس) ٥٨
ترتبرغ (شرل) ٥٩
توربكه (ه.) ١٤٩[1]
جزنيوس (ف.) ٥٩
خانيكوف (م. دي) ٥٩
درنبورغ (ج.) ١٤٧[2]
〃 هرتويك ١٤٧[2]–١٤٨[1]
دورن (ب.) ١٥٠[2]
دوزي (ر.) ١٤٩[2]–١٥٠[1]
دوغا (غوستاف) ٨٤، ١٨٤
دي ساسي (البارون سلڤستر دي) ٣١، ٣٣، ٥٨
دي سومي (كنيار) ٥٧

دي غوي (م. ي) ٦٩
دي لاغرد (پول) ١٤٩[1]
دي لونپاريه (ه.) ١٤٦[2]
دياتاريشي (فر.) ١٤٨[2]
دِفرامري (شرل) ١٤٧[1]
ديانج ٥٨
رِدهوس (جمس) ١٥٠[2]
رِنان (ارنست) ١٤٧[2]
روده (الاب اوغسطين اليسوعي) ٣٥
روديغر (عرماں) ٥٧
روز (الاب يوسف اليسوعي) ١٤٨[2]
روزن (البارون فون) ١٥١[2]
رَيْت (وليم) ١٥١[1]
زوتنبرغ (ه.) ٥٦
ساڤلياف (ب.) ٥٨
سپرنغر (لويس) ١٤٩[1]
سلان (ج. دي) ٥٦
سنفيناتي (ب.) ١٤٧[1]
سوڤار (هنري) ١٤٨[1]
سيانكوفكي (ي.) ٥٨
سيديابو (لويس) ٥٤-٥٥
سيمونت (فر. ك.) ١٥١[1]
شربونو (ي. ا.) ١٦٤[2]
شرموا ٥٨
شولتس (فر.) ٤٦
شيفر (شرل) ١٤٨[1]
غارسن دي تاسي ٥٥-٥٦
غريغورياف (و.) ٥٨
غفرين (الاب اليسوعي) ٤٨
غلار (الخوري) ٥٦
غويار (س.) ١٤٧[1]-١٤٧[2]
ڤات (ب. ي.) ١٥٠[1]
ڤان ديك (كرنيليوس) ٦٠, ١٥١[2]
ڤان ڤلوتن (ج.) ١٥٠[1]
ڤان هام (الاب يوسف اليسوعي) ١٨٤[2]
فريتاغ (ج. و.) ٥٧
فاوفل (غ.) ٥٧
فلايشر (ه. ل.) ٣١
ڤيكتوريا (ملكة الانكليز) ٣٧
ڤيل (غستاف) ١٥٠[1]
ڤلاردل (القاصد الرسولي) ٤٨
كراتشقوفسكي (ا.) ٥٩, ١٥٣[1]
گرگاس (و.) ١٥١[1]
كرلتي (منصور افندي) ٣٣
كريمر (البارون فون) ١٤٩[1]
كوسوڤتش (ك.) ٥٩
كوش الاب فيلبُّس اليسوعي) ١٤٦[1]-١٤٨[2]
لاموريسيار القائد ١٠٣
كورلف (ايڤان الروسيّ) ٤٦
كولمب (كريستوف) ٣٨
كيَّانغوس (بسكوال) ١٥١[1]
لافونتي القنطري ١٥١[1]
لان (ا. و) ٩٣
لرخندي (جوزه دي) ١٥١[1]
لوس ريوس (ادور دون جوزه) ١٥١[2]
لونرمان (ف.) ١٤٦[2]
لوهير (الخوري) ٥٦
لويس (الاميركي) ٦٠
ليتره (اميل) ١٤٧[2]
ماريت (اوغست) ١٤٦[2]
مرتين (الاب بطرس اليسوعي) ١٥٢[2]
مولّر (اوغست) ٥٨
مِهرن (اوغست) ٣١, ١٥١[2]
موهل (جول) ٥٥
نابوليون الثالث ٣٧,٨١,١٣٦
نڤروتسكي (م.) ٥٩

هابشت ١٤٩[١]
هال (الدكتور يوسف) ١٤٧[٢]
هوري (الاب يوسف اليسوعي) ١٤٨[٢]
هولبو (كر.) ١٥١[١]
وربات (يوحنَّا) ٦٠
وستنفلد (ه. ف.) ١٤٩[٢]
يونغ (ب.) ١٤٩[٢]

فهرس اسماء المستشرقين بالافرنسيَّة

TABLE

des Orientalistes mentionnés dans la 2e partie de l'ouvrage.

Abougit s. j. (L. X.) 148[1].
Barbier de Meynard 147[1].
Amador de Los Rios (Don J.) 151[2].
Amari (M.) 151[1].
Bargès (L'abbé J.J.).
Barnier s. j. (J.) 64.
Belin (M.) 55.
Berggren 58.
Belot s. j. (J. B.) 46, 148[2].
Béresine (F. N.) 59.
Bochtor (Ellious) 54.
Boldyrew (A.) 58.
Bottjanoff 58.
Boucher (R.) 147[2].
Bourgade (L'abbé F.) 56.
Burton (R. E.) 150[2].
Carletti (V.) 22.
Caussin de Perceval (A. P.) 54.
Charmoy 58.
Cherbonneau (J. Aug.) 146[2].
Colomb (Christophe) 38.
Cuche s. j. (Ph.) 148[1].
Defrémery (Ch.) 147[1].
Derenbourg (Jos.) 147[2].
» (Hartwig) 147[2]-148[1].
Desmanges 58
Devic (M.) 147[2].
Dieterici (Fr. A.) 148[2].
Dorn (B.) 150[2].
Dozy (R.) 149[2].
Dugat (G.) 84,147[2].
Ewald (H.) 57.
Fleischer (H. L.) 31,148[2].
Gagarin s. j. (P.) 48.
Garcin de Tassy 55-56.
Gayangos (Don Pasc. y Arce) 152[1].
Gesenius (F. H. W.) 59.
Glaire (L'abbé) 56.
Goeje (Dr M. J. de) 69.
Grigorieff (W.) 58.
Guirgass (W. O.) 151[1].
Guyard (St.) 147[1].
Habicht 149[1].
Hell (Dr J.) 147[2].
Heury s. j. (J.) 148[2].
Holmboe (Chr. A.) 151[2].
Jong (P. de) 149[2].
Khanikoff (M. de) 59.
Kossowitch (K.) 59.
Kratchkowski (I.) 59.
Kremer (Bon Alf.) 149[1].
Kurlov (I. A.) 46.
Lamoricière (Le Général de) 102.
Lane (F. W.) 93.
Lafuente y Alcantara 151[1].
Lagarde (P. de) 149[1].
Leclerc (Dr) 147[2].
Le Hir (L'abbé) 56.
Lenormant (Fr.) 146[2].

Lerchundi (J. de) 151[1].
Lewis (   ) 69.
Littré (E.) 147[2].
Longpérier (H. de) 146[2].
Mariette (A.) 146[2].
Martin s. j. (P.) 152[2].
Pavet de Courteille, 148[1].
Mehren 31,151[2].
Mohl (J.) 55.
Müller (A.) 58.
Napoléon III 27,81,126.
Nawrotsky (M.) 59.
Palmer (E. H.) 150[1].
Pawsky (G.) 58.
Post (G.) 60.
Redhouse (J. W.) 150[2].
Renan (E.) 147[2].
Rodet (P. A. s. j.) 35.
Rœdiger (H. J.) 57
Rose s. j. (P. Jos.) 184[2].
Rosen (Bon Von) 151[1].
Sacy (Le Bon Sylvestre de) 31 33,58.
Sanguinetti (B.) 147[1].
Sauvaire (H.) 148[1].
Sawelieff (P.) 58.
Sauley (Caignart de) 57.
Schefer (Ch.) 149[1].
Schultess (Fr.) 46.
Sédillot (A.) 54-55.
Sienkowski (J.) 58.
Simonet (Fr. X.) 151[1].
Slane (G. de) 56.
Sprenger (Al.) 149[2].
Thorbecke (H.) 149[1].
Torneberg (C.) 59.
Van Dyck (Corn.) 60,151[2].
Van Ham s. j. (J.) 148[2].
Vartabet (J.) 60.
Veth (P. J.) 151[1].
Victoria (Reine d'Angleterre) 27.
Villardel (Mgr Fr.) 48.
Vloutén (G. Van) 151[1].
Weil (G.) 149[1].
Wright (W.) 150[1].
Wüstenfeld (H. F.) 149[2].
Zotenberg (H.) 56.

فهرس اسماء شعراء الدستور

ارسلان (الامير شكيب) ١٥٤
« (الامير عادل) ١٥٤
اسعد اليكباشي ١٧٥
ايليا (مطران صور) ١٨٨
البستاني (عبد الله) ١٥٦, ١٥٨, ١٥٩, ١٧٠
ثابت (ايوب) ١٦٥
حلوه (خليل بطرس) ١٦٥
حافظ (ابراهيم) ١٨٣, ١٨٧, ١٩١
الحسامي (عبد الله) ١٨٩
حكمت شريف ١٩٠–١٩١
الخوري (بشاره عبد الله) ١٨٦, ١٩٠
الخوري (يوسف مراد) ١٧٧, ١٨٨
الخياط (محي الدين) ١٥٥
الخياط (ويكتور) ١٦٧
داود (سليمان) ١٧٣
دموس (شبل ناصيف) ١٧١
رزق الله (نقولا) ١٥٦
رستم (اسعد) ١٥٩, ١٦٣
« (ميخائيل) ١٨٣, ١٨٦
الرصافي (معروف) ١٦٤, ١٧٥, ١٧٦, ١٧٩, ١٨٠, ١٨٣
زغيب (الشيخ علي النقي) ١٧٤

زين (حبيب فارس) ١٨١، ١٨٩
سعد (جرجي نخله) ١٦٧
سلوم (توفيق) ١٧٢
سمعان فرح (الفغالي) ١٦٠
الشرتوني (سعيد) ١٧٨
شقير (سعيد) ١٥٧، ١٦٣
« (نعوم) ١٦٥، ١٦٦، ١٧٣، ١٨١
شوقي بك ١٥٩، ١٧٠، ١٨٣–١٨٤، ١٨٧
صبري (اسماعيل باشا) ١٨٥
العازار (نسيم) ١٧٨
العبادي (عبد القادر) ١٦٤
عبده (طانيوس) ١٥٧
الغلاييني (مصطفى) ١٧٥
غلبوني (اسطفان) ١٧٩
الفرّان (الياس) ١٦١
فضول (كامل) ١٨٩
الفورتي (بشير) ١٦٥
فيّاض (نقولا) ١٥٦
مارون (جرجس) ١٦٦
مراد (ميخائيل العرموني) ١٦٣
مرقص (ادوار) ١٨٥
مصورّ (نجيب) ١٥٥
معلوف (جرجس عبد الله) ١٦٣
معلوف (قيصر) ١٧١
مكرزل (نعوم) ١٨٠–١٨١
ملّاط (شبلي) ١٥٥، ١٨٦، ١٨٧
ملحم (اسعد) ١٥٨
ناصر الدين (امين) ١٩١–١٩٣
ياسين (محمّد شاكر) ١٦٤، ١٩٠
و. خ ١٨٥
يكن (وليّ الدين) ١٧٣–١٧٤، ١٨٤

فهرس

اعلام الإمكنة المذكورة في هذا الجزء

الازهر (الجامع) ٨٤–٨٥
الاستانة ٧، ١٥، ٦٨، ٨٠
استوكهلم ٨٦
اميركا ٧٠
برلين ٦٩
باريس ٧٠، ٨٣، ١٨٣
بعلبك ٣٩
بغداد ٦٤
البقاع ٦١
البلمند ٦٣
جباي ٦٩
بيروت ٤–٧، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٦٠–٦٦، ٧٦
تونس ٢٣، ٥٦
حلب ١٣
حوران ٦١
حيفا ٦١
دمشق ٥، ٦، ٦١–٦٣، ٦٥
دير القمر ٥٣
زحلة ٦٣
صليما ٦١
رومية ٧٠
الزقازيق ٦٧

صيداء ٤
طرابلس ٦١
طنطا ٦٧
العجم ٦٤, ٦٨
عين طورا ٥
غزير ٤, ٣٥, ٦١
فرنسة ٥٤, ١٠٣–١٠٤
مكّة ٦٨
فيلادلفيا ٧٠
القدس الشريف ٦١
قرنة شهوان ٦١, ٥٩
كستلفيداردو ١٠٢
كفتين ٦٣
كفرشيما ٢٤
كلكوتا ٦٩
لبنان ٣٤, ٧١, ١٢٣–١٢٤
لوكنو ٦٩
ليدن (مطبعتها) ٧, ٦٩
مصر ٦, ٨, ١٦, ١٨, ٦٦–٦٨
الموصل ٧, ٦٨
موسكو ٥٨
نيويرك ٧٠
الهند ٦٩
يافا ٦١



فِهْرِسُ

لمواد الجزء الثاني من الآداب العربية في القرن التاسع عشر

الفصل الأوّل في الاداب العربيّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

الصفحة

نظر عام في احوال الآداب العربيّة في هذا الطور ٣

الكلّيات والمدارس والمطابع في الشام وغيرها ٤–٧

بعض مشاهير أُدباء المسلمين في هذا الطور ٧–٣٤

الادباء النصارى فيهِ ٣٤–٥٤

المستشرقون الاوربيُّون فيهِ ٥٤–٦٠

الفصل الثاني في الاداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

نظر عامّ ٦٠–٧٠

المدارس الكليّة والثانويّة والطائفيّة ٦٠–٦٣

المطابع ٦٣–٦٤

الجمعيّات الادبيّات والمكاتب ٦٤–٦٥

فنّ التمثيل ٦٥–٦٦

الآداب العربيّة في مصر ٦٦–٦٨

في بقيّة بلاد المشرق ٦٨–٦٩

الدروس العربيّة في اوربّة واميركا ٦٩–٧٠

أُدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر ٧٠–٨٤

أُدباء الشام ٧٠–٨٤

أُدباء مصر ٨٤–٩٣

أُدباء العراق والهند والحجاز والدولة التركيّة ٩٣–٩٨

أُدباء النصارى في هذه المدّة ٩٨–١٤٦[1]

المستشرقون الاوربيُّون ١٤٦[1]–١٥١[2]

زيادات واصلاحات ١٥٢[2]–١٥٣[2]

مُلحق لتاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر

	الصفحة
الحماسة الدستوريَّة فيها منظومات لنحو ٣٠ شاعرًا في الدستور والانقلاب العثماني	١٥٣–١٦٨

مُلحق ثانٍ لتاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر

منظومات الوقائع الدستوريَّة	١٦٨–١٦٩
قصائد عموميَّة في الدستور وجمعيَّة الاتحاد والترقي	١٦٩–١٧٣
مجلس المبعوثان – الارتجاعيُّون	١٧٣–١٧٦
الهرسك والبشناق (البوسنة) – استقلال بلغاريا	١٧٦–١٧٨

فهرس اعلام الأدباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء على ترتيب حروف المعجم

الادباء المسلمون	١٩٣–١٩٤
الادباء النصارى	١٩٤–١٩٧

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربيَّة	١٩٧–١٩٩
اسماؤهم بالافرنسيَّة	١٩٩–٢٠٠
اسماء شعراء الحماسة الدستورية ووقائع الدستور	٢٠٠–٢٠١

voulu donner à nos lecteurs des Spécimens d'une quarantaine de pages de la Littérature qui a actuellement cours dans le monde arabe. Nous avons choisi pour cela des événements bien faits pour inspirer le talent de nos poètes, nous voulons parler du Régime Constitutionnel proclamé en Turquie. Une trentaine de poètes arabes de tous pays sont entrés en lice pour décrire cet heureux événement, chanter les gloires du nouveau Régime, flétrir la tyrannie du précédent et retracer toutes les péripéties de l'Histoire de la Constitution. Leurs poésies ont une tournure toute différente de celles de leurs devanciers. On en jugera par les nombreux Spécimens que nous en avons reproduits.

Dans la nomenclature des Orientalistes d'Europe il a dû nous échapper plus d'un nom célèbre. C'est qu'il n'existe point, que nous sachions, une Histoire des Orientalistes même élémentaire. C'est là une lacune qu'on devrait combler, d'autant plus que le sujet serait bien propre à tenter la plume d'un écrivain.

Nous terminons cette partie comme la précédente par diverses Tables qui facilitent toutes les recherches.

Beyrouth, le 25 *Avril* 1910

PRÉFACE

Il y a deux ans nous livrions au public la 1re partie de ce modeste essai d'Histoire de la Littérature arabe au XIXe siècle, tiré en grande partie d'une suite d'articles publiés dans la Revue al-Machriq. Depuis, nous avons poursuivi ce travail pour les trente dernières années de ce même siècle en une seconde série que nous présentons aujourd'hui aux amateurs de Littérature arabe.

Cette période bien qu'elle soit beaucoup plus courte que la première et n'embrasse à peine que le tiers du dernier siècle, l'emporte sur la précédente où l'Orientalisme assez avancé en Europe n'était en Orient qu'à ses débuts

Les relations plus fréquentes avec l'Occident l'activité des Missionnaires Catholiques et des Sociétés de Propagande protestante, les Universités, les écoles, les imprimeries créées en grande partie par eux ou sous leur inspiration ont abouti malgré des obstacles sans nombre, à cette magnifique Renaissance à laquelle nous assistons aujourd'hui.

Désormais la Littérature arabe entre dans une nouvelle phase ; il sera plus difficile de suivre ses progrès dans les divers pays où elle exerce son influence. Nous avions nous même songé d'abord à donner à la suite de notre travail une vue d'ensemble sur l'état des études arabes au début du XXe siècle, mais nous avons préféré nous en tenir à notre Programme et nous contenter pour le moment du XIXe. Si parfois nous avons dérogé à ce plan en insérant quelques noms de Littérateurs plus récents, ç'a été à cause des rapports de ces derniers avec leurs confrères du siècle précédent.

Pour combler cependant en partie ce déficit nous avons



LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXe SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

2e partie

de 1870 à 1900



BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1910

ÉTUDES SUR LE RÈGNE

DU

CALIFE OMAIYADE MO'AWIA I^ER

PAR

Le P. Henri LAMMENS, S. J.

Un fort volume gr. in-8° de 448 pages, avec Tables (XXXIV pp.). **Prix 20 francs.** S'adresser à l'*Editeur des Mélanges de la Faculté Orientale*, Université S^t Joseph, Beyrouth (Syrie),

ou aux librairies CHAMPION (Paris), LUZAC (Londres), HARRASSOWITZ (Leipzig).

Ces *Etudes* ont déjà paru sous forme d'articles dans les trois premiers tomes des Mélanges de la Faculté Orientale. Leur éloge n'est plus à faire : les savants les plus compétents ont été unanimes, en effet, à féliciter leur auteur, et à rendre hommage à son sens historique et critique, à sa vaste érudition, et à la belle activité qui lui a permis d'exploiter en peu de temps les documents les plus variés et les plus originaux. Nombre d'entr'eux sont encore inédits et font partie des Mss. de la Bibliothèque Orientale de notre Université et de la Bibliothèque Khédiviale du Caire.

Une chose manquait encore à l'ensemble des trois séries : des *Index* et des *Tables* rendant le plus commode possible l'usage de ce précieux instrument de travail. Nous les donnons aujourd'hui au public, en même temps que les trois séries, réunies en un seul volume de 478-XXXIV pp.

On nous saura peut-être gré de reproduire quelques-uns des titres des XXII chapitres qui composent l'ouvrage. On pourra ainsi se faire une juste idée de la variété et de la nouveauté des sujets abordés.

---

			page
Chap.	I.	ʿAbdarraḥmân ibn Ḫâlid et les chrétiens de Ḥomṣ.	3
»	II.	Première invasion des Mardaïtes.	14
»	III.	Moʿâwia et les Omaiyades ; politique du calife envers les membres de sa famille.	22
»	IV.	Principaux collaborateurs de Moʿâwia. Le parlementarisme chez les Arabes.	4
»	V.	Le « ḥilm » de Moʿâwia et des Omaiyades.	66
»	VI.	Le parti des « ʿOṯmâniya » et des « Moʿtazila ».	109
»	VII.	Conférence de Adroḥ : Aboû Moûsâ al-Aśʿarî et ʿAmrou ibn al-ʿAṣi.	125
»	VIII.	Assassinat de ʿAlî. Califat éphémère de Ḥasan.	140

etc . . . etc . . . etc . . .

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXe SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

2e partie

de 1870 à 1900



BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1910